قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة

وفيه كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين

تصنيف الشيخ الامام ابي القاسم الحسين بن محمد بن

المفضل الراغب الاصفهاني رحمه الله عليه

بسم الخزانة المعظمة المولوية

الانابكية النظامية

خطر نظام الملك الشريف

اعز الله انصاره ورفع في الدارين

مناره فزاد رفعة وقدرا ومنحه

نصرا عزيزا وفتحا مبينا آمين

Kodak Film
Archival 5114

قد وقف هذه النسخة السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك الرقاب والأمم السلطان ابن السلطان ابن السلطان الغازي خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان العادل السلطان ابن السلطان المجاهد محمود خان أدام الله تعالى علوه وأسكمل سبحانه وتعالى سموه وجعل حرز العصر الحميد رصيد وقفه وحبسه المخلد وقاب الحرمين الشريفين عفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ توكلت على الله تعالى

نسأل الله بجوده الذي هو سبب الوجود نورًا يهدينا إلى الإقبال عليه ويميل بنا إلى الاصغاء إليه ويديمنا على حسن معاملته والقوة على النفاذ في طاعته وان يجعلنا من جملة من ضمن ان يحجرهم عن غائلة الشيطان حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وجعلهم الشيطان مثنوية اليمين حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ٭ قال ابو القاسم الراغب رحمه الله كنت قد اشرت فيما اثبته من كتاب تحقيق البيان في تاويل القرآن الى الفرق بين احكام الشريعة ومكارمها وان المكارم المطلقة هي اسم يتحاشى من ان يوصف الباري تعالى باكثرها نحو الحلة والجود والحلم والعفة والعفو وان كان وصفه تعالى بذلك على احد اشرف مما وصف به البشر وان الاحكام تتناول ذلك والعبادات ٭ وانه باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه خليفة الله المعنى بقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وبقوله ويستخلفكم في الارض وبقوله هو الذي جعلكم خلايف الارض ٭ واشرت ان خلافة الله عز وجل تصح الا بطهارة النفس كما لا يصح اشراف العلامات الا بطهارة الجسم وقد استخرت الله تعالى الان وعملت وذلك كما يكون ذريعة الى مكارم الشريعة وبينت كيف يصل الانسان الى منزل العبودية التي جعلها الله شرفا للاتقياء وكيف يترقى عنها اذا وصلها الى منزل الخلافة التي

جعلها الله شرفا للصديقين والشهداء فبالجمع بين احكام الشرع ومكارمه علما وابرازهما عملا يكتسب العلى ويتم التقوى ويتبلغ الى الجنة المأوى ورغبني ايها الاخ الفاضل وفقك الله لرشدك واذل مرشرة نفسك في تصنيفه ما رأيت من تشوقك بان تزين ما وليه الله من حسن خلقك وخلقك بما يتولاه من تحسين ايدك واكمال مروءتك فاجدر وراوك الصبيح ان تحصل وراه الراي الصحيح شعر

حتى تصادف من تزجي بطيبته ... عملا ونورا وطاب العود والورق

فالفتى بالمرء ان يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها يوم وصرصرة يحرسها ذيب كما قال الحكيم لجاهل صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنها فردي وان يكون باعتبار كثرة ماله وحسن اثاثه ثورا عليه جلي وقد سمى بعض الحكماء الاغنياء الاغبياء تيوسا صوفها درر وجمرا جلالها جبر ودخل حكيم على رجل فرأى دارا منجدة وفرشا مبسوطة ورأى صاحبها خلوا من الفضيلة فبرق في وجهه وقال ما هذا السفه ايها الحكيم فقال بل هذا حكمة ان البصاق ليرمى الى الحش وكان في الدار ولم ار احسن منك فنبه بذلك على دناءة الجهل وان قبحه لا يزول بادخار القنيات فكن ايها الاخ عالما وبعلمك عاملا لتكن مراولبا الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واحذر الشيطان ان يسبيك ويغريك بالحراص الدنيا فيجعلك مراوليا يده ويخوقك بوساوسه

قال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه واعلم انه يصح بذي العقل ان
يكون رديئا وقد امكنه ان يكون انسانا او انسانا وقد امكنه ان يكون
ملكا وان يرد عليه قوة حياة وحياة مستردة ولم ان يخلق فيه
حياة موبدة ٥ ما يرى في عيوب الناس كنقص القادرين على التمام
وان اردت ان تعرف بقاء العلماء الاتقياء فاعتبره قاله امير المؤمنين عليه السلام
مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم
مفقودة واثارهم في القلوب موجودة وان اردت ان تشاهدهم
في الجنة يتنعمون فاستفد لعارثة حيث قال له صلى الله عليه وسلم
اصبحت مؤمنا حقا فقال صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة فما
حقيقة ايمانك فقال في جملة جوابه وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون
والى اهل النار يتعاوون فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عرفت
فالزم وارشد عنك عن طلب ذلك وادراكه الذين يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون فقد وصفهم تعالى
بالصمم والعمى اذ قال ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
ثم ذمهم بقوله اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ثم صرح بانهم ومن مرضاهم فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون فاخبر تعالى
انهم لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع القلب وبصيرته اللذين
بهما تنال حقائق المسموعات والمبصرات ذكر الفصول وابوابها

الصفحة الى الشيطان

الفصل الأول في احوال الانسان وقواه وفضيلته واخلاقه

في قوى الانسان

١ معرفة اهل الدنيا وما يشحونه ٢ غاية الانسان وكيفية تركيبه
٣ تقاسيم القوى الروحانية وكيفية ادراكها ٤ سائر جملة الانسان
على سائر الحيوان ٥ ما به يفضل الانسان ٦ كون الانسان
خليفة الله والملك ٧ ما لاجله اوجد الانسان ٨ السياسة التي
بها يتحقق ان الانسان خليفة الله تعالى ٩ الفرق بين مكارم الشريعة وبين
الجاه ١٠ كون الانسان في الارض ١١ كون طهارة النفس شرطا في صحة خلافة
الله تعالى وكل عبادة ١٢ فيما يفترق اليه في طهارة النفس ١٣
سائر منازعة الهوى للعقل ١٤ الفرق بين ما يشير به العقل
وبين ما يشير به الهوى ١٥ في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل
وحصر الخلق المحمودة بطهارة النفس ١٦ الفرق بين الخلق
والسجية والطبع والعادة والهوى ١٧ امكان تغيير الخلق ١٨
صعوبة اصلاح القوة الشهوية وما فيها من المنفعة والمضرة ١٩
ايجاد الانسان في الفضائل والرذائل بتعاطيها ٢٠ الفرق بين
تاثم ويذم من التخلق ٢١ سبب اختلاف الناس في اخلاقهم ٢٢
وجوب اكتساب الفضيلة المحمودة ٢٣ انواع نعم الله الموصوفة بالحسبة
٢٤ حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض ٢٥ الفضائل الحسمية ٢٦
الفضائل المطبقة بالانسان ٢٧ الفضائل التوقفية ٢٨ ما يتولد
من الفضائل النفسية ٢٩ في تلازم الفضائل النفسية بعضها ببعض

الصفحة الى الشيطان

[1] البواعث على فعل الخير وتحري الفضايل [2] الموانع من تحري الفضايل
[3] اقصى الأشياء في درجات الفضايل والأحذار عنها الى الرذايل [4]
بيان عادة الله تعالى في تهذيب الذين تردّدوا في الرذايل حتى فسدت
اخلاقهم [5] اصناف الناس **الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق**
وما يتعلق بها ويضادها [1] فضيلة العقل [2] انواع العقل المكتسب
من العقل الدنيوي والاخروي [3] منازل العقل [4] اختلاف اساميها
بحسبها [5] جلالة العقل وشرف العلم [6] [illegible] والعقل ومن
العلم والمعرفة والدراية والحكمة [7] رابع العقل [8] ثمرة العقل من
معرفة الله الضرورية والمكتسبة وغاية ما يبلغه الانسان من
ذلك [9] وجوب بعثة الانبياء عليهم السلام وقلة الاستغناء عنهم
[10] ما يعرف به صحة النبوة [11] كون العقل والرسل هادين للخلق الى الحق
[12] تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتدرب بالعلوم العقلية
[13] في الايمان والاسلام والتقوى والبر [14] في الايمان [15] في معنى الخبر الايمان
بضع وسبعون بابا [16] في انواع الجهل [17] كون العلم مركوزا في نفوس
الناس [18] احصر انواع المعلومات [19] فيما يعرف به فضيلة العلوم
[20] معاذير بعض الناس لبعض العلوم [21] الحث على تناول البلغة
من كل علم والاقتصار عليه [22] احوال الانسان في استفادة العلم وافادته
[23] ما يجب على المتعلم ان يتحراه مع المعلم [24] ما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلم
[25] وجوب منع الجهلة عن حقايق العلوم [26] وجوب ضبط المصدرين للعلم

ومضرة

ومضرة [1] اضداد ذلك [2] ذكر من يصلح لوعظ العامة [3] الحال التي
يجب ان يكون الواعظ عليها [4] صعوبة المعيار التي يعرف بها حقايق
العلوم [5] كراهية الجدل للعوام وذمه [6] ما يجب او يباح به الجدل
المماحل [7] الوجوه التي يقع من اجلها الشبهة والخلاف [8] سبب
اختلاف الناس في الاديان والمذاهب [9] النطق والصمت [10] الصدق
والكذب وصلاحهما [11] ما حسن من الصدق والكذب
انواع الكذب [12] [illegible] الداعي اليه [13] الذكر الحسن من المدح
والثناء والشكر [14] [illegible] [15] الكلام المستقبح
المزاح والضحك [16] الحلف **الفصل الثالث فيما يتعلق بالقوى**
الشهوية [1] احياء [2] كبر الهمة [3] الوفاء والغدر [4] المساومة [5] النصح
[6] كتمان السر [7] التواضع [8] الكبر [9] الفخر والعجب [10] انواع الملذات
وتفاصيلها [11] ما حسن تناوله من المطعم ومالا يصح [12] ما حسن تعاطيه
من المنكح ومالا يحسن [13] ذكر العفة [14] الصناعة والزهد [15] الورع
الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبية اما ينبغي من القوى
الغضبية [1] انواع الصبر وصحته [2] اسماء انواع الفزع والفرق
بينها [3] مداواة الغم وازالة الخوف [4] احوال الناس في محبة الموت
والاحتيال لقلة المبالاة [5] السرور والفرح [6] العذر والتوبة
[7] الحلم والعفو [8] ثوران الغضب وفضل كظمه [9] الغيرة والجوار [10]
الغبطة والمنافسة والحسد **الفصل الخامس في العدالة والظلم والمحبة والبغض**

[1] ذكر العدالة وفضلها [2] انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه [3] ما يحسن
ترك العدالة فيه [4] ذكر الظلم [5] الاسباب التي يحصل منها الاضرار [6]
ذكر المكر والخديعة والحيلة [7] غاية المحبة وانواعها فضيلة
المحبة [9] فضيلة الصداقة [10] ذكر المحبب في الناس [11] الحث على مصاحبة
الاخيار [12] فضيلة التفرد عن الناس ورذيلة [13] العداوة

الفصل السادس فيما يتعلق بالصناعة والمكاسب والانفاق والجود

والبخل [1] حاجة الناس الى احتماعهم للتظاهر [2] تسخير الله بعضهم الناس
للصناعات [3] كون الفقر وحوفه سبب نظام امر الناس [4]
مناسبة الابدان للصناعات المختلفة وعناية كل احد بما يختاره
وجوب الكسب [5] مدح السعي وذم الكسل [6] تقاسم الصناعات
وان اصول الصناعات ماخوذة عن وحي [7] في شان المناضل
المتعامل به وسر حكمة الله تعالى فيه [8] مدح المال وذمه [9]
ذكر المال والادب في اقتنائه والوجوه التي منها يحصل [10] سبب
اخفاق العاقل وانجاح الجاهل [11] تحقيق كون الملك في ايدي الناس
تفاوت احوال المتناولين لاعراض الدنيا [12] في ان ما ورد من الآيات
المتضمنة الظاهرة في شان الدنيا [13] احوال الناس في مراعاة امور الدنيا
والآخرة [14] سار حال من يحوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يحوز
له ذلك [15] ما ينال ارباب الدنايا من العقوبة الدنيوية ذكر الانفاق
المحمود والمذموم [16] ذكر حقيقة السخاء والجود والشح والبخل [17] فصلة

الجود

المنزلة

الجود وذم البخل [18] انواع الجود والمجود به

الفصل السابع في ذكر الافعال

[1] انواع الافعال [2] الفرق بين الفعل والعمل والصنع
[3] انواع الصناعات [4] الافعال الارادية وغير الارادية [5] ما يستحق به
مر الافعال اللوم وما لا يستحق به [6] الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها

فالباب الاول من الفصل الاول

مثل اهل الدنيا وما يشاكلها الانسان في هذه الدنيا كما قال امير المؤمنين
عليه السلام الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه مبدأ سفره
والآخرة مقصده وزمان حيوته مقدار مسافته وسنوه منازله
وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه يسار به سير
السفينة براكبها كما قال الشاعر

رأيت اخا الدنيا وان كان خافضا اخا سفر يسري به وهو ايدري

وقد دعى الى دار السلم كما قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام وقوله
لهم دار السلام عند ربهم وتوجه بها خواشرف الزهرات والذ
الثمرات جنات تجري من تحتها الانهار بل الجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين لكن لما كان الطريق اليها مضلة مظلمة قد استو
عليها اشرار الظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا كالسراج الذي
انزلها علينا نورا هاديا ومن عبادته التي امرنا بها حصنا واقيا وقال
في وصف نوره الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من

شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس ٥
فجعل المصباح مثلا للعقل والمشكوة مثلا لصدر المؤمن والزجاجة
لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة للدين وجعلها لا شرقية
ولا غربية تنبيها على انها محفوظة عن الافراط والتفريط كما قال تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والزيت القرآن وبين ان
القرآن يمد العقل مد الزيت المصباح وانه يكاد يكفي لوضوحه
وان لم يعاضده العقل ثم قال نور على نور اي نور القرآن ونور العقل
وبين انه يخص بذلك من يشاء وقال في وصف ما جعله الله لمن احب
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي المتحصنين بعبادتي فمن لم يقم
برعاية نوره وحماية حصنه عمه في دجاه وتمكن من استغوايه عداه
كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون فمن لم يتزود
من دنياه زاده كما امره تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ٥ خابت
رحلته فيسترجع منه ما اعير من جسده وذاته يده فيتحسر حين
لا يغني تحسره ويقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من
المؤمنين ويقول هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل لحينه لا اسفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا وايضا فالانسان في دنياه حارث وعمله حرثه ودنياه محرثة

ووقت

ووقت الموت وقت حصاده والآخرة بيدره ولا يحصد الا ما زرعه ولا يكمل
الا ما حصده ولهذا قال من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وكما ان في البيدر
مكاييل وموازين وامناء وحفاظا ومشاهدين كذلك في الآخرة مثل ذلك
كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان
كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم بالحق وكما ان في البيدر تذرية وتمييزا بين النقاوة والحطام
كذلك في الآخرة تمييز بين الحسنات والآثام كما قال تعالى ليميز الله
الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجعله في جهنم وقال في عمل الكفار والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
وقال تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء وقال تعالى وقدمنا الى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فمن عمل الآخرة بورك في كيله ووزنه
وجعل له منه زاد الى ابد كما قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ومن عمل الدنيا
خاب سعيه وبطل عمله كما قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين
ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ٥

فاعمال الذهن اكثر تارة الخلاف بل كالة فلى والحنظل في الربع يرى
غضا الاوراق اراد اجتنى الحصار الينبل طايلا واذا اخضر جتناه
في البيدر حصايلا وتسل اعمال الآخرة كشجرة النخل والكرم المستقيم
المنظر في الشتاء اذا جان وقت القطاف والاجتنا افادتك زادا
واذخرت منها عدة وعتادا والى نحو ما اشار تعالى بقوله ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار ولما كانت زهرات الدنيا رايقة
المظاهر خبيثة الباطن نهى تعالى عن الاغترار بها فقال
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى **باب**
ماهية الانسان وكيفية تركيبه الانسان مركب من جسم مدرك
بالبصر ونفس مدركة بالبصيرة واليهما اشار تعالى بقوله
اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقعوا
له ساجدين فالاشارة بالروح الى النفس واضافته تعالى الروح
الى نفسه تشريف له وعنى بها النفس المذكورة في قوله تعالى
اخرجوا انفسكم ووجود النفس في الانسان لا يحتاج ان يدل عليه
لوضوح امره بل بنية الجاحد لها والغافل عنها بانها هي التي تحصل

في

في البدن تحصل الحياة والحركة والحس والعلم والرأي والتمييز
ويكون الجسم متصرفا بها وحاملا ومستحسنا ومستطابا
ويفقدها عدم هذه الاشيا فيصير جيفة تحتاج الى حفر تحمل فيها
محل الاعراض الروحانية كالجسم في كونه محلا للاعراض الجسمانية
وقد حث الله تعالى على تدبر النفس والتفكر فيها وجعل معرفتها مقدمة
لمعرفته في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وقال تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
وكان يقال في الامم السالفة من انكر الباري رحم لكونه جاحدا ومن انكر
النفس رحم لكونه جاهلا وقيل كان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك
يا انسان تعرف ربك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اعرفكم بربه اعلمكم بنفسه بل قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون تنبيها انهم لما نسوه تعالى
دل نسيانهم اياه على نسيانهم لها وقال الحكماء ومدرك الله تعالى
الانسان تركيبا محسوسا معقولا على هيئة العالم واوجد فيه شبه
كل ما هو موجود في العالم حتى قيل الانسان عالم صغير ومختصر للعالم
الكبير وذلك ليدل به على معرفة العالم فيتوصل بهما الى معرفة
صانعهما فغاية معرفة الانسان لبارئه تعالى ان يعرف العالم
فيعلم انه موجود وان له موجدا ليس مثله تعالى الله **باب في**
قوى الانسان قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدل على وجودها

فيه

فيها يظهر من تاثيرات قوة الغذاء وهي النشو والتربية والولادة
وقوة وهي الاحساس واللذة والالم وقوة التخيل وبها تصور
اعيان الاشياء بعد غيبوبتها عن الحس وقوة النزوع وبها تكون الطلب
للموافق والهرب من المخالف والرضى والغضب والايثار والكراهية
وقوة التفكر وبها تكون النطق والعقل والعلم والحكمة والروية والتدبير
والمهنة والراى والمسورة فاما القوى المدركة منها فخمس الحواس
الخمس والخيال والفكر والعقل والحفظ فاما الحواس
فلكل واحدة منها ادراك مخصوص فللمس عشر ادراكات الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والرخاوة والثقل
والخفة وللذوق سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة
والعفوصة والتفهة وللشم اثنان الطيب والنتن وللسمع اثنان
الصوت البسيط والكلام المركب منه وللبصر احدى عشر
النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وابعاده
وحركاته وسكناته واعداده فادون هذه الادراكات اللمس ثم
الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستعين بها الا فيما يعود بمعونتها الى
صلاح الجسم وارفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس وقد
الا ان العقل والفكر يدركان الاشياء الروحانية فاما السمع والبصر
متوسطان فانهما يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس اكثر ويدركان
الاشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع

والبصر

والبصر فياخذ بارة من السمع والبصر ويسلم الى العقل والفكر ولذلك
في حال اليقظة ويأخذ تارة من العقل والفكر ويسلمه الى الحس والصور
وذلك في حال النوم ولما كان تاثير هذه القوى من الدماغ مثل مسكن
الفكر وسط الدماغ ومسكن الخيال مقدمه ومسكن الحفظ والذكر
مؤخره ولما كان قوام الدماغ بل قوام الجسم كله من القلب الذي هو
منشاء الحرارة الغريزية صار في كلام الناس يعبر عن هذه القوى
مرة بالدماغ فيقال فلان دماغ اذا قوى منه هذه القوى المدركة
وفلان خالي الدماغ اذا ضعف منه هذه القوي ويعبر عنها تارة
بالقلب والثاني اكثر وعلى ذلك قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب ولما كان ادراك اكثر هذه الحقايق بهذه القوى الثلاث
القلب والسمع والبصر عظم الله تعالى المنة على الانسان باعطائه
اياها وحمد من استعملها وذم من عطلهما وقال تعالى وجعل لكم السمع
والابصار والافيدة وقال تعالى وذم من لا ينتفع بها لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وقال تعالى
صم بكم عمي فهم لا يعقلون اي لا يعقلون المعنى لانهم لا يسمعون
الاصوات ولا يبصرون الذوات وجعلهم بكما من حيث انهم لا
يوردون معنى مستنبطا بالفكر ومدركا بالعقل واعلم ان السمع والبصر
كالاخوين يخدم كل واحد منهما صاحبه في ادراكه فقد يفوت السمع
عن البصر في ابلاغ القلب ما يأخذ من اللفظ فيدرك في سلخة ما

لا يدرك البصر في برهة ويفوت البصر عن السمع في ابلاغ القلب مطالعة
الكتب لا يدرك السمع في مدة سيما اذا كان المخاطب ناقص
العبارة او غير متثبت في الكلام او دقيق المعنى وغمض ما
تعاون القوى الروحانية وكيفية ادراكاتها القوى الروحانية
متعاونات في ادراكهن برسوم المعلومات فان الخيال يصور من
المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فينتقش به انتقاش الشمع
بصورة الختم ثم يأخذها الفكر فيميز بعضها عن بعض بنور العقل
فيبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم يؤديها الى القوة الحافظة
فان اراد ابرازه سلط عليه القوة الناطقة فيعبر عنه باللسان
وان اراد ابرازه فعلا سلط عليه القوة العاملة فيوجده بالجوارح
وقد ذكر بعض الحكماء مثلا لهذه القوى يقرب منه تصور تاثيرها
فقال ان القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ بمنزلة الملك يسكن
وسط المملكة والخيالية ومسكنها مقدم الدماغ جارية محرى
صاحب بريده والحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ جارية مجرى
خازنه والقوة الناطقة جارية مجرى ترجمانه والعاملة جارية
مجرى كاتبه والحواس جارية مجرى الجواسيس واصحاب الاخبار
الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الاخبار فيلتقط كل واحد الخبر من
الصقع الذي وكل به فيرفعه الى صاحب البريد وصاحب البريد
يسقط منه ما راه حشوا ويرفع الباقي صافيا الى حضرة الملك فيميزه

ويعرف

ويعرف منافعه ومضاره ويسلم الخزانة الى وقت الحاجة اليه
حينئذ يتقدم باخراجه فالواجب ان الادراك والاستخبار
فيها بغيره وافعالا يتقرد بها وبنفسه والافعال التي هي الى نفسه
اشرف مما يفوضه الى غيره كذلك للقوة افعال يفوضها الى غيرها
وافعال يختص بها وهي الروية والفكر والاعتبار والتصور
والفراسة والفراسة فالروية تدبير الامور والفكر استخراج
المنافع والاعتبار تحصيل العبرة والقياس اسقاط
المجهول بتوسط المعلوم والفراسة الاطلاع على الاسرار
ونحو هذا المثال ما روي عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال دخلت على
عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هادياه وادناه فمه ولسانه
ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريده والقلب ملك فاذا طاب الملك
طاب جنوده فقالت هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب فضيلة الانسان على سائر الحيوان

للانسان فضل على سائر
الحيوانات كلها في نفسه وجبلته اما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة
التي بها العقل والعلم والحكمة والتدبير والرأي فان البهايم وان كانت
كلها تحس وبعضها يتخيل فليس لها فكر ولا روية ولا استنباط المجهول
بالمعلوم ولا يعرف علل الاشياء واسبابها وليس في قواها تعلم
الصنعات المتخيلة واقواها في ذلك الفيل والقرد واما فضله في
جسمه فباليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة الدالة على

استيلاءه على كل ما في العالم وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين وبقوله تعالى
وصوركم فاحسن صوركم ولم يعن الصورة التخطيطية وقط بل عنا بها
الصورة المعقولة ولتشريفه تعالى اياه بذلك قال تعالى ولقد كرمنا
بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا ومن زعم ان الانسان خلق خلقة ناقصة
عن الوحشيات من حيث لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط
سلاحا كما اعطى كثيرا منها فنظره ناقص اذ قد اعطى الانسان بدله
التمييز الذي يمكنه ان يتحذ كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريده
فيتناوله متى اراد ويضعه متى اجب ثم لو اعطي الانسان بعض
الاسلحة التي اعطيته لم يمكنه ان يستعمل غيره كالوحشيات
وايضا فلو اعطي ذلك لكان من الحق ان لا يعطى التمييز لانه حينئذ
كان يستغني عنه فيبطل فايدته وفعل الله منزه عن ذلك ان قيل
فكيف قال تعالى خلق الانسان ضعيفا فاستضعفه قيل ضعفه
بالاضافة الى الملاء الاعلى لما فيه من الحاجات البدنية التي قد بينا
واعلم ان كل ما اوجد في هذا العالم فانما اوجد لاجل الانسان اما لابقائه
به كالخيل والبغال والاغذية له كالبقر والغنم والحبوب والثمار
وما لا يعرف الانسان نفعه فليس يخرج من كونه نافعا وانما
لاسلاع ما ينتفع به الانسان كالعشب والحشرات وقد بين الحكماء

نفع

نفع جلها وما لا سبيل لبعضنا او كلنا الى معرفة نفعه فليس
جهلنا به قادحا في حكمة الله تعالى في ايجاده فرب شيء جهلنا
نفعه وقد سخر لمعرفته بعض الحيوان كالشجر الذي فيه العسل
بالقوة وما سخر لمعرفته واستخراجه الا النحل وما اليق
من انكر حكمة الله تحمله به ان ينشد وما على بان لا يفهم البقر

باب بيان علة به يفضل انسان الانسان

ان كان ويكونه
انسانا افضل من وجود فلك بشرط ان يراعى ما به يتحقق
انسانا وهو العلم والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى فيه
يفضل وهذا قيل الناس ابناء ما يحسنون اي ما يعرفون ويعلمون
من العلوم والاعمال الحسنة يقال احسن فلان اذا علم واذا عمل
حسنا فاما الانسان من حيث ما يتغذى وينسل فنبات
ومن حيث ما يحس ويتحرك بالارادة فحيوان ومن حيث الصورة التخطيطية
فكصورة في جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه
ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة او صورة
ممثلة فالانسان بصنائع الملك بقوة النطق والعلم والفهم
وبصنائع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح فمن صرف همته كلها
الى تربية الفكرة بالعلم والعمل فحليق ان يلحق بافق الملك
فسمي ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن
صرف همته كلها الى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات

على تحت القوة في من اضاعها والحمد لله اذا لم يفهم

البدنية يأكل كما تأكل الانعام فخليق ان يلحق بافق البهايم ويصير
غمرا كثور واما شرها كالخنزير او ضرعا كالكلب او حقودا كالجمل او متكبرا
كنمر او ذا روغان كالثعلب او جمع ذلك كله كشيطان مريد وعلى ذلك
قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ٥
ولكون كثير ممن صورته صورة الانسان وليس هو في الحقيقة
الا كبعض الحيوان قال تعالى والذين لا يعقلون عن الله هم ان
هم الا كالانعام بل هم اضل وقال تعالى ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون فبين ان الذين كفروا ولم يستعملوا
القوة التي جعلها الله لهم شر الدواب وقال تعالى ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي مثل واعظ
الكافرين كمثل راعي الغنم سمعها فما يقال لهم كالبهائم وهذا النظر
عبر الشاعر عن بعض من ذمه وقال

اللوم اكرم من بر ووالده ... واللوم اكرم من بر وما ولدا

تنبيها انه لا يستحق ان يقال له من الكوهبة وعلى هذا
قال المتنبي

تخطى اذا جئت باستفهامها بمن ... ولما ذكرنا المركب من بعض هذه الانواع من البهائم ما بين
انسان وانسان فانك قد ترى واحدا كعشرة وعشرة كمائة
وعشرة اخرى هدرة دون واحد كما قيل لامرأة في منامها اعشرة
هدرة احب اليك ام واحد كعشرة فقالت بل واحد كعشرة لابل

ترى واحدا

ترى واحدا كالف والفا مثل واحد كهول الشاعر
ولم ار امثال الرجال تفاوتت ... لدى المجد حتى عد الف بواحد
بل قد يرى واحدا كعشرة آلاف ويرى عشرة آلاف دون واحد
كما قال صلى الله عليه وسلم وهو اصدق قيلا الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة والابل في تعارفهم اسم لمائة بعير
فمائة ابل هي عشرة آلاف بعير بل لو قيل قد يرى واحد كعالم
وعالم كواحد لجاز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وزنت بامتي
فرجحتهم وعلى هذا قال ابو نواس

ليس من الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

باب كون الانسان من البهيمة والملك

الانسان لما ركب تركيبا من بهيمة وملك فشبهه بالبهايم مما فيه من الشهوات
البدنية من المآكل والمشارب والمناكح وشبهه بالملك
بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدالة والجود صار
واسطة بين جوهرين رفيع ووضيع ولهذا قال تعالى وهديناه
النجدين فالنجدان امر وجهي العقل والهوى ومر وجهي الآخرة
والاولى ومر وجهي الضلالة والهدى ومر وجهي موالاة الله تعالى
وموالاة الشيطان المذكوران في قوله عز وجل الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات ومر وجهي النور والظلمة المذكورتان

الطاغوت يقال للاصنام والشيطان ومن الانس والجن

هدرة

في هذه الآية اى الفضيلة والنقيصة ومن وجه الحياة والموت
المذكوران في قوله تعالى أو من كان ميتا فاحييناه فمن وهبه الله
الهدى واعطاه قوة لبلوغ المدى فراعى نفسه وزكاها فقد افلح
ومن حرمه التوفيق فاهمل نفسه ودساها فقد خاب وخسر
كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم
ما اجله اوجد الانسان الانسان من حيث هو انسان وكل واحد
كالاخر شرف وغرض يجد من صاحب الاقاليم ارض مربية والناس من رجل
وانما يشرف بان يوجد كاملا في المعنى الذي لاجله اوجد وبيان
ذلك ان كل نوع اوجده الله في هذا العالم او هدى بعض الخلق الى
ايجاده وصنعته فانه موجد لفعل يختص به وله غرض لاجله
خص بما خص به كالبعير انما خص بذلك ليبلغنا واثقالنا
الى البلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس ليكون لنا جنابا
نطير به والمنشار والمنحت ليصلح بهما الباب والسرير ونحوهما
والباب لنحرز به البيت فالفعل المختص بالانسان بالاثنة
عمارة الارض المذكوره في قوله تعالى واستعمركم فيها وذلك
تحصيل ما به تزجية المعاش لنفسه فقط او لنفسه وغيره وعبادة
المذكوره في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وذلك بالامتثال للباري عز وجل في اوامره ونواهيه وخلافته
المذكوره في قوله تعالى ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

تعملون وغيرها

وعرفها من الآيات وذلك بان الاقتدار الباري عز وجل على قدر
طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة ومكارم
الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة والحلم والاحسان
والقصد منها ان يتبلغ بذلك الى جنة المأوى وجوار رب العزة
تعالى وكل ما اوجد لفعل ما فشرفه لتمام وجود ذلك
الفعل منه ودناءته لفقدان ذلك الفعل منه كالفرس للعدو
والسيف للعمل المختص به في القتال ومتى لم يوجد فيه المعنى
الذي لاجله اوجد كان ناقصا فاما ان يطرح طرحا او يرد
الى منزلة النوع الذي هو دونه كالفرس اذا لم يصلح للعدو
اتخذ حمولة او اعد الة ومن لم يصلح لخلافة الله تعالى
والعبادة ولا استعمار ارضه فالبهيمة خير منه ولذلك
قال تعالى في ذم الذين تكلموا هذه الفضيلة ان هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا باب السياسة التي بها يستحقون خلافة الله تعالى
قد تقدم ان الخلافة تستحق بالسياسة وذلك بتحري
مكارم الشريعة والسياسة ضربان سياسة الانسان
نفسه وبدنه وما يختص به والثاني سياسة غيره من ذويه
وبلده ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه
ولهذا ذم الله تعالى من ترشح لسياسة غيره فامر بالمعروف
ونهى عن المنكر وهو غير منته في نفسه فقال تعالى

أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى لم تقولون ما
لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اى هذبوها قبل
الترشح لتهذيب غيركم وبهذا النظر قال تفقهوا قبل ان تسودوا
تنبيها انكم لا تصلحون للسيادة قبل معرفة الفقه والسياسة
العامية ولان السايس تجرى من المسوس مجرى ذى الظل من الظل
ومحال ان يعوج ذو الظل ويستقيم ظله والحالة ان يهتدى
المسوس مع كون السايس ضالا قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يأمر بالفحشاء والمنكر فحكم الله محال ان يكون مع اتباعه
الشيطان يأمر الا بالفحشاء **باب الفرق بين مكارم الشريعة**
وبين العبادة وعمارة الارض اما مكارم الشريعة فمبدأها
طهارة النفس بالتعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة ونهايتها
التخصص بالحكمة والجود والحلم والاحسان فبالعلم يتوصل
الى الحكمة وباستعمال العفة يتوصل الى الجود وباستعمال الصبر
يدرك الشجاعة والحلم وباستعمال العدالة تصح الافعال ومن
حصل له ذلك فقد تدرع المكرمة المعنية بقوله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وصلح لخلافة الله عز وجل
وصار من الربانيين والصديقين والشهداء واعلم ان العبادة

التخصص

اعم

اعم من المكرمة فان كل مكرمة عبادة وليس كل عبادة مكرمة ومن
الفرق بينهما ان للعبادات فرائض معلومة وحدودا مرسومة
وتاركها يصير ظالما معتديا والمكارم بخلافها ولن يستكمل الانسان
مكارم الشرع ما لم يقم بوظايف العبادات فتجرى العبادات من
باب العدل وتجرى المكارم من باب الاحسان والاتقبل نفل
من اهمل الفرض ولا يفضل من ترك العدل ولا يصح تعالى
التفضل الا بعد العدل فان العدل فعل ما يجب والتفضل
زيادة على ما يجب وكيف يصح تصور الزيادة على شئ هو غير
حاصل فى ذاته ولهذا قال لا يستطيع الوصول من ضيع الاصول
فمن شغله الفرض عن الفضل معذور ومن شغله الفضل عن
الفرض مغرور وقد اشار تعالى بقوله بالعدل الى الاحكام وبالاحسان
الى المكارم فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون ففعل الخير هو الزيادة على العبادة واما
عمارة الارض فالقيام بما فيه تزجية الحياة وصلاح المعاش
فالانسان الواحد من حيث لم يكف امر معاشه بانفراده من
مأكله وملبسه ومسكنه ولم يكن له سبيل الى ثباته فى الدنيا
الا بما يسد جوعته ويستر عورته ويقيه من الحر والبرد لم
يكن له بد من تحصيل ذلك ولذلك قال عز وجل

وان تفضل

ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومتى
كان سعي العبد في ذلك على الوجه الذي يجب وكما يجب كان
سعيه عبادة وجهادا في سبيل الله كما قال صلى الله عليه وسلم
من طلب رزقه على ما يسن فهو في جهاد ومتى لم يكن على ذلك
فسعيه هباء منثور كما قال الله تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكان فيما يتولاه
خادما للناس مسخرا بلا ارادة منه لخدمتهم حتى كانه من جملة
البهايم التي سخرها الله لعباده فامتن عليهم بها في قوله تعالى
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة يا

كون طهارة النفس شرطا في صحة خلافة الله تعالى وكمال عبادته

لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه الا من
كان طاهر النفس قد ازيل رجسه وخبثه والنفس نجاسة كما
للبدن نجاسة لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة
النفس لا تدرك الا بالبصيرة واياها قصد بقوله تعالى انما
المشركون نجس وبقوله تعالى والرجز فاهجر وبقوله تعالى كذلك
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وانما لم يصلح لخلافة الله
تعالى الا من كان طاهر النفس فان خلافته هو الاقتداء به على قدر
طاقة البشر في تحري الافعال الالهية ومن لم يكن طاهر الفعل
لم يكن طاهر النفس فكل اناء بالذي فيه يرشح ○

وان

ولن يعجز مسك السوء عرق السوء ولهذا قيل من طابت نفسه
طاب عمله ومن خبثت نفسه خبث عمله وقال صلى الله عليه وسلم
المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله بل قد اشار تعالى الى ذلك
بقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات وقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا واجل انه لا يطيب
عمل من خبثت نفسه قال الله تعالى اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى وقال بعضهم في قوله لا يدخل الملايكة بيتا فيه
كلب انه اشار بالبيت الى القلب واشار بالكلب الى الحرص
والجسد وخبثهما ونبه ان نور الله تعالى لا يدخل في قلب اذا
كان فيه ذلك واستدل على صحته ان الحرص يقال له الكلب
وانه يقال فلان احرص من كلب ويقوي ذلك ما روي ان التقوي
لا يسكن الا قلبا نظيفا وفي الطهارتين اشار تعالى بقوله وثيابك
فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن البدن كقول الشاعر
ثيابي بنعوف طهارى نقية ○ وقال تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وقد قال بعض الحكما انما سمي
الحواريون بذلك لانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم
الدين والعلم من قولهم حورته اي بيضته وما روي انهم كانوا

قصد الاشارة الى هذا المعنى وان كان مما لم يختص بمعرفة الحذاق
فنبه بذكر هذا التفسير المهنة المتعارفة بين العامة **باب**
فيما يفرغ اليه في طهارة النفس الذي يطهر به النفس حتى
يتهيأ لخلافة الله عز وجل ويستحق به ثوابه هو العلم والعبادة
الموظفة التي هي سبب الحياة الاخروية كما ان الذي يطهر
به البدن الماء الذي هو سبب الحياة الدنيوية ولذلك
سماهما الحياة وسمى ما انزل الله تعالى من كتبه ماء فقال
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فسمى العلم
والعبادة حيوة من حيث ان النفس اذا فقدتهما هلكت
هلاكا لا بد كما قال تعالى في صفة الماء وجعلنا من الماء كل شيء
حي افلا يؤمنون وقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها قال ابن عباس رضي الله عنه عنى بالماء القرآن
اذ كان به طهارة النفس وقال والاودية القلوب احتملته
بحسب ما وسعته قال بعض العلماء في قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا وقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به انه عنى القرآن لقوله تعالى وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واجود بصحة قوله فان
الماء المنزل من السماء المختص بالطهارة الذي لا يسد غيره

من

١٥

مر المياه مسده هو هذا الماء عنى كلام رب العزة فاما المختص
بطهارة البدن فقد يسد غيره مسده في الطهارة لان الذي
ينبع من الارض يعمل عمله والذي يلزم تطهيره من النفس
هو القوى الملاث فوه الفكرة تذيبها حتى يحصل الحكمة ٢
وفوه الشهوة بقمعها حتى يحصل العفة والجود ٣ وفوه الحمية
بإسلاسها حتى تنقاد للعقل فيحصل السجاحة والحلم ٤
وتتولد من احتماع ذلك العدالة فجميع الرذايل تنبعث من فساد
هذه القوى اما من فساد الفكرة فيتولد منها الجربزة او
البلة واما من فساد القوة الشهوية فيولد منها الشرة او الخمود
السهوة واما من فساد الحمية فيولد منها التهور او الجبن
ومن حصول هذه الاشياء او حصول بعضها حصل انما الظلم
او الانظلام فجميع رؤس الفضايل الخلقية اربعة وجميع
رؤس الرذايل الخلقية ثمانية **باب سان**
مناوعة الهوى للعقل اعلم ان مثل نفس الانسان في
بدنه كمثل وال في بلده وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة
والعقل له كمشير عالم ناصح والشهوة فيه كعبد سوء جالب
للمضرة والحمية له كصاحب شرطة والعدل جالب للمنفعة
حيث ما كر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه ذنب
العقرب ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل سلحة عن

التغلب ظهور الشيء من الشيء
الطهر اصح الملازم
من العرس فيتولد

يتمثل اي يتشبه

منازعته ومعارضته وكما ان الوالي في مملكته متى استشار في
تدبير مملكته وزيره دون هذا العبد الخبيث وادبه صاحب شرطته
وجعله مؤتمرا لوزيره وسلطه على هذا العبد وتبلكه حتى يكون
هذا العبد مسوسا لاسايسا ومدبرا لا مدبرا اسقام اليه
كذا ايضا النفس متى استعانت بالعقل في التدبر وادبت
الحمية وسلطته على الشهوة وقواها استتب امرها ولهذا
قد حذرنا الله تعالى غاية التحذير من اتباع الهوى وقال تعالى
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال تعالى في ذم من اتبعه
ارايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى
اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى
في مدح من عصاه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى وقال صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك اشارة الى الهوى ٥ والعقل وان كان
اشرف القوى وبه صار الانسان خليفة الله تعالى في العالم
فليس داؤه الا الاشارة الى الصواب لطبيب يشير الى المريض بما
يرى فيه برؤه فان قبل منه المريض والا سكت عنه ولذلك جعل له
الحمية لتكون نايبة عنه في المدافعة والممانعة وهذا الا يتبين
فضيلة العقل من الحمية له وبهذا النظر قيل المرء من لا سفيه له
ولا الهوى الاسود الذي يدعو الى
تعدوا الذياب على من لا كلاب له وتتقي مرض المستاسد الحامي

وايضا
المشتهي ما لا يسد
الجزاة

وايضا مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله
وعقله خليفة مولاه ضم اليه ليسدده ويرشده ويشاوره وعليه
فيما يفعله اذا عاد الى حضرة مولاه وبدنه بمنزلة فرس دفع اليه
ليركبه وشهوته سايس خبيث ضم اليه ليتفقد فرسه ولا
قدر لهذا السايس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب اتاه من مولاه
فقد ضمن له كل ما يحتاج اليه عاجلا وآجلا كما وصفه تعالى
وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وقوله تعالى
ما فرطنا في الكتاب من شيء والنبي صلى الله عليه وسلم رسول
اتاه بالكتاب يبين له ما يشكل عليه مما يقرأه من الكتاب وقبيح
ان ينسى هذا الوالي مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يعرض له
وينقضه ويصرف همه كله الى تفقد فرسه وسايسه ويقيم
سايس فرسه مقام خليفة ربه ومن وجه اخر الانسان
من حيث ما جعله الله عز وجل عالما صغيرا وجعل بدنه كمدينة
والعقل كملك مدبر فيها وقواه من الفكر والخيال والحواس كجنده
واعوانه والاعضاء كرعيته والشهوة كعدو ينازعه في مملكته
ويسعى في اهلاك بدنه صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم
فيه مرابط فان جاهد اعداءه فهزمها واسره فقهره على ما يحب
وكما يحب جمعا شره اذا عاد الى حضرته كما ضمنه تعالى حيث يقول
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة

وكلًّا وعد الله الحسنى فدفع الهوى اعظم جهاد كما قال صلى الله عليه وسلم
وقد سئل اي الجهاد افضل فقال جهادك هواك ٥ وان
ضيع ثمرة العمل ريعيته ذم اثره اذا عاد اليه كما قال صلى الله عليه وسلم
كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ان الله تعالى يقول للكافر
يوم القيامة ما دعاك الى السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤد
الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك وايضا مثل العقل
مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى
كان الفارس حاذقا وفرسه مرتاضا وكلبه معلما فهو قمين
بادراك حاجته من الصيد ومتى كان مواخرق وفرسه جموحا
اوحرونا وكلبه عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا الكلبه
يسلس معه مطيعا فهو قمين ان يعطب فضلا ان يدرك ما طلب ٥
وللانسان مع هواه بلايا احوال الاولى ان يغلبه الهوى
فيهلكه كما قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ٢ والثانية
ان يغالبه فيقهره مرة ويقهره مرة واياه قصد بمدح المجاهدين
وعناه النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون
اعداءكم ٣ والثالثة ان يغلب هواه ككثير من الانبياء وبعض الصفوة
من الاولياء ولهذا المعنى قصد بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ٢ وقصد النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله ما من احد الا وله شيطان وان الله

قد

قد اعانني على شيطاني حتى ملكته ٥ فان الشيطان تسلط على
الانسان بحسب وجود الهوى فيه باب
الفرق بين ما يشير به العقل وما يسومه الهوى من شان
العقل ان يرى ويختار الافضل والاصلح في العواقب وان
كان على النفس في المبدأ مؤونة ومشقة ٢ والهوى على الضد
من ذلك فانه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت وان كان
يعقب مضرة مرة من غير نظر منه في العواقب ٥ كالصبي الرمد
الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس على اكل الاهليلج
والحجامة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات وايضا فالعقل يرى صاحبه
مالكه وما عليه والهوى يرى ما عليه دون ماله ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم حب الشيء يعمي ويصم ولذلك ينبغي
للعاقل ان يتهم رأيه ابدا في الاشياء التي تهوى له ولا عليه
ويظن انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصي النظر فيه
قبل امضاء العزيمة وحتى قيل اذا عرض لك امران
ولم تدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لان الهوى فاكثر الخير
في الكراهة قال الله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وقال تعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
وايضا فان ما يرى العقل يتقوى اذا فزع فيه الى الله عز وجل

بالاستعارة ويستدل عليه العقول الصحيحة اذا فرع اليها
بالاستشارة ويشرح له الصدر اذا استعين فيه بالعبادة
وما يشهد به الهوى ضد ذلك وايضا فالعقل يرى ما يرى
بحجة وعذر والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل وربما تشبه
الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة وحجة موهمة
كالعاشق اذا سئل عن عشقه والمتناول لطعام رديء
اذا سئل عن فعله قال بعض الحكماء اذا مال العقل نحو مولم
جميل والهوى نحو ملذ قبيح فتارة يحسب عرضيهما وتجاذبهما
الى القوة المدبرة بادر نور الله تعالى الى نصرة العقل ووساوس
الشيطان الى نصره الهوى كما قال تعالى الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات فمتى كانت القوة المدبرة من
اولياء الشيطان لم تر نور الحق فعميت عن نفع الآجل واغترت
بلذة العاجل وجنحت الى الهوى كما قال الله تعالى أفرأيت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كانت من حزب
الله واوليائه اهتدت بنوره فاستبانت بلذة العاجل
وطلبت سعادة الآجل كما قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

طايف

واخوانهم

اي تذكروا بتقوى الله
وما امر من اتباع الشيطان فيهم

واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ٥ ومنه تعالى على فساد
الهوى قوله ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض
ومن فيهن ٥ اي لو اعطى كل انسان ما يهواه مع ان كل واحد يهوى
ان يكون اغنى الناس واعلاهم منزلة وان ينال في الدنيا الخير الابدي
بلا مزاولة ولا تعلم لكان في ذلك فساد العالم وقيل في قوله عز وجل
الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت
وفرعها في السماء الآية انه ضرب الشجرة الطيبة مثلا للعقل
والخبيثة للهوى ففرع الطيبة النور والاسلام وفرع الخبيثة
الكفر والضلال ان قيل ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل
الشهوة ضربان محمودة ومذمومة فالمحمودة ما فعل الله سبحانه وتعالى
وبنى قوة جبلت في الانسان يشعف بها النفس لنيل ما يظن
ان فيه صلاح البدن والمذمومة ما فعل البشر وهي استجابة النفس
لما فيه لذة بالدنية فالهوى هو هذه الشهوة اذا غلبت واستتبعت
الفكرة وذلك ان الفكرة بين العقل والسهو فالعقل قوتها والشهوة
تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفعة فولدت
المحاسن واذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة
وولدت المقابح والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة
الهوى تارة ولذلك قد يسمى الهوى ارادة

في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل والهوى

اول ما يعرض

مز ذلك السالك ثم الخاطر والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير
وتصديق بالحق واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب
بالحق ثم قراءة الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء ثم مر بعدها
الارادة ثم العزم ثم العمل فالسالك علة الخاطر والخاطر علة
الارادة والارادة علة العزم فالسالك والخاطر يعبر عنهما
بالهاجس والهاجس يتجافى عنهما مالم يصير ارادة وعزما فحق
الانسان اذا خطر له خاطر ان يسبره جلا فان وجده
خيرا اراده حتى جعله فعلا وان وجده شرا بادر الى قمعه
وقلعه قبل ان يصير ارادة ويطهر منه قلبه تطهير ارضه
من خبيثات النبات وهذا المعنى اراده الحسن بقوله رحم الله
امرا وقف عند همه فان كان لله مضى والا كف قال بعض الحكماء
ان تدارك الخطرة اضمحلت والا صارت شهوة وان تدارك الشهوة
اضمحلت والا صارت طلبا وان تدارك الطلب اضمحل والا صار
عملا قال بعض الحكماء ان ولي الله اذا انتهلمة الشيطان انزع
لذلك ورأى ببصيرته ظلمة ووجد روعة واذا انتهلمة الرحمن
انشرح صدره واولياء الشيطان بخلافه لقوله تعالى واذا ذكر
الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون باب حصول الخلق المحمودة بطهارة النفس

قد

على

اشمأزت

19

قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلاث فاصلاح الفكر
بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد وبين الصدق والكذب
في المقال وبين الجميل والقبيح في الفعال واصلاح السبعية بالعفة
حتى تسلس بالجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة واصلاح الحمية
بالسلاسة حتى تحصل الحلم وبوقف النفس عن قضاء وطر الغضب
وتحصل السجاعة وبوقف النفس عن الخوف وعن الحرص المذمومين
وباصلاح القوى الثلاث تحصل للنفس العدالة وهذه جماع
المكارم وطهارة النفس وحسن الخلق المحمودة بقول النبي صلى الله عليه وسلم
اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا والطفهم باهله وبعني
باللطافة بالاهل تاديبهم وتاديبهم المشار اليه بقوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة والممدوح ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم احبكم الي احاسنكم
اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقيل جملة الحارم
في قوله عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
وذلك انه بالايمان تحصل العلم والحكمة وذلك باصلاح الفكرة
وبالمجاهدة بالاموال والانفس تحصل العفة والجود اللذان بهما تابعان
لاصلاح السبعية والشجاعة والحلم اللذان بهما تابعان لاصلاح الحمية
وعلى ذلك قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

الجاهلين ١٤

قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير ذلك ان تعفو عمن ظلمك
وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن ظلمك نهاية
الحلم والسماحة واعطاء من حرمك نهاية الجود ووصل من
قطعك نهاية الاحسان **باب القول في الطبع والسجية**
والخلق والعادة الطبع اصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة
المخصوصة في الحديد وكذلك الطبيعة والضرب بعد اعتبارا
بضرب الدرهم والنحيتة اعتبارا بالنحت والنجيرة اعتبارا
بنجر الخشبة والغريزة اعتبارا بالمغرز عليه وكذلك اسم
للقوة التي لا سبيل الى تغييرها والشيمة اسم للحالة التي عليها
الغريزة اعتبارا بالشامة التي في اصل الخلقة والسجية اسم
لما سجي عليه الانسان من قولهم عز ساجية اي ساكنة فاترة خلقة
واكثر ما يستعمل ذلك فيما لا يمكن تغييره واما الخلق ففي الاصل
كالخلق كقولهم الشرب والشرب والصرم والصرم لكن الخلق يقال
في القوى المدركة بالبصيرة والخلق في الهيئات والاشكال
والصور المدركة بالبصر وجعل الخلق تارة للقوة العزيزية ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم فرع الله من الخلق والخلق والرزق والاجل وتارة
تجعل اسما للحالة المكتسبة التي يصير الانسان بها خليقا ان يفعل
شيئا دون شيء كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه ولهذا خص كل
حيوان بخلق في اصل خلقته كالشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب

ويجعل

اي صار عادة

ويجعل الخلق تارة من الخلاقة اي الملاسة وكأنه اسم لما مرن عليه
الانسان من قواه بالعادة وقد روي لفضل الاعمال الخلق الحسن
وروي ما اعطى الله احدا افضل من خلق حسن فجعل الخلق مرة
للهيئة الموجودة في النفس التي عنها يصدر الفعل بلا فكرة وجعل
مرة اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك اسماء انواعها
نحو العفة والعدالة والشجاعة فان ذلك يقال للهيئة وللفعل
جميعا وربما سميت الهيئة باسم والفعل الصادر عنها باسم كالسخا
والجود فان السخا اسم للهيئة التي عليها الانسان والجود اسم
للفعل الصادر عنها وان كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر
واما العادة فاسم لتكرير الفعل والانفعال من عاد يعود وبها
يكمل الخلق وليس للعادة الا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الانسان
الى الفعل فاما ان تحدث السجية الى خلاف ما خلقت له فمحال
فالسجية اسم لفعل الخالق والعادة فعل المخلوق ولا يبطل
فعل المخلوق فعل الخالق لكن ربما تقوى العادة قوة محكمة حتى
تعد سجية وهذا التطريق العادة طبيعة ثانية **باب**
امكان تغيير الخلق اختلف الناس في الخلق وقال بعضهم هو من
جنس الخلقة والاستطاعة احد تغييره عما جبل عليه ايسيرا
وان شرا كما قال الشاعر وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود ومنهن ملئم
ولن تستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرم

وتعلق ايضا بقول النبي صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا
وخلقا حسنا فليشكر الله وما روي فرغ الله من الخلو والخلق الخير
وقال بعضهم ويحال ان يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق وقال بعضهم
يمكن تغيير ذلك واستدل بما روي حسنوا اخلاقكم فلو لم يمكن
لما امر به قال والان الله عز وجل خلق الاشياء على ضربين احدهما
بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والارض والهياة والبيان
خلقة خلقها وجعل فيها قوة رشح الانسان لافعاله وتغيير
حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل
وسهل للانسان سبيلا الى ان يجعله بعون الله تعالى نخلا وان يفسده
افسادا قال والخلو من الانسان يجري هذا المجرى وانه لا سبيل
للانسان الى تغيير القوة التي هي السجية الى ان يصير سجية وجعل له
سبيلا الى اسلاسها وهذا قال بعضهم وقد خاب من دسها ولو لم يكن
كذلك لبطلت فايدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي
ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون هذا في
الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهايم ممكنا فالوحشي قد ينقل
بالعادة الى التانس والجامح الى السلاسة لكن الناس في هذا مختلفون
فبعضهم جبلوا جبلة سريعة القبول وبعضهم جبلوا جبلة
بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكلهم لا ينفك من اثر قبول
وان قل وارى ان من منع من تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها وهذا اصح

فان النوى

فان النوى محال ان ينبت منه الانسان تفاحا ومن اجاز تغييره اعتبر
امكان ما في القوة الى الوجود وافساده وانما يخو النوى وانه يمكن
ان يتفقد فيجعل نخلا وان يترك مهملا حتى يعفر وهذا اصح
ايضا فاذا اختلافهما على حسب اختلاف نظرهما فان
صعوبة اصلاح القوة الشهوية وما في هذه القوة من المنعة
والمضرة اصعب هذه القوى الملاث وازاة قمع الشهوة انها
اقوى وجودا في الانسان واشدها تشبثا واكثرها منه
تمكنا فانها تولد معه وتوجد فيه من الحيوان الذي هو جنسه
بل هو في النبات الذي هو جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية
ثم آخرا توجد فيه قوة الفكر والنطق والتميز واذا صار الانسان
خارجا من جملة البهايم واسير الهوى الا بامانة الشهوات البهيمية
او بقهرها وقمعها ان لم يمكنه امانتها ايانا هي التي تضره وتغره
وتعره وتضر فيه عرطبوا آخره وتبطره ومتى قمعه وامانته
صار الانسان حرا تقيا نقيا بل يصير الها ربانيا فنقل حاجاته
ويصير غنيا عما في ايدي الناس وسخيا بما في يده ومحسنا في
معاملاته فان قيل فاذا كانت الشهوة بهذه المثابة في الاضرار
فاي حكمة اقتضت ان يبتلى بها قيل الشهوة انما تكون مذمومة اذا
كانت مفرطة واما لها صاحبها حتى ملكت القوى فاما اذا ادبت
فهي المبلغة الى السعادة وجوار رب العزة حتى لو تصورت مرتفعة

صورته

لما امكن الوصول الى الآخرة وذلك ان الوصول الى الآخرة بالعبادة ولا
سبيل الى العبادة الا بهذه الدنيوية والا سبيل الى الحياة الدنيا الا
بالبدن ولا سبيل الى حفظه الا باعادة ما يتحلل منه
ولا يمكن تناول الاغذية الا بالقوة الشهوية فاذا قوة الشهوة
محتاج اليها ومرغوب فيها وبعض الحكمة الالهية ايجادها
وتزيينها كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية
لكن مثلها مثل عدو يخشى مضرته مزوجه ويرجى منفعته مزوجه
مع عداوته لا يستغنى عن الاستعانة به فحق العاقل ان يأخذ
نفعه ولا يسكن اليه ولا يعتمد عليه الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق
في ذلك قول المتنبي اذا تصورت في وصف الشهوة وان قصدها فيما اجود بها ما اراده
شعر وفي تكدر الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد
وايضا فهذه الشهوة هي المشوقة لعامة الناس الى لذات الجنة
من المأكل والمشرب والمنكح اذ ليس كل الناس يعرفون اللذات
المعقولة ولو توهمناها مرتفعة لما تشوقوا الى ما وعدوا به من قوله
صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

باب ازدياد الانسان في الفضايل والرذايل بتعاطيها

كل متعاط من الافعال النفسية فانه يتقوى فيه بحسب الازدياد
منه ان خيرا فخير وان شرا فشر فباحتمال الامور الصغار يمكن احتمال
كبارها وباحتمال كبارها يستحق الحمد ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام

الايمان

الايمان يبدو نكتة بيضاء في القلب كلما ازداد الايمان ازداد القلب
البياض واذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق
يبدو لمظة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استحكم
النفاق اسود القلب كله فالانسان يكمل في الفضيلة بأربع
درجات اشتير في الاعتقاد وبما ان يعتقد الحق ويحاول اعتقاده
عن براهين واضحة وادلة قاطعة لا عن شبهات واهية واقناعات
متداعية واشتهى في الفعل وبما ان يترك العادات السيئة
فيجعلها بحيث يبغضها فيجتنب الرذيلة ويتوصل الى الفضيلة
وان يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتلذذ
ويتنعم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة
وكما انه يكمل باربع درجات فانه ينتكس باربع درجات اذ حتى في
الاعتقاد وبما ان لا يعتقد شيئا من العلوم اعتقادا حقيقيا فيبقى منها عقلا
وان يعتقد عن تقليد اعتقادا فاسدا فيتلطخ به ودرجتي في
العمل وبما ان لا يتعود العادة الجميلة اصلا وان يتعود العادة
القبيحة فصار في الفضيلة الى الدرجة الرابعة فهو ممن شرح
الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وصار في الرذيلة
الى الدرجة الرابعة فهو من الذين وصفهم الله تعالى اولئك الذين
لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ثم قال تعالى افلا يتدبرون القرآن
ام على قلوب اقفالها وقيل لحكيم الا تعظ فلانا فقال اذا على قلبه

والمذموم ما كان على سبيل المراءة وايهام صاحبه الاخر انه
يقصد ان يذكر به ويسمى ذلك رياء وتصنعا وتشبعا بما لم يعط فيتم
صاحبه من اضطراب يدل على تشبعه كما قال كليلة للضبع
المتكلف كلما زدته تثقيفا ازداد تعقيفا وعلى ذلك قال الشاعر
واسرع مفعول وعلت تغيرا تكلف شيء في طباع اضداده
واياه قصد عمر رضي الله عنه بقوله من تخلق للناس بغير ما في
نفسه فضحه الله وقال حال المتشبع كالجرح يندمل على
فساد فلا بد ان ينبعث وان كان بعد حين شعر
فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على الفساد
وكما ان العضو المفلوج لا يطاوع صاحبه ويحركه وان جاهد
فمتى حركه الى اليمين تحرك نحو الشمال كذا ايضا الشر والظلوم
والمنهور وان حاهدوا انفسهم في اخفائها فان قوائم تابى مطاوعتهم
وقد ذم صلى الله عليه وسلم ذلك فقال المتشبع بما ليس عنده كلابس
ثوبي زور وتنبيها انه كاذب في قوله وفعله وعلى ذلك حمل واعجل
ومايومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة
الظلماء وافتح الريا النفاق في الدين وافتح النفاق وكان في
اصل الاعتقاد وهو اظهار الايمان مع استبطان الكفر ولذلك
جعل الله تعالى عقابهم اعظم فقال عز وجل ان المنافقين

الى مفتاحه الاسهل الى معالجته فيجيء ولا لاسلم مع كل
واحد من اصناف الاخلاق الا ان يكون في ابتدائها فيقال له عند
وابتدائها اما الاخلاق المحمودة فمن العلم لم يرعه والثاني ان يزيد وسطا
فقال خلقها وصلحها والثالث ان ينهى فيها بقدر وسعه
ويتصرف فيها كما اراد ويقال هو حسن الخلق وسيء الخلق ومنه قيل
فلان ذو خلق في الدين فان حسن الشيء هو الذي يربه وسيء هو الذي
يملك سواده اي جمعه ٥ وغاية الفاضل في الفضيلة ان يقع
منه افعال الفضائل ابتداء من غير فكر وروية لغلبة قواها
على وبعد ما يتأنى فيها منه كالصانع الحاذق في صنعته
وغاية الرذل في الرذيلة ان يقع منه افعال الرذايل بغلبة قواها
عليه ولهذا احد الخلق بانه حال للانسان داعية الى الفعل
من غير فكر وروية باب الفرق بين ما يحمد ويذم من الخلق
الفرق بين الخلق والتخلق ان الخلق معنى استقال والتيار ويحتاج
الى البحث والتنشيط من خارج والخلق معنى استخفاف وارتياح ولا
يحتاج الى البعث من خارج والتخلق والتشبه بها فاصل صربان
محمود ومذموم فالمحمود ما كان على سبيل الارتياض والتدرب ويحتاج
صاحبه بسر او جهر على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي
واياه عنى السلف بقوله ولم تسه تطبع الخلق حتى خلقا ٥
بل قال صلى الله عليه وسلم ما العلم الا بالتعلم وما الحلم الا بالتحلم

والمذموم

في الدنيا الأسفل من النار باب سبب اختلاف الناس في اخلاقهم

جميع الفضائل النفسية هي بان نظري وعملي وكل ضرب
منهما ينقسم على وجهين احدهما بتعليم بشري يحتاج فيه الى زمان
وترتيب وممارسة وسقوي الانسان فمنه درجة ومنه درجة وان
كان فيهم من يحتاج في ممارسة وفيهم من يحتاج الى زيادة ممارسة
وذلك بحسب اختلاف الطبائع في الذكاء والبلادة والثاني يحصل
بعض الهبة كان يولد الانسان في غير من غير معلم من البشر عالما
كعيسى عليه وعلى نبينا صلى الله عليهم اجمعين وعن هذا من الانبيا
الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة هي المحصل للحكماء
وذكر بعضهم ان ذلك قد يحصل لغير الانبيا ايضا في الفينة بعد
الفينة وكل ما كان يتدرب فقد يكون بالطبع كصبي يوجد صلاق
اللهجة وسخيا جريا وآخر على عكس ذلك فقد يكون بالتعلم وبالعادة
فمن صار فاضلا طبعا وعادة وتعلما فهو كامل الفضيلة ومن كان
رذلا بهذه الثلاثة فهو كامل الرذيلة

باب وجوب اكتساب الفضيلة

المجهودة حق لكل انسان في كل فضيلة ان يكتسبها فخلق وجعل
نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء امكنه ان يبرز
ذلك فعلا او لم يمكنه وذلك بان يكون على هيئة الاسخيا والشجعان
والحكماء والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله واعرض له مقام
يظهر فيه بجدته واعماله بدنه وبين عمره ثم فيما عدا ذلك

وقد قيل

هيئة الصورة

وقد قيل لبعض الحكما هل من جود يعم الورى فقال نعم ان تحسن
خلقك وتنوي لكل احد خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لو تسعون
الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم واعلم ان كل فعل تحتاج فيه
الى ايجاد وتكوين وترتيب دنيويا كان او اخرويا ولكن متى كان
اخرويا تحتاج فيه مع ذلك الى امور اربع والاكمل منها وهي انه يجب
ان يبتغي بها قصدا الى المكرمة كما قال تعالى مثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وان يتحراه بخلوص الطوية
كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وان لا يقصد به اجرا منفعة دنيوية او دفع مضرة فانه يبطل
بفعله تاجراه ويجب عند بعض المحققين ان لا يطلب به منفعة
اخروية ايضا فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم ومن فعل
ذلك بانشراح صدر فهو اولى ومن بفعله يحاهد نفس
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان تعمل لله في
الرضا باليقين فافعل والا ففي الصبر على ما تكره خير كثير
وقولهم الحق مر فهو لاعتبار من لم يتمرن نفسه ولم يزل مرضه وقال

شعر

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فاما من كمل فانه يستطيب الحق وان كان ثقيلا كما قال صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن اصلح خلقه وهذب نفسه
فهو اعظم الملوك ومن ملك نفسه وقواها فهذبها وزكاها فقد

اما الله بذلك على ملكوت السموات والأرض وملك اطوع جيش بلا اعطاء
تمليك وقد نبه تعالى على ذلك بقوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا واتاكم مالم يؤت احدا من العالمين فجعل النبوة مخصوصة
فيهم وجعل الملك عاما لهم فنبه بها على المعنى الذى ذكرت وعلى ذلك
قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا
آل ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وتذكر بعد ذلك
انواع نعم الله وما يكتسب منها والله اعلم

باب انواع نعم الله

الموهوبة والمكتسبة نعم الله تعالى وان كانت لا تحصى مفصلة
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانها بالقول المجمل
خمسة انواع الاول وهو اعلاها واشرفها السعادة الاخروية
واياها قصد تعالى بقوله واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها
مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وذلك
هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو اربعة اشياء بقاء بلا فناء وعلم
بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنى بلا فقر ولا يمكن الوصول الى ذلك الا
باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها كما قال تعالى
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان
سعيهم مشكورا واصول ذلك اربعة اشياء العقل وكماله العلم
والعفة وكمالها الورع والسجاحة وكمالها المجاهدة والعدالة
وكمالها الانصاف وهى المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل

البدنية

البدنية وهى اربعة اشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر
وبالفضايل المحيطة بالانسان وهى اربعة اشياء المال والجاه
واليسر وكرم العشيرة والسبيل الى تحصيل كل ذلك الامر بيد
الله عز وجل وذكر باربعة اشياء بهدايته ورشده وتسديده
وتأييده بجميع ذلك خمسة انواع من عشرون ضربا ليس للانسان
مدخل فى اكتسابها الا فيما هو نفسى فقط واعلم ان الفضيلة
الكاملة والسعادة الحقيقية هى الخيرات الاخروية وما عداها
فقسمته بذلك اما لكونه معاونا فى بلوغ ذلك او نافعا فيه
فكل ما اعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة وهذه الاشياء
التى هى معينة ونامعة فى بلوغ السعادة الاخروية متفاوتة
الاحوال منها ما هو نافع فى جميع الاحوال وعلى كل وجه ومنها
ما هو نافع فى حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما يكون ضره
اكثر من نفعه فحق الانسان ان يعرفها بحقايقها حتى لا يقع الخطاء
عليه فى اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس
فالناس فى متجر بها طالب للخير وهارب من الشر كما قال السالك
كل يحاول حيلة فى جوابها دفع المضرة واجتلاب المنفعة
والمرء يغلط فى تصرف حاله فلربما اختار العناء على الدعة
ولكن قل من يحسب الشحم فيمن شحمه ورم ويقلد فى الشئ
انه رذق نافع وحشوه سم نافع فلذلك يحق على العاقل ان يتحلى

بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقته ليلا يكون كمن يريد
شيئا ليتطوق به فرأى حية فظنها مستغاه فاخذها فلدغته
وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات بلذات وموثرة
لذاتها فقط وموثرة لغيرها ومؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها فالموثرة
لذاتها السعادة الاخروية والنفسية والموثرة لغيرها الدراهم
والدنانير فانها لو تصورنا ارتفاع الضرورات التي يستدفع بها
لكانت هي واخصباء سواء والموثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها كصحة
الجسم معلوم ان الرجل وان اريدت للمشي فالانسان يريد صحة
الرجل وان استغنى عن المشي ويقال ايضا الخيرات بلذات
نافع وجميل ولذيذ والشرور بلذات ضار وقبيح ومولم وكل واحد
من الضربان احدهما مطلق وهو الذي يجمع الاوصاف البلانة
في الخير كالحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة وفي الشر كالجهل
فانه ضار وقبيح ومولم والثاني مقيد وهو الذي جمع شيئا من
اوصاف الخيرات وشيئا من اوصاف الشرور فربّ نافع موذ
كجدع قصير انفه فانه وان نفعه في ادراك الثار فقد آذاه
وربّ نافع قبيح كالحق فانه وان نفع من حيث قيل استراح
من لا عقل له فهو قبيح وربّ نافع من وجه ضار من وجه آخر كمن
هو في السفينة فخاف الغرق فالقى متاعه في الماء فتخلصت السفينة
وكل ما نفعه ولذته وجماله اطول مدة واعم فايدة فهو افضل

صح

فحق العاقل ان يرغب الى الله عز وجل في ان يعطيه ما فيه مصلحته
مما لا سبيل الى اكتسابه بنفسه وان يبذل اجهاده
بالله تعالى في اكتساب ما له كسبه وبلوغ الاعلى فالارفع منه
على الترتيب فبذلك يشرف ٥ ومن ضيع انفس المقتنيات
مع التمكن من تحصيلها فهو دنيء الهمة رائض خسيس الحال ٥
واشرفها ما اذا حصل لم يغصب ولم يحتج في حفظه الى اعوان
وحفظة وكان نافعا عاجلا وآجلا مطلقا في كل حال وكل
زمان ومكان وذلك هو الفضايل النفسية ولا سيما العقل
والعلم فاما القنيات الحالية من الجاه والمال فانما يقال لها
الخيرات المتوسطة لانها تجذب الى الفضيلة مرة والى الرذيلة
مرة لانها سبب للخيرات اذا كانت مع العقل وسبب للشر
اذا كانت مع الجهل وقد نبه الله تعالى على كون ذلك سببا للشرور
بقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقوله تعالى فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
ولذلك قيل السعيد هو الخيّر العاقل غنيا كان او فقيرا قويا
كان او ضعيفا ان قيل الخير والسعادة والفضيلة والنافع
وهل بينهما فرق قلنا اما الخير المطلق فهو المختار من اجل نفسه
والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوفه كل عاقل بل قيل هو
الذي يتشوفه الكل بلا مشوبة فان الكل يطلب بالحقيقة الخير

التشوق للطبع الالهي

وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره لمقصده الخير ويضاده الشر
وهو الهوى من اجل نفسه والهوى غيره من اجله قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا خير في خير بعده النار ولا شر في شر بعده الجنة والشر المطلق
النار كما ترى وقد يقال لكل ما يتوصل به الى الخير خير اولهذا قد
سمى الله تعالى المال خيرا في قوله ان ترك خيرا لكن المال والحاه
والحسمة قد يكونان خيرا لبعض الناس وشرا لبعضهم معلوم
انه كان شرا لمن قال فيه تعالى الذي جمع مالا وعدده يحسب
ان ماله اخلده واما السعادة المطلقة فحسن الحياة في الآخرة
وهي الاربع التي تقدم ذكرها خير البقاء بلا فناء والغنى بلا فقر والعلم بلا جهل والعز بلا ذل
السعادة الاربع سعادة وهي الستة عشر المتقدمة ويضادها
الشقاوة واما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية
على غيره وهو اما لما يتوصل به الى السعادة ويضادها الرذيلة
واما النافع وهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير
والنافع في الشيء ضربان ضروري وهو ما لا يمكن الوصول الى المطلوب
الا به كالعلم والعمل الصالح للمكلف في الوصول الى النعيم الدائم وغير
الضروري وهو الذي قد يسد غيره مسده كالسكنجبين في كونه نافعا
في قمع الصفراء فان غيره قد يسد مسده وكل نافع قد يسمى فضيلة
وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك

باب اصناف الفضائل

الى البعض

قد ثبت مما تقدم ان الخيرات والفضائل خمسة انواع اخر وبدنية
ونفسية وبدنية وخارجية وانفسية فيحتاج
بعض ذلك يحتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد
ذلك لم يصح وجود الآخر او حاجة انفعة بحيث لو لم يوجد ذلك
لاختل حال الآخر وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية
لا سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضايل النفسية ولذلك
قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا فنبه انه لا مطمع لمن اراد الوصول اليها
الا بالسعي والى تحصيل الفضايل النفسية الا صحة البدن
وقوته ولانه لا غنى لكمال الفضايل النفسية والبدنية من الفضايل
الخارجية فانه وان امكن ان يتصور حصولها لمن لا اهل له
ولا مال ولا عشيرة فانه لا يحمل الا بها

باب الفضايل الجسمية

قد ابتدأ ان قوما تركوا وقالوا كفى بالمرء ان يكون صحيح البدن
بريئا من الامراض الشاغلة عن تحري الفضايل العقلية وليس
كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للملاح
اي الملاح
اللتين بهما صار صانعا وملاحا وجميع اجزاء البدن بالجملة
اربعة العظام التي تجري للبدن كالالواح للسفينة والعصب
الذي يجري مجرى الرباط الذي تشد به الالواح واللحم الذي يجري
مجرى الحشو للرباطات والجلد الذي يجري مجرى الغشا لجميعها

فان اعتدلت هذه الاربعة بان تعتدل فيها الاربع من القوى وهي
الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمي ذلك الصحة ولولا
صحة البدن لما حصل الانتفاع به واما القوة فهي جودة تركيب
هذه الاركان الاربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد
وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في امور الدنيا والآخرة
واما الجمال فنوعان احدهما امتداد القامة التي يكون من الحرارة
الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت اجزاء الجسم الى العلو
كالنبات اذا نجم كلما كان اطلب للعلو في منبته كان اسرع في جنسه
ولذلك اعتبار نزل استعمل في كل ما جاد في جنسه العالي والفائق
ولذلك المدح في طول القامة شعر كان زبور القبطرية علقت علاقها منه بجذع مقوم
اشم طويل الساعدين كأنما يناط بجاد اسيفه بلواء والثاني
من الجمال ان يكون مقدودا قوي العصب طويل الاطراف ممتدها رحب
الذراع عريض المنكبين كما قال الشاعر
فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لبانة وابا جله
والثاني يعني بالجمال هنا ما يتعلق به الشهوة من الرجال والنساء فذلك انواع
وانما يعني به الهيئة التي اذا تنبه الطبع عن النظر اليها وما وارى شيء
على فضيلة النفس لان نورها اذا اشرق تأدى الى البدن اشراقها
وكل شخص فله حكمان احدهما من قبل جسمه وهو منظره والآخر من قبل
نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فزع اصحاب الفراسة

في معرفة احوال النفس اولا الى الهيآت البدنية حتى قال بعض الحكماء
قل صورة حسنة يتبعها نفس رديئة فنفس الخواتم مقرونة من
الطير وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس ولبس الارض قبح
الا ووجهه احسن ما فيه وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحاجات
من حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا
حسن الوجه حسن الاسم فالوجه والغير يظهر فيهما آثار
النفس وكلامه لنا يستدل بهما عليهما ولذلك يظهر فيهما
اثر سرور النفس وحزنها ورضاها وسخطها ولذلك عبر عن الجملة
بالوجه وعن رئيس القوم ايضا فصل فلان وجه القوم وعينهم
وحتى قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه وكون الوجه المقبول في الدلالة
على فضيلة النفس وان لم يكن حكما لازما فهو على الاعم الاكثر
وحكي ان المامون استعرض حشما فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه
فوجده الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا كانت ظاهرة كانت
صباحة واذا كانت باطنة كانت فصاحة واراه اطلعه له
ولا باطن وكما ان البيان في فضل حال الجسم قول الله تعالى
ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وقال تعالى
وزادكم في الخلق بسطة واما طول العمر فلولاه لقل حظ الانسان
من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادة الاخروية

باب الفضايل المطيفة بالانسان

قد تقدم ان ذلك بالقول المجمل اربعة

متضائل الرهل الرخاوة اعلى الصدر

اشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة وان هذه الاسباب نافعة
في بلوغ الفضيلة الحقيقية والسعادة الاخروية وحادية مجرى
الجناح لمبلغ وان لم يكن الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية فاما
المال فضرورة به يتمكن من فضايل اذا فقده تعذر بلوغها معلوم ان كثيرا
من القربات كالزكوة والحج يتعذر بها الفقير في تحريها المكارم كساع الى الهيجاء
بغير سلاح وكباز مصيد بلا جناح وفضلا بمعطى كماء تحت الارض
وناركامنة في الصخر وما اصدق ما قاله الشاعر
والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصة وذل وقول الاخر
فلا تجدن في الدنيا لمن قل ماله ولا ماله في الدنيا لمن قل مجده
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفة والغنى
وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال واما الاهل فنعم العون
على بلوغ السعادة فمن كثر اهله وخالصوه صار لهم عيون واذان
وايد وقال تعالى حاكيا عن لوط لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
وقال الشاعر الم تر ان جمع القوم يخشى وان عديم واحدهم مباح
وقال صلى الله عليه وسلم في نفع الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من
ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له وقال صلى الله عليه وسلم
ريح الولد من رايحة الجنة وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المراة
الصالحة فالمراة مزرعة الرجل قيضها الله له ليزرع فيها نوعه
كما قال تعالى نساؤكم حرث لكم واما العز فبه يتاتى عز تحمل الذل

ومن

ومن اعزه لم يمكنه ان يزود عن حريمه ولذلك قيل المال والسلطان
اخوان توامان وقرينان مؤتلفان الى عمارة البلاد وصلاح العباد
وقيل المال اثر والسلطان حارس وما لا اس له مهدوم وما لا حارس له
ضايع وسمى الله تعالى المحنة سلطانا لقهرها اولي البصيرة وقال الله عز وجل
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض واما كرم العشيرة
فانه يعال له الحسب والشرف والشرف اخص بما توا الاباء والعشيرة
ولذلك قيل للعلو تنا شرافه ومن الناس من لا يعد شرف الاصل
فضيلة وقال المرء بنفسه واستدل بقول امير المومنين عليه السلام
الناس ابناء ما يحسنون وقوله وقيمة كل امرئ ما يحسنه وانشد
كن ابن من شيبت واخذ ادبا تعقيل محمودة عن النسب
وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس ذلك كما
ظن لان شرف الاعمام والاخوال مخيلة لكرم المرء مظنة له
فالفرع وان كان بفسلا خيثا معلوم ان اصله يورثه الفضيلة
والرديلة فانه لا يكون من النخل الخنظل ولا من الخيطل النخال ولذلك قال
وما لك من خير اتوه فانما توارث آباء آباءهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل
ويبين ذلك ان الاخلاق تنتاج الاسرة ومزاج الاب كثيرا ما
يتادى الى الابن كالوان والخلق والصور ومن اجل تاديها قال صلى الله عليه وسلم
تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن قالوا وما ذاك يا

المخيلة والمظنة
يحسب من الرسالة
الموضع الذي يحصل ما خطر
واصوله
فلان

الخضراء المرأة
والوسخ
اصل الشجرة

يحوقول امير المؤمنين النّاس ابناء ما يحسنون فحثّ للانسان على اقتباس
العلا وينهى عن الاقتصار على ما ترا الآباء وان المآثر الموروثة قليلة
الغناء سريعة الفناء ما لم يضامّها فضيلة النفس لان ذلك انما
جمعها لكي يوجد الفرع مثله ومتى اخلف الفرع وتخلف فكانه
مخيّر باحد الشيئين اما بتكذيب من يدّعي الشرف لعنصره
او بتكذيبه في انتسابه الى ذلك العنصر وفيهما حظّ مختار
والمحمود ان يكون الاصل في الفضل راسخا والفرع به شامخا كما قال
الشّاعر زانوا قديمهم بحسن حديثهم وكريم اخلاق بحسن خصال
ومن لم يجتمع له الامران فلان يكون شريف النفس دنيّ الاصل
اجمل من ان يكون دنيّ النفس شريف الاصل قال الشّاعر
فما الحسب الموروث الا درّة يجتلب الآباء آخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة من المثمران اعتده النّاس في الحطب
ومن كان عنصره في الحقيقة سنيّا وهو في نفسه دنيّ فذلك اتى
اما من ايهامه نفسه وشوبها واما لتعوّد عادات سيّئة وصحبة اشرار
ومع ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فحسد ليس
سبب الرّذيلة شيئا واحدا اما الفضائل التوفيقيّة
التوفيق موافقة ارادة من الانسان وفعله قضاء الله وقدره وهو
ان كان موضوعا في الاصل على وجه يصحّ استعماله في السعادة
والشقاوة وقد صار متعارفا في السعادة وقد وال اتفاق مطاوعة

التوفيق

التوفيق لكن قد يستعمل في السعادة والشقاوة جميعا فمثال
اتفاق حيّد واتفاق ردي والتوفيق مما لا يستغني عنه انسان
في كلّ حال كما قيل لحكيم ما الذي لا يستغني عنه احد في كلّ حال فقال
التوفيق وانشد اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ○
والسعادة التوفيقيّة هي الهداية والرّشد والتسديد والتأييد ○ الهداية
فيجب ان يعلم ان اسبل احد الى شيء من الفضائل الا بهداية
الله تعالى فهو مبدأ الخيرات ومنتهاها كما قال الله تعالى اعطى
كلّ شيء خلقه ثم هدى وخاطب عزّ وجلّ النّاس فقال ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء
وقال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنّة الا برحمة الله اي
بهداية قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا شبيها انّه لو
تمّت رحمته من تقعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل الى ذلك ○
والهداية ثلاثة منازل في الدنيا الاوّل معرفة طريق الخير والشرّ
المشار اليهما بقوله وهديناه النجدين وقد خوّل الله تعالى
الهدى كلّ مكلّف بعضه بالعقل وبعضه بالسنة الرّسل
واياه عنى بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على
الهدى ٢ والثاني ما يمدّ به العبد حالا فحالا بحسب استزادته
من العلم والعمل الصالح واياه عنى بقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى ٣ والثالث نور الولاية التي هي افق نور النبوّة

وأيّاه عنى بقوله تعالى قل إنّ هدى الله هو الهدى فأضاف ذلك إلى
لفظة الله تعظيما له ثم قال وإذا ذكر جعله الهدى المطلق وبقوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اى نورا
تفرقون به بين الحق والباطل وكل ذلك يسمى النور والحيوة
نحو أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به الآية وقال تعالى
أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ويتحرى به
المنازل المؤدية إلى الهداية للجنة المذكورة في قوله عز وجل
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله والرشد عناية الهية تعز للانسان عند توجهه في
اموره فتقويه على ما فيه صلاحه وتقهره عما فيه فساده وأكثر ما
يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده
من قبل وكنا به عالمين وكثيرا ما يكون ذلك بتقوى العزم
أن يفسخه والله توجه قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين
المرء وقلبه والتسديد أن تقوم ارادته وحركاته نحو الغرض
المطلوب لهم عليه في اسرع مدة يمكن الوصول اليها فيها
وهو المسؤل بقوله تعالى أهدنا الصراط المستقيم والنصرة من
الله معونة الانسا والاولياء وصالحي العباد بما يؤدي الى
صلاحهم عنحلا وآجلا وذلك يكون تارة من خارج من يقيضه الله
فيعينه وتارة من داخل بأن يقوى قلوب الاولياء او يلقي رعبا

في قلوب الاعداء

في قلوب الاعداء وعلى ذلك قوله تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وأن جندنا
لهم الغالبون ٥ وأما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيها
العاقبة فيقال له الدولة والدولة وعلى هذا قال تعالى وتلك
الايام نداولها بين الناس وقوله تعالى في وصف الفيء كي لا يكون
دولة بين الاغنيا منكم ٥ والتأييد تقوية أمر من داخل بالبصيرة
ومن خارج بقوة البطش ٥ فالاول قال تعالى أيدك بروح القدس ٥
والعصمة فيض الهي يقوى به الانسان على تقوى الخير وتجنب
الشر حتى يصير كمانع له من باطنه وإن لم يكن منعا محسوسا
واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه ولقد روى أن يوسف عليه السلم رأى صورة يعقوب
عليه السلم وهو عاض على أنامله فاعجم وليس ذلك بمانع دينا في
التكليف كما تصوره بعض المتكلمين فإن ذلك كان تصورا منه
وتذكرا للمكان فدحره منه وعلى ذلك قال تعالى كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ٥
ومن عصمته تعالى أن يكرر الوعيد على من يريد عصمته ليلا
يغفل سلحة عن مراعاة نفسه كما قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين لقطعنا منه الوتين ٥

واعلم أن رشده تعالى للعبد وتسديده ونصره وعصمته
به بما تحول من الفهم الثاقب والسمع الواعي والقلب الراعي
وبتيسير المعلم الناصح له والتوفيق الموافق وإمداده من المال
بما يفعل به عن معزاه قلته ولا يشغله عمه كثرته ومن
العشيرة والعز ما يصونه عن سفاهة السفهاء وعن الغض منه
مرحمة الأغنياء وأن تحوله بركبر الهمة وقوة العزمة ما حفظ
عن التسفف للدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية

باب ما يتولد من الفضايل النفسية

أمهات الفضايل النفسية وأن كثر أربعة فلهن بنات من امهات لفضايل أخر
وبيان ذلك أن العقل متى تقوى تولد من حسن نظره جودة الفكر
وجودة الذكر ومن حسن تعقله الفطنة وجزالة الرأي
وتولد من اجتماع اربعتها جودة الحفظ وجودة الفهم والسهولة
متى تقوت تولد منها الجود في حال النعمة والصبر في حال المحنة
والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية كما
خلقنا جلالا للتجلد والأسى وتلك النوائي للبكا والمآتم
والعفة اذا تقوت ولدت القناعة والقناعة تمنع عن الطمع
في مال غيره فتولد الامانة والعدالة اذا تقوت فمنهما تولد الرحمة
والرحمة هي الاشفاق من ان يفوت ذا حق حقه فتولد الحلم
والحلم يقتضي العفو والانسانية والكرم تجمع هذه الفضايل

وذاك

وذاك أن الانسانية هي الفضايل النفسية المختصة بالانسان
وبقدر ما يكتسبها الانسان يستحقها وفيها تفاضل الناس كما
تقدم في الفرق بين الانسان والانسان فمنهم من ارتفع حتى فاق
بأفق الملك فلو تصورنا ملكا جسيما لكان هو اياه لارتفاعه عن
الانسانية الا بالصورة التخطيطية وعلى هذا قوله تعالى
ان هذا الا ملك كريم ومنهم من اتضع حتى صار في افق البهايم
فلو تصورنا كلبا او حمارا منتصب القامة متكلما لكان هو اياه
لانسلاخه من الانسانية الا بالصورة التخطيطية وعلى هذا
قوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل ومنهم من هو في
اوسط الحالين وهو درجة من درجات هائلة وهذا يصح ان
يقال فلان اكثر انسانية من فلان وما يختص به لفظ
الانسانية فهو الاخلاق والافعال المحمودة فاما المذمومات من
الاخلاق فيشارك الانسان فيها البهايم والشياطين واما
المروة فلها استفاقان في احدهما يقتضي ان يكون هي والانسانية
متقاربتين وهو ان تجعل من قولهم مرؤ الطعام وامرأ اذا
تخصص بالمرء لموافقته الطبع فكأنها اسم للاخلاق والافعال
التي يقبلها النفوس السليمة فعلى هذا تكون اسما للافعال
المستحسنة كالانسانية والثاني ان يكون من المرء فجعل اسما
للمحاسن التي تختص بها الرجل دون المرأة فتكون كالرجولية

وذاك [illegible] الإنسانية يشترك فيها الرجال
والنساء [illegible] مروءة اختص وكثيرا ما يكون فضيلة للمرأة رذيلة للرجل
كالخفر والبخل والجبن ولهذا قيل افضل اخلاق الرجال
اردل اخلاق النساء فالكيس والسلحة والجود رذيلة لهن
وقيل لمعاوية تجاوز الله عنه ما المروءة فقال اطعام الطعام وضرب
الهام وقيل للاحنف فقال ان لا تفعل في السر ما تستحي منه
في العلانية وقيل للآخر فقال اجماعها في قول الله تعالى ان الله
يأمر بالعدل والاحسان الآية واما الكرم فاسم لجملة الاخلاق
والافعال المحمودة اذا ظهرت بالفعل والحرية مثله لكن يقال
ذلك فيما يستعبده المطامع والاعراض الدنيوية وذكر بعض
الحكماء ان الحرية يقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا
يقال الا في المحاسن الكبيرة كمن يعفو الا في تحقير جليل في سبل
الله تعالى او تحمل حمالة يرقأ بها دماء قبيلة فكل كرم حرية
وليس كل حرية كرما وايضا فالحرية تعلق بالتطلف عن الاخذ
اكثر والكرم تعلق بالانفاق ويضاد الكرم اللوم والحرية العبودية
اعني المذكورة في قوله والعبد لا يطلب العلا ولا يعطيك شيئا الا ازدراءها
وكما ان الكرم اعم من الجود فاللوم اعم من البخل ولا تدخل في
الحرية والكرم النساء فانهن مستخدمات بل مستعبدات
ولذلك روي لو امر الله مخلوقا بعبادة مخلوق لامر النساء بعبادة ازواجهن

ارد

ان قيل ما حقيقة قول الله عز وجل ان اكرمكم عند
لما كان الكرم اسما للافعال المحمودة التي تقدم ذكرها
انما يكون فضيلة اذا كانت عن علم وقصد بها اشرف الوجوه
الى وجه الله تعالى وذلك بالتقوى فليست البهائم الا العلم
وتجري الافعال المحمودة فاذن كل من كان اتقى كان اكرم والعزيز
الذي يتأبى تحمل المذلة واستفاقه من العزاز وهو كالمتطلف
في الامتناع من تناول الشهوات المذلة واصله من الظلف
الارض الصلبة وفرق بعض الحكماء بين العزيز والكريم فقال
الكريم يأبى ان يقضى له والعزيز يأبى ان يقضى عليه والظرف
اسم لحالة تجمع عامة الفضايل النفسية والبدنية والخارجة
تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء ولذلك قال العراقي فلان
حاضر الشرف ومقر الفضل ولكونه واقعا على كل قليل
من حصل له علم وشجاعة فظريف ومن حسن لباسه واثاثه
ورياشه ظريف فالظرف اعم من الحرية والكرم واما الفتوة
فالمروة فانها اسم لما يختص به الفتى من الفضايل الانسانية
لكرمه بالرجولية اشبه وقد استعارت الصوفية لفظ الفتوة
للتصوف لكونها مشاركة له في جميع افعالها الا في الغرض لان
غرض الفتيان استجلاب محمدة الاقران وغرض المتصوفة استجلاب
محمدة الرحمن بل مجرد مرضاته تعالى واما الحسب فقد يقال فيما يختص

به الانسان فيعدّه من مآثره وقد يقال فما يورث عن آبائه والشرف مثله
لكن أكثر ما يقال فيما يورث عن الآباء، **ما في تلازم الفضائل النفسية**
بعضها ببعض العقل والعفة والسخاوة والجود والعدالة وسائر
الفضائل تلازم فإن العقل متى اشرق عقل صاحبه عن الاقدام
على ما يورثه المذمة في تحمله على الاقدام على المخاوف التي تورثه المحمدة
وعلى ان يسمح بفضلات ما في يده ممن يحتاج اليه وان يبذل لكل
ذي حق حقه وذلك هو العفة والسخاوة والعدالة والجود وكذا
اذا كان عدلا يحمله عدله على ترك تناول ما لا يجوز تناوله وان يحتمل
عما يلزمه الاقدام عليه وان لا يبخل بفضلات ما في يده واذا كان
سخيا لا يقهره سهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره وايجاف
الفقر فيخدمه وهذا النظر جعل بعض الشعراء السخاوة سماحة والسماحة سخاوة
فقال ايقنت ان من السماح سخاوة تلمي وان من السخاوة اجودا
وجعل النبي صلى الله عليه وسلم دفع الشهوة جهادا فقال جهادك يوما كفوا وجعلت
السنة جودا فقيل الجود جودان جود بما في يدك وجود بما في يد غيرك
وهو اعظمهما وهذه الفضائل اذا حصلت حصل بها الانسانية
والحرية والكرم وعنها يتأصل الاسلام والايمان والتقوى والاخلاص

باب البواعث على فعل الخير وتحري الفضائل

البواعث على تحري الخيرات الدنيوية ثلاث ابتغاء الترغيب والترهيب
ممن تخشى ضرره ويرجى نفعه والثاني ابتغاء الحمد وخوف الذم ممن

يعتد

فعال

يعتد بحمده وذمه والثالث تحري الخير وطلب الفضيلة فالاولى مقتضى
الشهوة وذلك من فعل العامة والثاني من مقتضى الحياء وهي من
فعل السلاطين وكبار ابناء الدنيا والثالث من مقتضى العقل وذلك
من فعل الحكماء وهذه المنازل الثلاث قيل خير ما اعطي الانسان
عقل يردعه فان لم يكن فحياء يمنعه فان لم يكن فخوف يقمعه
فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاحقة تحرقه فتستريح منه
العباد والبلاد وكذلك البواعث على الخيرات الاخروية ثلاث
الاولى الرغبة في ثواب الله والخافة من عقابه وذلك منزلة
العامة والثاني رجاء حمده وخافة ذمه وذلك منزلة الصالحين
والثالث طلب مرضات الله تحريا للخيرات وذلك منزلة النبيين والصديقين
والشهداء وهي اعزها وجودا ولذلك قال بعضهم افضل ما يتقرب
به العبد الى الله تعالى ان يعلم انه لا يريد العبد من الدنيا والاخرة
غيره قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه وقيل لرابعة بم اتسالير الله الجنة
في دعائك فقالت الجار قبل الدار وبهذا النظر قال بعضهم
من عبد الله يعوض فهو لئيم وقال بعض العلماء هذه المنازل الثلاث
منازل الظالم والمقتصد والسابق واجدر ان منازل مولاء
الثلاثة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سائل
العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء وقد قال بعض العلماء مسايلة

فوله تعالى يريدون وجهه
يعني يطلبون رضاه

العلماء

ترغبك من الله في ثوابه وتخوفك من عقابه ومخالطة الحكماء تقربك
من الحق وتبعدك من الدنيا ومجالسة الكبراء تزهدك فيما عدا افضل
الباري باب الموانع من تحري الفضايل وذلك ضربان
قصور وتقصير فاما القصور فان لا يكون له آلة وقدرة على
اكتسابها او يكون له ذلك ولكن يعوقه عنه استعمالة عايق
من مرض او شغل ضروري يعذره لحاجته الى السعي فيما يسد
به جوعته ويستر به عورته وبما عدم الوسع المذكور في قوله تعالى
لا يكلف الله نفسا الا وسعها ودواه الامر بن الفزع الى
الله تعالى والتضرع اليه بان يجبر نقصه بتمام جوده وسعة
رحمته واما التقصير فاربعة اشياء الاول ان يكون الانسان
لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح وهي غفلا ودواه
سهل وهو التعليم ٢ والثاني ان يكون قد عرف ذلك لكن لم يتعود
فعل الصالح وزين له سوء عمله فراى حسنا افتعاطاه وامره
اصعب من الاول لان يمكن ان يقهر على العادة الجملة حتى
يتعود بها وان كان قد قيل ترك العادة شديد ٣ والثالث ان يعلم
الباطل والقبيح انه حق جميل فتوى على ذلك وعلاواه دلك صعب
جدا فقد صار ممن طبع على قلبه اذ نقش ينقش حسن كالخط
كتب فيه ما يورث منه جلدة الى خرقه وفساده ٤ والرابع ان يلهو
مع جملة وتوبيخه على فساد الاعتقاد شريرا في نفسه يرى الخلاعة

وقهر الناس

وقهر الناس فضيلة وذلك اصعب الوجوه والى كره قصد من قال
من التعذيب تاديب النبيب ليتاديب وغسل المشيب لبيض
فالاول مروي والاربعة تعال له الجاهل والثاني تعال له الجاهل
والفاسق والثالث تعال له الجاهل والفاسق والضال والرابع
تعال له الجاهل والفاسق والضال والشرير باب الارتقاء
في درجات الفضايل والانحدار عنها الى اقصى الرذايل
للانسان في منازل الفضايل مرتقى صعب ومنحدر سهل
وعلى الارتقاء فيها حث ربنا تعالى بقوله سارعوا الى مغفرة من ربكم
وبقوله تعالى فاستبقوا الخيرات ٥ ومدح قوما بقوله تعالى
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ٥ وعن الانحدار
منها نهى بقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
وبقوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ٥
وذم قوما شانهم ذلك بقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم
وبقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا فان الآية تقتضي هذا المعنى وان كان ظاهرها يدل على
الجهل الذي يورثه الهرم ٥ والخراب يرهى فيما فيتبلغ الى
اشرف المنازل اربع درجات ويخور عنها فسلع الى ارذل
المنازل اربع درجات ايضا فاما درجات الارتقاء فاولها ان

يرتدع الانسان عن المآثم ويحجرها ويندم عليها ويعزم على ترك
معاودتها وذلك اولى درجات التائب المطيع لله ورسوله
وثانيتها ان يقوم بالعبادات الموظفة عليه ويسارع فيها بقدر
وسعه وذلك درجة الصالحين وثالثتها ان يتحرى بعمله الحسنى
وتعاطى الحسنات من غير تلفت منه الى المحظورات مجاهدة هواه
وامانيه سهوانه وذلك منزلة السعداء ورابعتها ان يكون مع
هذه الاحوال المتقدمة يرضى ظاهرا وباطنا بقضاء الله تعالى
فلا ينزع تحت حكمه ولا يتسخط شيئا من امره ويعلم ان الله تعالى
اولى به من نفسه وذلك درجة الصديقين وهذه المنازل
الاربع هى المراد بقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا واجدر ان تكون هذه
المنازل الاربع هى المرموز بها فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
واعلم ان من انال الرضا اشرف المنازل بعد النبوة فمن رضى عن الله
عز وجل فقد رضى الله عنه لقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه
فجعل احد الرضائين مقرونا بالآخر فمن بلغ هذه المنزلة فقد عرف
خساسة الدنيا واطلع على جنة المأوى وخطب بودة الملأ الاعلى
وفاز بحظى بتحيتهم المعنية بقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

سلام عليكم

باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واما درجات الايثار عنها
فاولها الكسل عن تحرى الخيرات ويورثه ذلك الترفع المعنى بقوله
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيتها الغباوة وهى ترك
النظر وبغض العمل فتورثه ذلك رينا على قلبه المعنى بقوله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وثالثتها الوقاحة
وهى ان يرتكب الباطل ويراه فى صورة الحق ويلتبس عنه فيورثه
ذلك قساوة القلب كما قال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهى كالحجارة او اشد قسوة ورابعتها الانهماك فى الباطل
وهو ان يستحسنه ويحبه فيورثه ذلك ختما على قلبه واقفالا
عليها كما قال تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والكسل
سبب الغباوة والغباوة سبب الوقاحة والوقاحة سبب
الانهماك فى الباطل كما ان الترفع يوجب الرين والرين يوجب
القساوة والقساوة توجب الختم والاقفال فحق الانسان
ان يراعى نفسه فى الابتداء ولا يترخص فى ارتكاب الصغائر
فيؤديه ذلك الى ارتكاب الكبائر فان الامور دقيقها مما يهيج به العظيم
وقد قال الله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين فدل ان قعودهم اول مرة
ادام الى ان صاروا محكوما عليهم انه لا ينبغى منهم الخروج معه بوجه

التنعم عن الثناء المحمود

باب سان عادة الله تعالى في تهذيب الذين تردّدوا في الرذايل حتى صدرت اخلاقهم

الناس متى تركوا تعاطي الاحسان والافضال وتحرّي العدالة فيما بينهم فلا يأتون بها لا خلقًا واختلقًا ولا رياء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة فصاروا في تعاطي الشرّ سواسية كاسنان الحمار عدم فيهم الفضيلة كما قال صلى الله عليه وسلم لن تزال الناس بخير ما اتيامنوا فاذا تساووا فاملكوا فحينئذ ان بقي في نفوسهم اثر القبول ان سا الله تعالى بعث فيهم من يهذبهم باللسان والسيف المحق كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم في العرب لما بقي فيهم من اثر الخير كتعظيم الشهر الحرام والبيت الحرام والوفاء بالذمام وان قل فيهم قبول الخير سلط عليهم سيفا جايرا كما قال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ينتصف من اوليائه باوليائه ومن اعدائه باعدائه وعاملهم بما عامل به بني اسرايل حيث سلط عليهم بخت نصر وان عدم فيهم اثر القبول بعث عليهم عذابا يفنيهم اما طوفانا او جايحة او نارا تحرقهم او ريحا فيها عذاب اليم او الجرادا والقمل والضفادع والدم فيطهر منهم البلاد ويريح منهم العباد صنع الله بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وذلك كالارض اذا استولى عليها الشوك والدغل فلا بد من نسفها واحراقها بتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء

باب اصناف الناس

الناس صربان خاص وعام فالخاص من تخصص من المعارف بالحقايق دون التقليدات

ومن الاعمال

ومن الاعمال ما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحياة الدنيا والعام اذا اعتبر ذلك فالذين يرصون من المعارف بالتقليدات ومن اكثر الاعمال ما يودي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر بامور الدنيا فالخاص من تخصص بامور البلد بما يتحرى بافتقاده احدى السياسات المدنية والعام من لا يتحرى بافتقاده شيأ من ذلك ومنهم من وجه آخر فلانه اضرب خاصة وعامة واوساط والاوساط هم المسمون في كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذي يسوس والايساس والعام هو الذي يساس والايسوس والوسط هو الذي يسوسه من فوقه ويسوس هو من دونه ومن وجه آخر فلانه اضرب اصحاب الشهوات وهم اهل الجدة واليسار والاكل والشرب والخيل والبغال واصحاب الكرامة وهم المدح واجتلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من جنسه ولهذا احتاج السلطان ان يتخصص بكل ذلك ويقتنيه ليكون معظما عند كل ضرب من الناس فيعظمه ارباب الحكمة لحكمته واصحاب الكرامة والرياسة لكرامته ورياسته واصحاب الشهوات لماله وكثرة قنياته ومن وجه آخر فلانه اضرب ملكي وشيطاني وانسي فالملكي يستعمل القوة العاقلة بقدر جهده وهم المومنون والشيطاني يستعمل القوة الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل والانسي الذي خلط عملا صالحا

وآخرسيئا وهم المذكورون في قوله عز وجل فأما ان كان من المقربين فروح
وريحان
وجنة نعيم وأما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وهم
المؤمن والفاسق والكافر وهم المذكورون في قوله عز وجل وكنتم
ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك هم المقربون
ومن وجه آخر هم ثلاثة مصطفى ومستزد فالمصطفى ثلاثة
اضرب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق وهم المذكورون في
قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهم ايضا اعني
المصطفين بثلاثة اضرب انبياء للمشاهدة والهداية كقوله تعالى
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وحكماؤهم الاولياء للمراقبة والرعاية
كقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
آمنوا وكانوا يتقون وعوام للمجاهدة والكفاية وهم المذكورون
في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وهم ايضا
اعني الناس ضربان عبد بالطبع وان كان ملكا وملك بالطبع
وان كان مسترقا والملك من حصل الفضايل النفسية التي بها يصير
الانسان بحيث ان يوصف بانه ربانى والهى وملكى

ويصح ان يكون

ويصح ان يكون خليفة الله في ارضه والعبد من قال النبي صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتقش قال بعض الحكماء ما من انسان الا وفيه خلق من اخلاق
بعض الحيوانات وبعض النبات لكون الانسان مشاركا لهما
في الجنسية فمن الناس غشوم كالاسد وعاث كالذيب وخب
كالثعلب وشره كالخنزير وجامع كالنمل ووقح كالذباب
وبليد كالحمار والوف كطير الوفاء وصنع كالسرفة وآنف كالنمر
وغيور كالديك وهادر كالحمام ومنهم حسن المبطر والمخبر
كالاترج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبلوط ومنهم قبح المنظر
حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبح المخبر كالحنظل
والدفلى والمؤمن الخير في الحيوانات كالنحل تأخذ اطايب الاشجار
فلا يقطف ثمرا ولا تكسر شجرا ولا تؤذي بشرا ثم يعطي الناس
ما يكثر نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وملوكا الاترج في الاشجار
يطيب حملا ونورا وعودا وورقا والمنافق الشرير مثله في الحيوانات
كالقمل والارضة وفي الاشجار مثل الكشوث فلا اصل
ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر ويفسد الثمار ويبس الاشجار
وكالسمرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها

الشرف والرفعة
الشرف والرفعة
الشرف والرفعة

باب فضيلة العقل

العقل أول جوهر أوجده الله تعالى وشرفه بذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي ولو كان على ما توهمه قوم أنه عرض لما صح أن يكون أول مخلوق لأنه محال وجود شيء من الأعراض قبل وجود جوهر يحمله وقال صلى الله عليه وسلم لا دين لمن لا عقل له وقال صلى الله عليه وسلم لا يعجبنكم إسلام امرئ حتى تعرفوا عقله ومن هذا الوجه أشار النبي صلى الله عليه وسلم قالت الحكماء من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كانت حتفه في أغلب خصال الخير عليه وبالعقل صار الإنسان خليفة الله تعالى ولو تم مرتفعا لارتفعت الفضايل من العالم فصلا عن الإنسان وبما غرزه الله تعالى في الإنسان اهتدى من وفقه الله إلى تزكية نفسه المذكورة في قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وحصل به حرث الآخرة المذكورة في قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وثمرة حرث الآخرة سبعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وأمن بلا خوف وراحة بلا إشغال وعز بلا ذل وإلى العقل أشار تعالى بقوله الله نور السموات

والأرض

والأرض إلى منورهما والنور هو العقل وقد تقدم وجه ضرب هذا المثل والعقل على ضربين أحدهما بعيد إضافة وهو المذكور بأنه أول مخلوق والثاني بالإضافة إلى الناس في قال عقل فلان وهو من الأول بمنزلة الضوء من الشمس

باب أنواع العقل

العقل عقلان غريزي وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو الذي يتقوى به تلك القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب حصل للإنسان حالا فحالا بلا اختيار منه فلا يعرف كيف حصل ومن أين حصل وضرب حصوله بقدر اجتهاده في تحصيله ولكون العقل غريزيا ومستفادا قال أمير المؤمنين عليه السلم العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر وإنما ينفع مطبوع إذا رأيت مسموعا كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع وإلى الأول أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل وإلى الثاني أشار بقوله لعلي عليه السلم إذا تقرب المتقربون إلى خالقهم بأبواب البر فتقرب أنت إليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى ولاختلاف النظرين قال قوم العقل مبدع وقال قوم هو مكتسب وكلي القولين صحيح من وجه ووجيه والعقل الغريزي

للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد بمنزلة النور وكما ان
اليد اذا لم يكن له بصر فهو اعمى كذلك النفس اذا لم يكن لها بصيرة
اي عقل غريزي فهي عمياء وكما ان البصر اذا لم يكن له نور من الجو
لم يجد بصيره كذلك العقل اذا لم يكن له نور من العلم مستفاد لم يجد
بصيرة والملك قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
وقد جعل للعقل نظر وادراك ورؤية وجعل له اضدادا من العمى
وغيره وقال عز وجل وترائهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض ولما كان فقدان البصيرة اشنع من فقدان البصر لانه
بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع بالبصر قال تعالى وانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فذمهم بفقدان البصيرة تنبيها
ان فقدانها اختياري اذ هو بتركهم استفادة العلم والكثر فقدان
البصر ضروري وقال تعالى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري
وكانوا لا يستطيعون سمعا فلو ان العمى اريد بها البصيرة
لما قال عن ذكري لان الذكر يدرك بحاسة البصر وقال
ابن عباس رضي الله عنه لمن عيره بفقدان البصر انا نصاب في
ابصارنا وانتم تصابون في بصائركم وكيف لا يكون فقدان البصيرة
اعظم ضررا من فقدان البصر وقد تقدم ان البدن بمنزلة فرس
والنفس بمنزلة راكبه وضرر عمى الراكب نفسه اشد عليه من ضرر عمى فرسه

باب المكتسب

باب المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي

العقل المكتسب ضربان احدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة
والثاني العلوم الاخروية والمعارف الالهية وطريقهما متباينان
وقد ضرب امير المؤمنين على عليه السلام لذلك بلاغة امثال فقال
ان مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب كلما من قرب من احدهما بعد من الآخر
وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وكالملك يرى
قوما اكياسا في تدبير الدنيا وسياستها بلهاء في امور الآخرة وقوما
اكياسا في امور الآخرة بلهاء في امور الدنيا حتى قال النبي صلى الله عليه
وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والمرء يسب بعض
الصالحين البله اكثر اهل الجنة البله والاختلاف طريقهما
قال الحسن رضي الله عنه ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين
ولو رأوكم لقالوا شياطين ولقلة الاعتداد بالمعارف الدنيوية
قال لرجل وصف نصرانيا بالعقل مه انما العاقل من وحد الله
وعمل بطاعته وقال تعالى حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ومن تصور اختلاف
الطريقين اعني طريق الدنيا وطريق الآخرة لم تعرض له الشبهة
التي اعترضت لقوم منهم قالوا ان هذا حقا لما جهله الذين
الحق شأنهم في تدبير الدنيا ودقايق الصناعات وواضعوا

الحكم والسياسات ۝ وذلك أنه كما من المحال أن يظفر سالك طريق
الشرق بما لا يوجد إلا في الغرب أو يظفر سالك طريق الغرب
بما لا يوجد إلا في الشرق كذلك من المحال أن يظفر سالك طريق
معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة وقد نبه الله تعالى على
ذلك بقوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وبقوله تعالى
ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون ۝ ولا يكاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا
والآخرة على التحقيق والتصديق إلا من رشحهم الله تعالى لتهذيب
الناس في أمر معاشهم ومعادهم جميعا وهم الأنبياء وبعض الحكماء
ولما كان العقل هو الذي يردع الإنسان عن الذنب والكسب به
على التمام والكمال في الورى عسير لم يتفك أحد من ذنب يتوبه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منا نبي إلا أذنب أو هم

باب منازل العقل واختلاف أسمائه بحسبها

العقل اسم عام لما كون بالقوة وبالفعل لما كان غريزيا ومكتسبا
وهو في اللغة تقييد البعير ليلا ينفر وسمي هذا الجوهر به
تشبيها على عادتهم في استعارة أسماء كالمحسوسات
للمعقولات ۝ وخص بناء المصدرية بما كان يستعمل مرة للحدث
ومرة للفاعل نحو عدل وصوم وزور ومرة للمفعول نحو خلق وأمر

لكي يتضح ذكره

لكي يصور منه كونه سببا لتقييد الإنسان به وكونه مقيدا أعم
تعاطي ما يحمل به وكونه مقيدا به مميز الحيوان والنهي والأنامل
جمع نهية اسم مفرد نحو صرد وجعل او وصف نحو ليل حندس
وسابق حطم وجعل اسما للعقل الذي انتهى من المحسوسات إلى
معرفة ما فيه من المعقولات ولهذا الجيل أربابه على تدبر معاني
المحسوسات في نحو قوله تعالى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى
وقال تعالى وأنزلنا من السماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى
كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى والحجر
أصله من الحجر أي المنع وهو اسم لما يكف الإنسان من حظر
الشرع والتدخول في أحكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم
لذي حجر وسمي حجر من حجاه أي قطعه ومنه الأحجية فكأنه
سمي بذلك لكونه قاطعا للإنسان عما يقبح وأما اللب فهو الذي
خلص من عوارض الشبهة وترشح لاستفادة الحقايق من
دون المفرغ إلى الحواس ولذلك علق الله تعالى في كل موضع ذكره
بحقايق المعقولات دون الأمور المحسوسة نحو قوله تعالى إن في
خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي
الألباب فوصفهم بهداية الله تعالى إياهم وقد سمى الله تعالى
العلم نورا والجهل ظلمة فقال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم

ماء

كتم الدلسلم

من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات وسماه روحا في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وسماه حياتا والجهل موتا فقال تعالى أو من
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به الآية ٥ وقوله تعالى
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا
الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء
وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير وسماه ماء بقوله تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا
رابيا الآية ٥ والايمان زبدة العقل والعمل ولذلك قال تعالى في مواضع
ان في ذلك لآيات لقوم يومنون ٥ وعلق به ما علق بهما وسمى
العقل القلب وذلك انه لما كان القلب مبدأ تاثير الروحانيات
والفضايل سميت به ولذلك عظم الله تعالى امره لاختصاصه
بما قدر اوجد لاجله وقال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وقال تعالى من خشي الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب وقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد ٥ فنبه ان القلب في الحقيقة هو
قلبا اذا كان متخصصا بما قد اوجد لاجله وما قد اوجد لاجله
هو المعارف الحقيقية وقال صلى الله عليه وسلم ان في البدن
مضغة اذا استقامت استقام البدن واذا اعوجت اعوج

البدن

البدن ٥ ولما كان اشرف المعارف هو ما يختص به القلب
قال الله تعالى نزل به روح الامين على قلبك **باب**
جلالة العقل وشرف العلم العقل حيث ما وجد كان محتشما
حتى ان الحيوان اذا راى انسانا احتشمه بعض الاحتشام فانزجر
منه بعض الانزجار وكذلك جماعة الرعاة اذا راوا من كان منهم
اوفر عقلا واغزر فضلا انقادوا له طوعا فالعلماء اذا لم يعاندوا
انقادوا ضرورة لاكثرهم علما وافضلهم نفسا واوفرهم عقلا
ولا ينكر فضله الا كل متنكس في المعايب متطلب لرياسة جافظ
على غرض دنيوي قد جعل عقله خادما لشهوته فليحفظه
على رياسة ينكر فضل الفاضل ولفضيلة العقل انواقر
كان كثيرا ممن كانوا يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم قصدوه
ليقتلوه فما كان الا ان وقع طرفهم عليه فترى لهم نور النبوة
معرضا عنه فالقي في قلوبهم منه روعة فهابوه فمن ثم عز له
طايعا وحبب اليه ان يكره بعد الاجاجا وهذا المعنى قال الشاعر
لولم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبره
وقد علم ان الانسان لم يتميز عن الحيوان والبهايم الا بالعقل
ولم يشرف الا بالعلم ومن شرف العلم ان كل حياة انفكت منه فهو
غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودات فان الحيوة الحيوانية
ان حصل فلم يقارنها الاحساس فلتلتد بما يوافقه ويطلبه ويتالم

محسوب

مما يخالفه فيه ويربو منه وذلك اخس المعارف ومقتضى الحياة الانسانية
انها اذا تعرت من المعارف المختصة بها ان لا يعتد بها ولهذا يسمى
الله تعالى الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال تعالى او من كان
ميتا فاحييناه واجل ان الحياة يقارن العلم اسمى الله تعالى العلم روحا
في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقد ذكرنا ان
حاجة الانسان الى العلم اكثر من حاجته الى المال لان العلم نافع لا محالة
وينفعه دائما في الدنيا والآخرة والمال قد ينفع وقد يضر واذا
نفع فنفعه منقطع فمن استفاد علما ثم ضيعه او تمكن من
استفادته فاهمله فقد خسر خسرانا مبينا كما قال تعالى
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الى قوله تعالى يلهث

باب الفرق بين العلم والعقل وبين العلم والمعرفة والدراية والحكمة

العلم ادراك الشيء بحقيقته وهو ضربان احدهما حصول صور المعلومات
في النفس الثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء هو موجود له
او نفي شيء هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بانه خارج او ليس هو
طاير فالاول هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل
المستفاد وفي النحو المعرفة وسعدي المفعول واحد والثاني يسمى
العلم دون العقل ويتعدى الى مفعولين ونحو ذلك الاقصار على واحد منهما
من حيث ان القصد اذا قيل علمت زيدا منطلقا اثبت العلم بانطلاق
زيد دون العلم بزيد واعلم ان العقل والعلم بقياس احدهما الى الآخر

على ثلثة اوجه

على ثلثة اوجه احدها عقل ليس بعلم وهو الفعل الغريزي والثاني
علم ليس بعقل وهو المتعدي الى مفعولين والثالث عقل هو علم وعلم هو
عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي يقال له المعرفة ولم يصح
ان نعدي العقل الى مفعولين ويقال عقلت زيدا منطلقا كما يقال
علمت لكون العقل موضوعا للعلم البسيط دون المركب وسمي عقلا
من حيث انه مانع لصاحبه ان يقع افعاله على غير نظام وسمي
علما من حيث انه علامة على الشيء وهذا اذا اعتبر حقيقته مما
يتبين بنشر واللغة العربية واما الفرق بين العلم البسيط
اعني المتعدي الى مفعول واحد وبين المعرفة فهو ان المعرفة قد
يقال فيما يدرك آثاره وان لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال
الا فيما ادرك ذاته ولهذا يقال لا ان يعرف الله ولا يقال يعلم الله
لما كان معرفته بعالي ليست الا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته وايضا
فالمعرفة يقال فيما لا يعرف الا كونه موجودا فقط والعلم اصله
ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وكيفيته وعلته ولهذا يقال
الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف لما كان العرفان يستعمل في
العلم القاصر وايضا فالمعرفة يقال فيما يتوصل اليه بتفكر وتدبر
والعلم يقال في ذلك وفي غيره ويضاد العرفان الانكار والعلم
الجهل واما الدراية فالمعرفة المدركة بضرب من الحيل وهو
تقدم المقدمة واجالة الخاطر واستعمال الروية واصله من

دريت الصيد والدربية لما يتعلم عليه الطعن واللقاف التي يسيبها
الصايد ليؤنس الصيد بها فيرمي مزورايها والمدرى يقال لما
يصلح به الشعر ولقرن الشاة ولا يصح ان يوصف الباري تعالى
بذلك لان معنى الحيل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع فيتبع وهو

الشاعر اللهم لا ادري وانت الدراري ... من تعجرف اخلاق العرب

واما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص
منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وان كان العلم
لا يكون محكما مزدون العلم به ومنها قيل احكم العمل احكاما
وحكم بكذا احكاما والحكمة من الله تعالى اظهار الفضايل المعقولة
والمحسوسة ومن العباد معرفة ذلك بقدر طاقة البشر وقد
حدت الحكمة بالفاظ مختلفة وقيل هي معرفة الاشياء الموجودة
حقايقها وتنحي كليات الاشياء واما حد رياضة فلا سبيل للبشر
الى الاحاطة بها وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعلم وقيل هي اماتة
الشهوات وهذا واجب وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعمل فيما هو غاية
المراد من الانسان وقيل هي الاقتداء بالخالق في السياسة بقدر طاقة
البشرية وذلك بان يجتهد ان يتنزه علما عن الجهل وعملا عن الجور
وجبنه عن الخلل وحلمه عن السفه ونحو هذا الفعل يقرب العبد من خالقه سبحانه
في الدنيا ونسبة العلوم الى الحكمة من وجه كنسبة الاعضاء الى البدن
في كونها ابعاضا لها ومن وجه كنسبة المرؤس الى الرئيس في كونه مستولية

عليها ومن وجه كنسبة بعض الاولاد الى الام في كونها مولية
لها وهي في تعارف الشرع اسم للعلوم العملية اي اما تزكية العقل
وقد افرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب
اسما لما لا يدرك الا بمرجمة النبوات والحكمة لما يدرك من جهة
العقل وجعلا متنزلين وان كان انزالهما من الله قد يكونان مختلفين
وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما الى الآخر وقد قيل
لولا الكتاب لاصبح العقل حايرا ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل
الكتاب بمنزلة اليد والحكمة بمنزلة الميزان ولا يعرف المقادير الا
بهما وكذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله عز وجل الله الذي انزل
الكتاب بالحق والميزان وقوله لا ابلغ الحكمة الا احد رجلين اما مهذب
في فهمه موفق في فعله ساعده معلم ناصح وكفاه عمر واما الهي
تصطفيه الله فيفتح عليه ابواب الحكمة بفيض الهي ويلقي اليه مقاليد
جوده فيبلغه ذروة السعادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم **باب توابع العقل** العقل الشرف في
الانسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة وقد تقدم
ذكرها مرة ويحصل عنه ايضا الذكاء والذهن والفهم والفطنة
وجودة الخاطر وجودة الوهم والتخيل والكيس والحزم واصابة الظن
والفراسة والزكانة والكياسة والعرافة والالهام ودقة النظر
والرأي والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة الحفظ

والتروية بمعنى الغرض

والبلاغة والفصاحة فأما الذكاء فالامضاء في الامور وسرعة
القطع بالحق واصله من ذكت النار وذكب الريح وشاة مذكاة مدرك
ذكاها عدة السكين وذكي الرجل نم فيه قوة الذكاء لكن لما كان اكثر
ما يوجد ذلك فيمن تمت سنه ثم صار يعبر به عن تمام السن ومنه قيل
جرى المذكيات غلاب واما اللبز فقريب من الذكاء لكن يقال في
ادراك ما وقع فيه النازع واما الفطنة فسرعة ما يقصد اشكاله
ولهذا يكثر في استنباط الحاجي والرموز واما الفهم فمقدمة العقل
فمن لا يعرف الشيء نهما لم يتحققه عقلا وقد يسمى الفهم عقلا وان
كان مرتبته دون مرتبة العقل وقوة الفهم ان تدرك الاشياء
الجزوية والعقل يدرك كلياتها ومعنى ذلك ان العقل يعرف ان
العدالة حسن والظلم قبيح والفهم يميز ويتبين ذلك واحد من
العدل هل هو عدل او ظلم وقد يوصف بالفهم من لم يوصف بالعقل
كالجذع يلعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فانه يوصف
بالفهم واما الخاطر فحركة الفهم نحو الشيء يقال خطر الشيء ببالي
ولم يقل خطر بالي بالشيء ويجوز ان يكون من المقلوب كقولهم عيش ناصب
وقد قيل في قولهم عقلت الشيء واحسست انهما ابدال من المقلوب
والشيء هو المؤثر في العقل والحاسة لا ما فيه واما الوهم فانقياد
النفس لقبول اثر ما يرد عليها من قولهم جمل وهم وطريق وهم والفرق
بينه وبين الخاطر ان الخاطر يقال فيما لا يقبله النفس والوهم

لا يقال

لا يقال الا فيما يقبله واما الخيال فيخالهم لكن يقال اعتبارا
بما يكون من جهة الحاسة وفيما له صورة ما ومنه سمي الطيف
الوارد من صورة المحبوب خيالا والخيال قد يقال لتلك الصورة
في المنام وفي اليقظة والطيف لا يقال الا فيما كان في حال النوم ولهذا
ينسب الطيف الى الخيال لما كان ذلك من جوابه قال الشاعر

نم فما ذاك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

واما البديهة فمعرفة ثاقبة تجلى بلا فكر والفصل بالبديهة في
المعرفة كالبديع في الفعل واما الروية فما كان من المعرفة بعد
فكر كثير ومن هو من رواه واما الكيس فالقدرة على اجوده استنباط
ما هو اصلح في بلوغ الخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث انه لا خير يصل اليه
الانسان افضل مما بعد الموت وقول العرب اكيس من قشة على
وجه الارض لتصورها بصورة الكيس لانها ذات كيس في الحقيقة
وكاس في مشيته اي اظهر الكيس في مشيه برفع احدى رجليه
وتسميتهم الغادر كيسان اما على طريق التهكم او تنبيها ان الغادر
يعد ذلك كيسا او لان كيسان في الاصل اسم لغادر ثم سمي كل غادر
كيسان كتسميتهم كل حداد مالكيا واما الخبر فمعرفة يتوصل
اليها من قولهم خبرته اي اصبت خبره وقيل هو من قولهم ناقة
خبيرة اي غزيرة فكان الخبر غزارة المعرفة ويجوز ان يكون

قشة لولد النخلة

الظن

قولهم ناقة خبيرة هي المخبر عن غزارتها كقولهم ناقة باجرة واما الظن
فأصابة المطلوب بضرب من الامارة ولما كانت الامارات متردده
بين يقين وشك فيقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف
الشك صار تفسير اهل اللغة بهما فمتى كان من طرف اليقين اقرب
استعمل معه ان المثقلة والمخففة منها نحو قوله عز وجل الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وظنوا انه واقع بهم ومتى كان من طرف
الشك اقرب استعمل معه ان التي للمعدوم من الفعل نحو ظننت
ان تخرج وان خرجت وانما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله تعالى
الذين يظنون الآية لامرين احدهما تنبيه على علم اكثر الناس في
الدنيا بالاضافة الى علمه به في الاخرة كالظن في جنب العلم والثاني ان
العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل الا للنبيين والصديقين المعنيين
بقوله تعالى الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والظن متى كان
عن امارة قوية فانه يمدح به ومتى كان عن تخمين لم يعتمد ذم به
كما قال تعالى ان بعض الظن اثم واما الفراسة فالاستدلال على صفات
الانسان واشكاله والوانه واحواله على اخلاقه وخصاله وذمائمه
وربما قيل هي مصلحة صناعة لمعرفة اخلاق الانسان من احواله وقد
نبه الله تعالى على صدقها بقوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين
وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم وقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول
ولعطها من قولهم فرس السبع الشاة فكأن الفراسة اختلاس المعارف

الفراسة

وذلك ضربان

وذلك ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف سببه وذلك
ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله المؤمن ينظر بنور الله وهو الذي يسمى صاحبه المرقع والمحدث
وقال صلى الله عليه وسلم ان تكن في هذه الامة محدث فهو عمر
وقيل في قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب الآية ان ما كان وحيا هو بالقاء في الروع وذلك يكون للانبياء
عليهم السلام كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقد يكون
بالهام في حال اليقظة وقد يكون في حال المنام ولاجل ذلك
قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا
من النبوة والضرب الثاني من الفراسة يكون بصناعة متعلمة وهي
معرفة ما بين الالوان والاشكال وما بين الامزجة والاخلاق
والافعال الطبيعية ومن عرف ذلك وكان ذا فهم ثاقب قوي الفراسة
وقد عمل في ذلك كتب من تتبع الصحيح منها اطلع منه على صدق
ما ضمنوه والفراسة ضرب من الظن وسيل بعض محصلة المتصوفة
عن الفرق بينهما فقال الظن بتقلب القلب والفراسة بنور الرب
قال ومن قوي فيه نور الروح المذكور في قوله تعالى ونفخت فيه من روحي
كان ممن وصفه بقوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه وكان ذلك النور منه شاهدا اصاب فيما حكم ومن الفراسة قال
صلى الله عليه وسلم في المتلاعنين ان لمن ما لبين لولا احكم الله ومن الفراسة

حكم الرؤيا وقد عظم الله تعالى امرها في جميع كتبه المنزلة وقال تعالى
لنبيه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس وقال تعالى
اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم وقال تعالى
في قصة ابرهيم عليه السلم يا بني اني اري في المنام اني اذبحك فانظر
ماذا ترى وقال تعالى حكاية عن يوسف يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والرؤيا هي فعل للنفس
الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوة في الانسان
فائدة والله تعالى عز الباطل وهضربان ضرب وهو الاكثر
اضعاث احلام واحاديث النفس من الخواطر الردية لكون النفس
في تلك الحال كالماء الممتوج الذي لا يقبل صورة وضرب وهو الاقل
صحيح وهو قسمان قسم لا يحتاج الى تاويل وقسم يحتاج الى تاويل
ولهذا يحتاج المعبر الى مهارة للفرق بين الاضغاث وبين غيرها
وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات
الناس اذ كان فيهم من لا يصح له رؤيا ومنهم من يصح رؤياه ثم من يصح
لبعض دون بعض ومنهم من يرشح ان يلقى اليه في المنام الاسياء العظيمة
الخطيرة ومنهم من لا يرشح لذلك وقال اليونانيون يجب للمعبر
ان يشتغل بعبارة رؤيا الملوك والحكماء دون الطغام وذلك لان
لهم حظا من النبوة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا العلم يحتاج الى مناسبة

ع
يحتاج المعبر

سنية وسر متحرية فرب حكيم لا يرزق حظا فيه ورب نزر الحظ من
الحكمة وسائر العلوم ثم جعل له قوة عجيبة واما الزكانة فضرب
من الفراسة وهي معرفة فعل باطن بفعل ظاهر يضرب من التوهم
والقيافة ضرب من الزكانة لكنها ادق وهي صربان احدهما
تتبع اثر الاقدام والاستدلال به على الشيء الكثير والثاني
الاستدلال بهيئات الانسان وشكله على نسبه وخص بالقيافة
من العرب بنو مدلج وبنو لهب وقيل ان ذلك لمناسبة طبعية
لا بتعلم وهي محكوم بها في الشرع قال بعض الحكماء خص الله تعالى
العرب بذلك ليكون سببا لارتداع نسايهم عما يورث شوب نسبهم
وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم صيانة للنسب النبوية
ولكون ذلك شرفا لنبينا صلى الله عليه وسلم والاجل حفظ الله تعالى
نسبهم من ذلك قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا اي لتعرف
بعضكم بعضا بمعرفة اصله واما الكهانة والعرافة فان الكهانة مختصة
بالامور المستقبلة والعرافة مختصة بالامور الماضية وكان ذلك
في العرب كثيرا واخر من وجد وري عنه ذلك من الاحبار ابن صياد
وسواد بن قارب وقيل كان وجود ذلك في العرب احد اسباب
معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يخبر به ويحث على اتباعه
وينزع عنهم ذلك بعد النبوة حتى روي ان الكهانة بعد النبوة وقال
صلى الله عليه وسلم من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما اتى فقد كفر

بما انزل على محمد تنبيها على انه قد دفع ومما يجرى مجراهما النظير
وهى تشاؤم الانسان بشئ يقع تحت المناظر والمسامع مما تنفر
منه النفس مما ليس بطبيعى فاما نفارها مما هو طبيعى فى الانسان
كنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار فلا يعد من هذا واستقاءه
من الطير واصله فى زجر الطير وما سواه ملحق به عارض لكل قول الشاعر
وما انا ممن يزجر الطير حوله اصاح غراب ام تعرض طائر
ثم كثر فى غير حتى قال الله تعالى قالوا الطير نابك وبمن معك قال
طائركم عند الله اى السبب الذى يسعدكم او يشقيكم عند الله
وقال تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم
عند الله يسمى كل انسان الذى يعاقب عليه طائرا قال تعالى
وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه والتطير من جملة الخاطر
بخلاف المرئى من ادراك البصيرة اياه فللقلب غير كما ان للبدن عينا
فمن صحت عين قلبه واعانه نور الله تعالى اطلع على حقائق
الاشياء على العالم العلوى وهو فى الدنيا فيرى ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو كون الاطلاع عليه
قال عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا والرأى جملة
الخاطر وترتيبه ما تريده وقد يقال للقضية التى تثبت عن الرأى
رأى والرأى للفكرة كالآلة للصانع التى لا تستغنى عنها والكمز
الا فى الامور الممكنة دون الواجبة والممتنعة ويكون فى جملة

الممكنات

الممكنات فما يكون اليقينا فالطبيب لا يحيل رأيه فى نفس البرء وانما يجيل رأيه فى
كيفية الوصول اليه ٥ ويحتاج الرأى الى اربعة اشياء اثنان مرجعهما
الزمان فى التقديم والتأخير احدهما ان يعيد النظر فيما يراه
ولا يعجل امضاه حتى يغب فقد قيل اياك والرأى الفطير وقيل
دع الرأى يغب ٥ واكثر من يستعجل فى ذلك ذوو النفوس الشهمة
والامزجة الحارة ٢ والثانى ان لا يدافع به بعد احكامه فقد قيل
رو تحزم فاذا استوضحت فاعزم وقيل اعزم الناس من اذا
وضح له الامر صدع فيه وقال تعالى فاصدع بما تؤمر فاذا عزمت
فتوكل على الله ٥ واكثر من يدافع بذلك ذوو النفوس المهينة
والامزجة الباردة واثنان مرجعهما الناس ٣ احدهما ترك الاستبداد
بالرأى فالاستبداد بالرأى من فعل المعجب بنفسه وقد قيل
الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة
٢ والثانى ان يتخير من يجوز مشاورته

شعر

فما كل ذى لب بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعتى بنصيب

ومن دخل فى امر بعد الاحتراز من هذه الاربعة فقد احكم تدبيره فان
لم ينجح عمله لم تلحقه ملامة واما التدبير فمحله الرأى لكن يقال اذا
استعمل النظر فى عواقب الامور واشتقاقه يقتضى ذلك لانه
تأمل دبر الامر وعليه حث الشاعر بقوله

ومن ترك الخواطر مهملات فأيسر سعيه أبدًا تبار

وأما الفكرة فهو قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم وهو تحصيل عقلي موجود في الإنسان والتفكر جولان تلك القوة من الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر وربما ضل الفكر وأخطأ ضلال المريد وخطاه والتفكر لا يكون إلا فيما له صورة مما يصح أن تجعل له صورة في القلب مثبوه وأجد لك قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله وقال تعالى أولم يتفكروا في أنفسهم وقال تعالى يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وسئل لقمان الحكيم عن الفكر والعبرة فقال الفكرة أن تجعل الغائب حاضرًا والعبرة أن تجعل الحاضر غائبًا وأما الذكر فوجود الشيء في القلب أو في اللسان وذلك أن الشيء له أربع وجودات وجوده في ذاته ووجوده في قلب الإنسان ووجوده في لفظه ووجوده في كتابته فوجوده في ذاته هو سبب لوجوده في قلب الإنسان ووجوده في قلبه سبب لوجوده بلسانه ولوجوده في كتابته ويقال للوجودين إلى الوجود في القلب والوجود في اللسان الذكر ولا عبرة بذكر اللسان إذا لم يكن ذلك عن ذكر القلب ثم ذكر القلب ضربان أحدهما استعاد ما سبق إليه استثبته القلب فإذا محي عنه بنسيان أو غفلة عاد به تحقيقة التذكر والثاني ثبات وجود الشيء في القلب من غير نسيان أو غفلة وذكر الله تعالى على النحو الأول غير مرتضى

بيان التذكر

عند الأولياء

عند الأولياء وإنما يحمد إذا كان على النحو الثاني واعلم أن ذكر الله تعالى تارة يكون لعظمته فيتولد منه المهابة والإجلال وتارة لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن وتارة لفضله ورحمته فيتولد منه الرجاء وتارة لنعمته فيتولد منه الشكر ولذلك قيل ذاكر النعم شاكر له وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه المحبة فحق المؤمن أن لا ينفك أبدًا من ذكره على أحد هذه الأوجه وإنما ذاك قوله عز وجل إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار أي يذكرون الله تعالى في كل حال لأن الإنسان لا ينفك من هذه الأوجه الثلاثة إن قيل ما حقيقة ذكر الله تعالى في ابتداء الأعمال حتى قال صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر قيل نبه بذلك أن الأمور كلها يجب أن يقصد بها وجه الله تعالى وأن كل أمر لا يقصد به ذلك فهو ناقص وشرع ذكره باللسان ليكون سببًا للتذكر فيتحرى بفعله وجه الله تعالى ولا يعمل ما يناقض رضاه وعلى ذلك قوله تعالى واذكر ربك وقال صلى الله عليه وسلم عسى أن يهديني ربي أي إذا عرض لك نسيان فاذكر ربك تتذكر به أنه مطلع عليك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم

أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأما الحفظ
فالمواظبة على مراعاة الشيء وقلة الغفلة عنه ومنه المحافظة
الحرم حتى ميل للغضب المقتضي لذلك حفيظة ويقال للثبات
صورة الشيء في القلب حفظ ويقال للقوة الحافظة أيضا حفظ
وفلان جيد الحفظ أي القوة الحافظة والحفظ للنفس من وجه
يجري مجرى الخزانة للمال كما يضع فيها المال ويخاف الى وقت الحاجة
ومن وجه يجري مجرى الكتاب الذي يكتب فيه الشيء ليرجع اليه
فيتذكره ومنفعة وقوته في جميع أمورهم أهمهم
قوى الله يده الى ذلك منه كما جعله تعالى للنبيه صلى الله عليه وسلم
ولذلك كان أمية شاهرة الله أذكان أمر الحفظ ما بغنيه عن
الاستعانة بالكتابة ولهذا قال تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وضمن ان حفظه عليه
بما جعل له من القوة الالهية وروي انه لما نزل قوله تعالى
وتعيها أذن واعية قال صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام
سألت الله ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك شيئا الا وعاه
ومن الناس من يسرع اليه النسيان فما يسمعه يكون كالخط
يكتب في بسيط الماء واما البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ
والاصابة في تاليفها وقدرها ومعناها وتحري الصدق فيها
ولا يكون الكلام تام البلاغة الا بجمع هذه المعاني فانه متى

في اللفظ

آ قبح اللفظ او قبح التاليف او كان اكثر مما يجب او اقل مما يجب
آ لم يطابق اللفظ المعنى اما حقيقة او استعارة رائقة اي
آ كان المعنى مجملا او كذبا خرج الكلام بقدر ما اختل من ذلك
باب البلاغة وقد وصفت البلاغة باوصاف مختلفة بحسب
انظار مختلفة فقال بعضهم البلاغة هي الايجاز مع غير عجز
والاطناب في غير خطل وقيل ما فهمته العامة ورضيته
الخاصة وقيل ما اختياره فساد الى غير ذلك من الاوصاف
واما الفصاحة فاشتقاقها من فصح اللبن اذا خلص من اللبأ
وهي الاصابة في اللفظ وفي الائتلاف دون اعتبار الصدق
وصواب المعنى وكل كلام جزل اللفظ حسن التركيب يقال له موصوف
بالفصاحة صدقا كان او كذبا فالبلاغة ترجع الى اللفظ
والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون المعنى

ثمرة العقل من معرفة الله الضرورية والمكتسبة وغاية ما يبلغه الانسان من ذلك

اشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى
وحسن طاعته والكف عن معصيته وعلى ذلك دل قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم العقل بلا ان اجزاء حزء معرفة الله
وجزء طاعة الله وحزء الصبر عن معصية الله وقال صلى الله عليه وسلم
الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وماله العفة وثمرة
العلم معرفة الله تعالى العامية مردودة في النفس وهي معرفة كل احد

بلغ القراء

تعالى بقوله

انه مفعول وان له فاعلا فعله ونقله في الاحوال المختلفة والله اسأل
فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وبقوله تعالى واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية وهذا القدر من المعرفة في نفس
كل احد وينبه الغافل عنه اذا نبه عليه ويعرفه كما يعرف ان ما هو
مساو لغيره وكل الغير مساو له ومن هذا الوجه قال الله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى في مخاطبة
المشركين والكافرين اذا مسكم الضر فاليه تجارون وقال تعالى بعده
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون واما معرفة الله تعالى
المكتسبة فهو توحيده بصفاته وما يجب ان يثبت له من
الصفات وما يجب ان ينفى عنه وهذه المعرفة التي دعت اليها
الرسل عليهم السلام وحثوا عليها وهذا قال لهم قولوا لا اله الا الله
فلم يدعهم الى معرفة الله بل دعاهم الى التوحيد وهذه المعرفة اعني
المكتسبة تحتاج الى اضرب من ضروب الايكار يدركها الالمعي وصعب توسيط
ومزدانا. فذلك معرفة بالنوع الالهي من حيث ان يعترى فيه شك
بوجه كما قال تعالى ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا وضرب يدركه بغلبة الظن اعني الظن الذي يعسر ازالته
اللغة باليقين كما قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون وضرب يدرك بخيالات ومثل وتقليدات واياه عنى تعالى
بقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون آ فالاول كمحرى محرى

نسخة توحيده

ادراك الشيء من قريب ولهذا قال تعالى في وصفهم ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ٢ والثاني كمجرى مجرى
ادراك الشيء من بعيد وقد يعترى فيه شبهة لكن بزوال بادنى
تأمل كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون والثالث كمحرى مجرى مرئي الشيء من
وراء زجاج من بعد فانه يتخيل من شبهات كما اخبر تعالى عن حاله بقوله
ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ولاجل صعوبة معرفة الله تعالى
على الحقيقة حتى تخلص الانسان من آفات الشرك قال تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقال تعالى قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى والله اعبد مخلصا له
ديني وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة
وغاية معرفة الانسان ربه ان يعرف اجناس الموجودات جواهرها
واعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف اثر الصنعة فيها وانها
محدثة وان محدثها ليس اياها ولا مثلا لها بل هو الذي صح ان تفلح
كلها مع بقايه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه تعالى وبهذا النظر قال ابو بكر رضي الله عنه
سبحان من لم يجعل الخلقة سبيلا الى معرفة الا بالعجز عن معرفته
بل هذا قال صلى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ولما
كان معرفة العالم كله يصعب على الانسان الواجب لقصور افهام بعضهم
عنها واشتغال بعضهم بالضروريات التي يعرفها سهم جعل الى الكل

ادراك الشيء من قريب

الانسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا او جد فيه مثال ما هو موجود في العالم
الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر عن كتاب بسيط يلوح مع كل احد
نسخته تيتا ما في الحضر والسفر وبالليل والنهار فان نشط وتفرغ
للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه
على الملكوت ليغزر علمه ويتسع فهمه والا فله مقنع بالمختصر
الذي معه ولهذا قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وشرف
منا على ذلك قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شيء وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا فنبه بهذا جميعهم حيث قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا
انهم عرفوا الغرض المقصود بخلقه وذلك هو آخر الابحاث
لان الابحاث اربعة بحث عن وجود الشيء هل هو وبحث عن
حده ما هو وبحث عما يباين به غيره ما اي شيء هو وبحث عن العرض
هل هو وهذه الابحاث يبتني بعضها على بعض لا يصح معرفة الثاني
الا بمعرفة الاول ولا معرفة الثالث الا بالثاني ولا معرفة الرابع الا بالثالث
وقولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا ينبه على انهم عرفوا الابحاث الاربعة
والا لم يسعدوا بما لم يتحققوا ومن شهد بما لم يتحقق لم يدر ان كان
ما شهد به على ما شهد به الا ترى ان الله تعالى كذب المنافقين حيث قالوا

انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله فدلت هذه الآية على ان
البحث الذي يؤدي الى معرفة حقايق الموجودات التي بها تمام معرفة
الباري تعالى هو من العلوم الشريفة بخلاف قول الصم البكم الذي
لم يجعل الله له نورا حيث يدعو من استغل بمعرفة ذلك

باب وجوب بعثة الانبياء وقلة الاستغناء عنهم

بعثة الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين الى الناس من الضروريات لابد لهم منها
وذلك ان جل الناس نقص عن معرفة منافعهم ومضارهم
الاخروية جزئياتها وكلياتها وبعضهم وان كان لهم سبيل الى معرفة
كليات ذلك على سبيل الجملة فلا سبيل لهم الى معرفة جزئياتها
ولا يمكنهم ان يعرفوا كيف يجب وفي اي وقت يجب ولم يجب فلما
كان كذلك من الله تعالى على كافة عباده خاصهم وعامهم ببرسل
بعثهم فيهم من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة لكي اذا تمسكوا به صلح لهم معاشهم ومعادهم وسهل
عليهم ادراكهم وهذا ازاح تعالى علتهم في بعثة الانبياء عليهم السلام
فقال عز من قايل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

باب ما يعرف به صحة النبوة

لكل نبي آيتان عقلية يعرفها اولوا
البصاير من الصديقين والشهداء ومن يجري مجراهم والبانية
حسية يدركها اولوا الابصار من العامة فالاولى هي ما لهم من اصولهم
الزكية وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلايلهم المعدة عليهم

علاج السالك

والنصيحتهم وانوارهم الساطعة التي لا تخفى على اولي البصاير كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن فيه آيات بينة لكانت بداهته تغنيك عن خبر
وذلك ان حق النبي ان يكون من اكرم تربة في العالم وحسب يكون
عقل اديبها اوفر ولهذا لم يبعث نبي من اطراف التي تضعف
عقول اصحابها وتجب ان يكون من عنصر كريم من بيت الفضل
ولهذا قال الله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل
عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ونبه تعالى
بقوله بعضها من بعض انه جعلت النبوة في اهل بيت واحد ولا
يخرج عنهم لكونهم اشرف وحسب يكون عليه انوار تروق
من رآها واخلاق يتملك من ابتلاها كما قال تعالى والقيت عليك
محبة مني وقال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق
عظيم وحسب يكون كلامه ذا حجة وبيان لتشفي سامعه اذا
كان متخصصا بنور العقل ولذلك قال تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط
مستقيم صراط الله وهذه الاحوال اذا حصلت احتاج
ذو البصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الانبياء من
الملائكة فيما يخبرونهم به بحجة وهذا لما عرض النبي صلى الله عليه
على ابي بكر رضي الله عنه الاسلام تلقاه بالقبول حتى قال صلى الله
عليه وسلم

ما احد عرضت عليه الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه
لم يتلعثم فيه واما الاية الثانية فهي المعجزة التي يدركها الحواس
من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وذلك يطلبها احد رجلين
اما ناقص عن الفرق بين الكلام الالهي والكلام البشري
وعن ادراك سائر ما تقدم ذكره فيحتاج الى ما يدركه حسه
لقصوره عن ادراك ذلك واما ناقص مع نقصه هو معاند فقصده
بما يطلبها العناد كما قال تعالى حكاية عن الكفار وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت
من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

باب كون العقل والرسل هادين للخلق الى الحق

لله عز وجل رسولان الى خلائقه احدهما من الباطن وهو العقل والثاني من الظاهر
وهو الرسول ولا سبيل احد الى الاستدلال بالرسول الظاهر
ما لم يتقدمه الاستدلال بالباطن فبالباطن تعرف صحة دعوى
الظاهر ولولاه لما كان يلزم الحجة بقوله وهذا احال الله تعالى
من تشكك في وحدانيته وصحة نبوة انبيائه عليهم السلام على العقل
وامره ان يفزع اليه في معرفة صحتها فالعقل قائد والدين مسدد

ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لأصبح العقل
جائرا واجتماعهما نور كما قال تعالى نور على نور ١٠ باب
تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب بالعلوم العقلية
المعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري
مجرى الأغذية الحافظة للصحة وكما أن الجسم متى كان مريضا لم ينتفع
بالأغذية بل ربما ستضر به كذلك المركب من مرض المتنفس كما قال تعالى
في قلوبهم مرض فزادهم مرضا لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات
بل صار ذلك ضارا لهم مضرة الغذاء للمريض على ذلك قال تعالى
واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما
الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وايضا فالقلب بمنزلة
مزرعة للمعقولات والاعضاء بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا
وكما أن الله تعالى بمنزلة الماء الذي يسقيه ولذلك سماه ماء على ما
تقدم ذكره فكما أن الماء اذا سقى الارض تختلف نباتها بحسب
اختلاف بذوره كذلك القرآن اذا ورد على الاعضاء المتباينة
في القلوب يختلف تأثيراته ولذلك أشار تعالى وفي الارض قطع
متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون وقال عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن

صنوان جمع صنو وهو ان يكون النخلتان او
النخلات من اصل واحد

ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم
يشكرون وايضا فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر وغشاء
على القلب ووقر في الأذن والقرآن لا يدرك حقايقه الا من
كشف غطاءه ورفع غشاوه وأزيل وقره ولذلك قال تعالى اذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا
مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا
وايضا فالمعقولات كالحياة التي بها الابصار والاسماع والقرآن
كالمدرك بالبصر والسمع فكما أن من المحال ان يسمع الميت قبل
ان يجعل الله تعالى فيه الروح ويجعل له السمع والبصر كذلك من
المحال ان يدرك من لم تحصل المعقولات حقائق الشرعيات
ولهذا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ما
ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا
من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون يعني آيات السموات والارض وعنى
باب الايمان والاسلام والتقوى والبر الايمان هو
الاذعان للحق على سبيل التصديق له بالقبول وبهذا وصف تعالى
العلم والايمان بوصف واحد فقال انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ووجل
القلب هو الخشية للحق على سبيل التصديق له بالقبول هذا
اصل الايمان ثم صار اسما لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالاسلام

وصح أن يطلق على من يظهر ذلك وإن لم يتخصص به اعتقادا عن يقين
وثلج صدر كاليهودي في أن أصله المنسوب إلى يهود والنصراني
في أن أصله المنسوب إلى نصران وهي قرية بهم صارا اسمين للمتخصصين
بالشريعتين على أن اعتقاد الإيمان لا يمنع من أن يطلق على من يظهره
وأن معنى المؤمن هو من صار ذا أمن بإظهار الشهادتين بأمن الإنسان
أن يراق دمه ويباح ماله في الحكم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
أمرت أن أقاتل حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني
دمائهم وأموالهم إلا بحقها وروى سعادة أن لا إله إلا الله كلمة
جعلها الله بينا فرقا من قلب فهو مؤمن ومن فاها بلسانه
ولم يكن في قلبه كان له ما لنا وعليه ما علينا وحسابه على الله
وذلك أنه لا يطلع على القلوب إلا الخالق عز وجل والشريعة واردة
أن يطلق اسم الإيمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير فحص عن قابله
وإيحاشي ذلك من إطلاقه ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الإيمان
خلافا لما ادعاه بعض المعتزلة أنه لا يصح إطلاق اسم المؤمن على الإنسان
ما لم يختبر عن الأصول الخمسة ويوقف منه على جملة ما عند من
والإسلام هو الاستسلام بما يدعو إليه الشرع من فعل ما يقضي فعله
والملة القود إلى الطاعة والدين الانقياد له وبما الذات واحد
لكن الدين هو الطاعة اعتبارا بفعل المدعو في انقياده إلى الطاعة
والملة من أملت الكتاب فعال اعتبارا بفعل الداعي إليها ولكونها

بالذات

بالذات واحد قال تعالى دينا قيما ملة إبراهيم فأبدل الملة من الدين
والدين أعم من الإسلام إذ هو يستعمل في الحق والباطل والإسلام
لا يستعمل إلا في الحق ولذلك قال تعالى إن الدين عند الله الإسلام وقال تعالى
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه والإحسان يتحرى الحسن
في الإيمان والإسلام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له ما الإحسان
قال أن تعبد الله كأنك تراه والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخط
الله وذلك بقمع الهوى والبر السعة وفي العلم أي علم الحق وفضل
الخير مشتق من البر أي السعة من الأرض وهو المعبر عنها بالشرح في
الصدر واطمئنان القلب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما سكنت إليه نفسك
والإثم ما جال في نفسك وتردد في صدرك وقال صلى الله عليه وسلم
البر ثلاثة بينة والشر ريبة ومن البر الجود ومن أجله جعل من
الإيمان قال الله عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما
يصعد في السماء والإخلاص أن يقصد الإنسان بما يفعله
وجه الله تعالى متعريا عن الالتفات إلى غيره ولذلك قال تعالى
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولقلة وجود ذلك
قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولما كان الإيمان
يقال اعتبارا بالعلم فهو متعلق بالقلب والإسلام بفعل الجوارح
والنهوى يقمع الهوى قال صلى الله عليه وسلم الإسلام علانية والإيمان في القلب

الاستسلام الطوع والانقياد ووضع
بقمة السريحة على الرقبة طائعا مختارا

في القلب والهوى ها هنا واشار الى صدره لما كان الصدر مقر قوى
الانسان من الفكر والشهوة والغضب قال صلى الله عليه وسلم
لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى
يستقيم لسانه وقال صلى الله عليه وسلم الايمان قايد والعمل
سايقه والنفس حرون فان لين قايده ساق وان لم تستقم لسايقها وان
ارسايقها لم تطع قايدها ولما كان الايمان والاسلام والهوى متلازمة
قال تعالى الخ اعدت للمتقين وفي موضع آخر وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله وقال تعالى
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى

باب في الايمان

اختلف في الايمان هل هو الاعتقاد المجرد
ام الاعتقاد والعمل معا واختلافهم حسب اختلاف نظرهم
فمن قال هو الاعتقاد المجرد نظر منه الى اشتقاق اللفظ والى
انه قد فصل بينهما في عامة القرآن وعطف بالعمل عليه كقوله تعالى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولان النبي صلى الله عليه وسلم
فرق بينهما في خبر جبريل عليه السلام حين سأله عن الاسلام وعن
الايمان ففسر الاول بالاعمال والثاني بالاعتقاد ومن قال
هو الاعتقاد والعمل فلقوله صلى الله عليه وسلم الايمان معرفة
بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وكذلك اختلفوا
هل يكون في الايمان زيادة ونقصان وقال قوم يكون فيه دلك

لقوله تعالى

تعالى

لقوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقوله
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقوله تعالى
ايمانهم ومن خالفهم قال الشيخ رحمه الله ونفس
بغلبة ضده عليه قالوا الايمان لا يحصل الا بعد ان كون غالبا
على الكفر فلا يضاده حتى يقال انه يغلب عليه ولذلك اختلفوا
في جواز اطلاق اسم الايمان على مجرد الاقرار بالشهادتين فقال بعضهم
يجوز ذلك نظرا منه الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية التي سألها
عن الله فاشارت الى السماء وعن النبوة فاشارت اليه وقال
اعتقها فانها مومنة ولان الايمان ليس بذي منزلة واحدة ومن
قال لا يجوز نظر منه الى قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم ولما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قال انا مومن
فهو فاسق ومن قال انا عالم فهو جاهل ان قيل ما معنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق
السارق حين يسرق وهو مومن قيل الايمان ذو منازل كما وصفه
صلى الله عليه وسلم وانما يكون الانسان مومنا بالامنوية
اذا استوعب منازله فتعرى من جميع الشرور وتخصص من جميع
الخيرات على قدر ما في طاقة البشر ومتى اخرم بعض ذلك خرج
عن اسم المومن كقولهم عشرة في كونها اسما لعدد مخصوص اذا سقط بعضه
سقط ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان الكامل ان لا يكون زانيا ولا سارقا

باب في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون بابا

ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون بابا
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
وهذه لفظة مرتبة تأملها وعرف حقيقتها علم ان الايمان بالواجب هو
اثنتان وسبعون درجة لا يصح ان يكون اكثر منها ولا اقل ولا يوجد
ما هو خارج عنها بوجه وانه صلى الله عليه وسلم فيما يورده كما وصفه الله
عز وجل بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه
شديد القوى وبيان ذلك ان الايمان شرعا بان اعتقاد
واعمال فالاعتقاد على بلاثة منازل يعني ليعتبر بها شبهة
بوجه كما قال عز وجل الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وظني وذلك ما كان عن امارة قوية واعني بالظن ها هنا ما يفسره
اهل اللغة باليقين نحو قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وتقليدي وذلك ما عقد عن راي اهل البصائر كما وصفه تعالى بقوله
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم والاعمال بلاثة عمارة الارض المعنية بقوله تعالى واستعمركم
فيها وعبادة الله تعالى المعنية بقوله عز وجل وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وخلافته المعنية بقوله تعالى ويستخلفكم
في الارض وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وذلك بتحري مكارم
الشريعة فهذه ستة وكل واحد من هذه اما ان تتحراه الانسان

عن رغبة

عن رغبة او رهبة كما قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا او تخراه
الانسان بطوع واهتزاز نفس كما قال تعالى واخلصوا دينهم لله
وهذه اثنتا عشرة منزلة وكل واحد من هذه اما ان يكون
الانسان في مبداها او في وسطها او في منتهاها لان كل فضيلة
ورذيلة لا ينفك الانسان فيما من هذه الاحوال الثلاث كما قال تعالى
في الفضيلة ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم
اتقوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين وقال تعالى في الرذيلة
ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الآية
فجعل منازل الايمان ومنازل الهوى بلاثة كما ترى فهذه اثنا عشرة
في بلاثة يكون ستة وثلثين وكل واحد من هذه الستة والثلثين
اما ان يتوصل الانسان اليه من طريق الاجتباء او من طريق الهداية
فالاجتباء للانبياء عليهم السلام ومن يليهم من الاولياء رضي الله عنهم وهو
ايثار الله تعالى بعض عباده بفيض الهي يأتيهم عنه الحكمة بلا سعي
منهم وعلى هذا قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك وقوله تعالى ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء والاهتداء للحكماء والعلماء وهو
توفق الله تعالى للعبد ليطلب بسعيه وجهده الحكمة فيتحصل
له منها بقدر ما يتحمل من المشقة واياها عنى بقوله تعالى
الله يجتبي من رسله من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله تعالى

ومن بهيئتها واحتبياه فهذه اثنان وسبعون درجة وإنما كان الزيادة
على هذا ولا النقصان منها وكل ما ورد من الأخبار فليس بخارج
منها والله الموفق فمما هو من جملة العبادة قوله صلى الله عليه وسلم
الوضوء شطر الإيمان وقوله صلى الله عليه وسلم الإيمان الصلوة
من فرغ لها قلبه وأقام بها حدودها ووقتها وسننها ومما هو
من مكارم الشريعة قوله صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان
وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق
وقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جمعهن جمع الإيمان الإنفاق من الإقتار
وإنصاف المؤمن نفسه وبذل السلام وقوله صلى الله عليه وسلم
أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وألطفهم بأهله وقوله صلى الله
لأبي بن من أصحابه بما أيمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر في
الرخاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة

باب في أنواع الجمل

الإنسان في الجمل على أربعة منازل
الأول من لا عقل له اعتقادا لا صالحا ولا طالحا وأمره في الإشارة
سهل إذا كان له طبع فإنه كالوحي الأبيض لم يشغله نقش ويكاد
سماء لم يلق فيها بذر ويقال له باعتبار العلم النظري عقل
وباعتبار العلم العملي عمر ويقال له سليم الصدر والثاني معتقد
لرأي فاسد لكنه لم ينشأ عنده ولم يتربص عليه واستنزله
عنه سهل وإزالة أصعب من الأول فإنه كلوح يحتاج إلى الحذف

وكتابة

وكتابة وكأرض يحتاج فيها إلى قلع وزراعة ويقال له غاو وضال
والثالث معتقد لرأي فاسد قد تراءى له صحته فركن إليه
بجهله وضعف تحيزه فهو ممن وصفه الله تعالى بقوله عز وجل
إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون هذا
دواء لا سبيل إلى تهذيبه وتنبيهه كما قيل الحكيم يرفق شيخا
جاهلا أما تصنع فقال أغسل مسحا لعلة بيضن والرابع معتقدا
فاسدا عرف فساده أو تمكن من معرفته لكنه اكتسب دينية
لرأسه وكرسيا لرياسته فهو يحامي عليها فيجادل بالباطل
ليدحض به الحق ويذم أهل العلم ليجر إلى نفسه الخلق ويقال له
فاسق ومنافق وهو من الموصوف بالاستكبار والتكبر في قوله
عز وجل وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم
ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وقوله تعالى في الذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون فنبه تعالى أنهم
ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطلانه لكن يستكبرون
عن التزام الحق وذلك حال إبليس لعنه الله فيما ادعى إليه من
السجود لآدم عليه السلام فالجنون هو عارض يغمر العقل
والحمق قلة التنبه لطرق الحق وكلاهما يكون خلقة تارة
وعارضا تارة وقد عظم الحمق مما لم يعظم الجنون وقد صدق السلف في
قوله بكل داء دواء يستطب له إلا الحماقة أعيت من يداويها

الخيرة الخالق
يعجز كالفلسفة يلبسه
المصاة والعاصي على رؤسهم

وقد حكيت حكاية ترى وإن لم تصح نافع ذكرها وهي أن عيسى عليه السلام أتى
بالأحمق ليداويه فقال لي عياني مداواة الأحمق ولم يعني مداواة
الأكمه والأبرص ومما يفرق بينهما أن المجنون يكون غرضه الذي
يريده ويأمه ويقصده فاسدا وسلوكه الغرض صوابا والأحمق
يكون غرضه الذي يريده صحيحا وسلوكه اليه خطأ ولهذا يعرف
المجنون إذا رأى إرادته قبل سلوكه الى مراده بل يعرف بسلوكه ولهذا
متى صح إرادة المجنون صح فعله حتى يتعجب كثير ممن فاتت صوابه
والأحمق إنما يصيب في شيء من مسالكه وأما البلهة فقلة التنبه
بالأمور الدنيوية وتارة يكون الأمور الأخروية ثم ركاكة في أحدهما
كيسا كان في الأخرى أبله وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه
أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وأما الرقيع فالذي يلصق
بقلبه كل محال كأنه رقع بذلك والأرعن الذي يأتي بما خرج عن
الصواب تشبيها بالرعن الجبل وهو الجبل منه والأحمق الناقص
العقل مرتبة تحقت السبوق إلى نقصت والغارة قلة التجربة
في الأمور العملية مع تخيل سليم وقد يكون الإنسان غمرا في شيء
دون غمر في آخر والحرق يقال في الجاهل بالعلوم العملية وذلك
بأن يعمل أكثر مما يجب أو أقل أو على غير النظام المحمود وفساد كل
عمل لا يعدو أحد هذه الوجوه الثلاثة ويضاده الحذق والغي
اتباع الهوى وترك ما يقتضيه العقل والضلال أن يقصد الإنسان

الحق أو قول الصدق أو فعل الجميل فظن لتقصيره وسوء تصوره
فيما كان باطلا أنه حق فاعتقده أو فيما كان كذبا أنه صدق
فقال أو فيما كان قبيحا أنه جميل ففعله والجهل عام في كل ذلك
والخبث استعمال الدهاء في الأمور الدنيوية صغيرها وكبيرها والجربزة
مثله لكن يقال فيما يقتضي الآراء الدنيئة والدهاء مثله لكن
يقال في الأمور العظام إذا أدرك غاياتها ولذلك قالوا الدهاء في
الإسلام أربعة فذكر المتوجهين في الأحياء الدنيوية التي بلغوا بها
أمورا كبارا ومن الجهل الكفر وسوء عناد الإنسان للحق على سبيل
التكذيب له لا بيقين وأصله ستر ما جعله الله للإنسان بفطرته
وصنعته من المعارف بما يستعمله ويخرجه من رعونة الحق
ومن ترك النظر والإخلال بالتزكية المنفس المعنية بقوله تعالى
قد أفلح من زكاها

باب كون العلم مركوزا في نفوس الإنسان

نفس الإنسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة
مجعولة لها بالقوة كالنار في الحجر والنخل في النوى كما أن
الأرض لكن كما أن من الماء ما يجري من غير فعل بشري ومنه ما يغار
تحت الأرض لكن لا يوصل إليه إلا بفعل ومن الشاء ما هو كامن يحتاج
في استنباطه إلى جهد وتعب شديد فإن عني به أدرك وإلا بقي غير منتفع به
كذا العلم في نفوس البشر منه ما يوجد من غير تعلم بشري وذلك كحال
الأنبياء عليهم السلام فإنه تعالى يفيض عليهم المعارف من حضرة الملإ الأعلى

فكرهم وخواطرهم حتى ادركوا حقايقها فصاروا كمن حملوا شهادة
فنسوها ثم تذكروها ولذلك قال تعالى وغرهم ما كانوا يفترون
وليتذكر اولوا الالباب ٥ وصرفوا عقولهم انفسهم ولم يشتغلوا بتذكر
ما جعلوا كما قال تعالى واذا ذكروا لا يذكرون وهم في الجملة يتعلمون
وعلى هذا التذكر حث الله تعالى بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به وقال عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر اي
يسرنا القرآن ليكون سببا ان يتوصلوا به الى تذكر ما سبق
من عهدكم والتذكر على ثلثة اضرب الاول ان يكون بالنسيان
عن صورة ما حصل في القلب الثاني ان يكون بالقلب لصورة ما حصل
عن شيء معهود اما بالبصر او بالبصيرة او غيره من المشاعر
والثالث ان يكون عن صورة مضمنة بالفطرة في الانسان وهو
المشار اليه بهذه الآيات ومن هذا الوجه قالت الحكماء التعلم
ليس تحصيل ما الانسان شيئا من خارج في الحقيقة وانما يكشف
الغطاء عما حصل في النفس وبيروزه مجلاية فشبه كمثل الجواهر المستنبط
للماء من تحت الارض وكالصيقل الذي يزيل الجلاء في المرآة وهذا
ظاهر لمن نظر بعين عقله

باب حصر انواع المعلومات

انواع العلوم بلا شك نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق باللفظ والمعنى
ونوع يتعلق بالمعنى دون اللفظ فاما المتعلق باللفظ فهو ما يقصد به
تحصيل الالفاظ بوساطة المعاني وذلك ضربان احدهما حكم دوات الالفاظ

ومنه ما يوجد بادنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده كحال عوام الناس ٥
ولكون العلم مركوزا في النفوس قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او
تقولوا انما اشرك آباؤنا وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما
فعل المبطلون فنبه بانهم اقروا ان الله هو الذي ربهم ويعذبهم
ويرزقهم ويكلمهم من الطفولية فهذا اقرار نفوسهم بما ذكر في
عقولهم فاما الاقرار باللسان فلم يحصل من كلهم وكذلك المعنى
بقوله تعالى وليسألنهم من خلقهم ليقولن الله اي لئن اعتبرت
احوالهم لكانت نفوسهم وجوارحهم ينطق بذلك وعلى هذا قوله تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا
تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فبين تعالى ان الدين الحنيف وهو المستقيم فطر الناس عليها
اي خلقهم عالمين به فان المعاندين وان قصدوا وتبدلوا وازالة
الناس عنه لم يقدروا عليه ٥ وعلى ذلك قوله تعالى صبغة الله
ومن احسن من الله صبغة وقال تعالى فيما روي منه الفطرة
والصبغة اوليكتب في قلوبهم الايمان فسمى ذلك كتابا
وقول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
وهذه الشهادة المأخوذة عليهم قال الناس صنفان صنف اجابوا

سابه عالمين

فطرهم

وهو علم اللغة والثاني لواحق الألفاظ وذلك شيئان شيء يشترك
فيه النظم والنثر وهو علم الاشتقاق وعلم النحو وعلم التصريف
وشيء يختص به النظم وهو علم القوافي وعلم العروض وأما النوع المتعلق
باللفظ والمعنى فخمسة اضرب علم البراهين وعلم الجدل وعلم الخطابة
وعلم البلاغة وعلم الشعر وأما النوع المتعلق بالمعنى فضربان
علمي وعملي فالعلمي ما القصد به العلم فقط وذلك معرفة الباري
عز وجل ومعرفة النبوة ومعرفة الملائكة ويوم القيامة ومعرفة
العقل ومعرفة النفس ومعرفة مبادي الأمور ومعرفة الاركان
ومعرفة الآثار العلوية من الفلك والنيرين والنجوم ومعرفة طبائع
النبات ويقال له علم الفلاحة ومعرفة طبائع الحيوانات ومعرفة
طبائع الانسان ويقال له علم الطب واما العملي فهو ما يجب
ان يعلم ثم يعمل به وتارة يسمى السنن والسياسات وتارة الشريعة
وتارة احكام الشرع وكما به وذلك حكم العبادات وحكم المعاملات
وحكم المطاعم وحكم المناكح وحكم المزاجر والطرق التي تستفاد
منها العلوم اضرب الأول المستفاد من بديهة العقل ومصادرة
الحس وذلك يحصل لكل من لم يكن موقوف الآلة وان اختلف
احوالهم في ذلك الثاني المستفاد من جهة النظر اما بمقدمات عقلية
او ممدة بمحسوسات الثالث المستفاد بخبر الناس اما بسماع
من افواههم او بالقراءة من كتبهم ولا يكون الخبر علما الا ما كانت الظنة

عز وجل

الرابع ما كان عن الوحي اما بلسان ملك كما قال تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك واما بسماع كلام من غير
مصادفة عن كحال موسى صلى الله عليه وسلم واما بالقاء في الروع
في حال اليقظة كما قال صلى الله عليه وسلم ان يكن في هذه الأمة محدثون
فهو عمر واما بالمنام وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ويطوى على ذلك
قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء

باب ما يعرف به فضيلة العلوم

فضيلة العلوم يعرف بسببين احدهما بشرف ثمرته والآخر
بوثاقة ادلته وذلك كشرف علم الدين على علم الطب وان ثمرة علم
الدين الوصول الى الحياة الابدية وثمرة علم الطب الوصول الى الحياة
البدنية المنقطعة وعلم اصول الدين ماخوذ من الوحي واصول
الطب ماخوذة اكثرها من التجارب وربّ علم يوفى على عمره باجل الوجهين
وذلك الغير يوفى عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب فللطب
شرف الثمرة اذ هو يفيد صحة البدن وللحساب وثاقة الدلالة
اذ كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة وليس يجب ان
يحكم بفساد علم لخطاء وقع من اربابه كصنيع العامة اذا وجدوا
من اخطاء في مسألة حكموا على صناعته بالفساد واذا رأوا من
اصاب في مسألة حكموا بصناعته بالصحة وذلك عادتهم في الطب

والتنجيم فيعتبر دون الصناعة بالصانع خلاف ما قال امير المؤمنين علي عليه السلام
يا جار ملبوس عليك الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله ٥
ولسنا نرون ان الصناعة مبنية على شيء روحاني والمتعاطي
لها يباشرها بجسم وطبع يضامها العجز فهو خليق بوقوع
الخطاء منه ثم الانسان قد ينتحل ما ليس فيه فيدرع بدعوى ما
لم تجد آلته ثم كثير ممن يتخصص بصناعة يدعي لصناعته
ما ليس في طبعها كثير من المتميز المدعي ما لا يوجد في
التنجيم فاذا لا اعتبار بدعاوى الناس

باب استحسان معرفة انواع العلوم

حق الانسان ان لا يترك
شيئا من العلوم ان امكنه النظر فيه واتسع العمر له الا وتخبر
بشمة عرفه وبلوقه طيبه ثم ان سلحه القدر على التغذي به
والتزود منه فيما نعمت والا لم يصبر لجملته بجملة وغباوته عن
منفعته معاديا لبطبعه قال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

ومن جهل شيئا عاداه فالناس اعداء ما جهلوا بل قال تعالى
واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكي عن بعض
فضلاء القضاة انه بعد ما ظعن في السن ولم يتعلم اشكال
الهندسة فصل له في ذلك وقال وجدته علما نافعا فكرهت ان
اكون لجملتي به معاديا وانبغي للعاقل ان يستبين شيئا من العلوم

بل يحب

بل يجب ان يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه ومنزلته التي
يستوجبه ويشكر من هداه بعلمه وصار سببا لعلمه فقد حكي
عن بعض الحكماء انه قال تجب ان نشكر آباءنا الذين ولدوا
الشكوك اذ كانوا اسبابا لما جرى خواطرنا للنظر في العلوم فضلا
عن شكر من افاد ناظرا من العلم ولو امكن ذكر من تقدمنا
لاصبح المتاخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح الدنيا
فضلا عن مصالح الاخرى ثم تامل حكمة الله عز وجل في اقل
آلة يستعملها الناس كالمقراض حيث جمع سكينين مركبا
على وجه يتوافى حداهما على نمط واحد للقرض اكثر تعظم الله تعالى
وشكره ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

باب معاداة بعض الناس لبعض العلوم

العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله تعالى بكل منزل
منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو
فمن منازله معرفة اللغة التي عليها مبنى الشرع ثم حفظ كلام
رب العزة تعالى ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق
والورع ثم علم المعاملات وما ورد لكل من الوسايط من معرفة
اصول البراهين والادلة ولهذا قال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته وفي

الى تمام

باب الحث على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه

من كان قصده الوصول الى جوار الله تعالى وتوجه نحوه كما قال تعالى
ففروا الى الله وكما اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله سافروا
تغنموا فحقه ان يحمل العلوم كزاد موضوع في منازل السفر
فيتناول في كل منزل قدر البلغة فلا يعرج على تقصيه واستفراغ
ما فيه فتقضي الاسفار نوعا واحدا من العلوم على الاستقصاء
يستفرغ عمره ابدا عمارا ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره وقد
نبهنا الباري عز وجل على ان يفعل ذلك بقوله تعالى الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب وقال امر الموسر على علم اللم العلم
كثير فخذوا من كل شيء احسنه وقال
قالوا خذ العين من كل فقلتهم في العير فضل ولكن ناظر العير
وقيل جل طبعك بالعيون والفقر فالشجرة لا يشبه نها قلة الحمل
اذا كانت ثمرتها نافعة وبحسب الخوض الانسان في فرع
يتناول من الفرع الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه
حاجته فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم وعلى هذا قال تعالى
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي لا يتجاوزون فنا
حتى يحكموه علما وعملا ويجب ان يقدم الاهم فالاهم من غير
اخلال بالترتيب وكثير من الناس شغلوا الوصول بتركهم الاصول

حق ما هو صدده فهو في جهاد يستوجب من الله تعالى حفظ مكانه
ثوابا على قدر عمله لكن ما ينفك كل منزلة منها عن شر شرير في
ذاته وشره في مكسبه وطالب رياسته وجاهل معجب بنفسه
يضيق اجل تضييق سلعته ضار فاعرف المنزل الذي فوق
منزلتك من العلم وعاينا له فهذا يرى كثيرا ممن حصل في منزلة
من منازل العلوم دون الغاية عاينا لما فوقه وصار فاعنه من
راءه فان قدر صرف الناس عنه بشبهة من خرفة فعل والا
نفر الناس عنه فعل من قال الله تعالى فيهم وقال الذين كفروا لا
تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وما ادري
من هذا صنيعه الا من الذين وصفهم الله بقوله تعالى الذين
يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وذكر الترمذي رحمه الله
هذه المسئلة وقال اذا كان من يقطع على الناس طريق مكاسبهم
الدنيوية فيستحقون ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالى
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
فما الظن بمن يستحق من العقوبة من يقطع الطريق على
المسافرين الى الله عز وجل وحكي عن عيسى عليه السلم انه قال
يا علماء السوء قعدتم على باب الجنة فلم تدخلوها ولم تدعوا غيركم
يدخلها مثلكم مثل الكلب قعد على ذبرة حسن وثمرة يقتل من اكله

باب الحث
بعال
الحمار اذا اكل
وفلي ما عمل

وحقّ ان يكون قصده من علم يتحراه التبلّغ به الى ما فوقه حتّى يبلغ
النّهاية ٥ والنّهاية من العلوم النظريّة معرفة الله تعالى على الحقيقة
والصدوقة ٥ فالعلوم كلّها خدم لها وهي حرّة وروى انّه يرى
صورة الحكيم من القدماء المتألّهين في بعض مساجدهم وفي يد
احدهما رقعة فيها أن احسنت كلّ شيء فلا تظنّ انّك احسنت
شيئًا حتى تعرف الله وتعلم انّه مسبّب الأسباب وموجد الأشياء ٥
وفي يد الآخر كنت قبل ان عرفت الله اشرب واطأ حتى اذا
عرفته رويت بلا شرب بل قد قال الله عزّ وجلّ ما قد اشار به الى
ما هو ابلغ من حكمة كلّ حكيم قل الله ثمّ ذرهم اى اعرفه حقّ المعرفة
ولم يقصد بذلك ان يقول له قولًا باللسان اللحن فقد لك فلك الغناء
ما لم يكن عن طويّة خالصة ومعرفة حقيقيّة وعلى ذلك قال صلى الله عليه
من قال لا اله الا الله مخلصًا دخل الجنّة ويجب ان لا يتعرّى علمه
عن مراعاة العمل فيه بتبلّغ الا ترى انّه تعالى ما اخلى ذكر الايمان في
عامّة القرآن من ذكر العمل الصالح نحو قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات والدلالة اسرار تعالى بقوله اليه يصعد الكلم الطيّب
والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة العلم من غير العمل مادّة للذنوب
وقيل العلم الآس والعمل بناء والآس بلا بناء باطل وقال حكيم لرجل
يستكثر من العلم دون العمل يا هذا افنيت عمرك في جمع السلاح فمتى
تريد ان تقاتل وما قال الشارح صلح ان تكون اشارة الى هذا المعنى

تبلغ اى تتعمق الزمان ٥

فعلم ان لم اشف نفسًا حرّة يا صاحبي اريد حمل سلاح

باب احوال الانسان في استفادة العلم وافادته

كما ان للانسان في مقتنياته اربع احوال حال استفادة فيكون مكتسبًا وحال
ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيًا عن المسئلة وحال انفاق
على نفسه فيصير به منتفعًا وحال افادة غيره فيصير به سخيًا
كذلك ايضًا للانسان في العلم له اربع احوال حال استفادة وحال تحصيل
وحال استبصار وحال تبصير وتعليم ٥ ومن اصاب مالًا فانتفع به
ونفع غيره من مستحقّيه كان كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة
والمسك الذي يطيّب وهو طيّب ٥ وهذا اشرف المنازل ثمّ بعده
من استفاد علمًا فاستبصر به ٥ فأمّا من افاد علمه غيره ولم ينتفع
هو به فكالقوّة يفيد غيره الحكمة وهو عادمها وكالمسن يشحذ
وهو لا يقطع وكالمغزل يكسو ولا يكتسي وكذبالة المصباح تضيء
للنّاس وهي تحترق ٥ ومن استفاد علمًا ولم ينتفع به ولا نفع غيره
كالنحل يشرع شوكًا لا يذود به عن جلبه كفّ جان وهو منتهب

باب ما يجب على المتعلّم ان يتحراه

حقّ المتشبّث لتعلّم الحقائق
ان يراعي بلاثة من الامور الاوّل ان يطهّر نفسه من رذائل الاخلاق
تطهير الارض للبذر من خبايث النبات فقد تقدّم ان الطاهر
لا يسكن الّا بيتًا طاهرًا وان الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب
والثاني ان يقلّل من الاشغال الدنيويّة ليتوفّر فراغه على العلوم الحقيقيّة

فانّه شعر

الاستبصار الادراك بالبصيرة ٥

الاشتباع تتبع الشيء

قال الشاعر

وما صاحب الشطوط يعمر منهلا ورعا اذا لم تخل ربعا ومنهلا

وقد قال الله عز وجل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ٥

والفكرة متى توزعت كانت كجدول يفرق ماؤه فيتنشفه الجو

ويتشربه الارض فلا يقع به نفع واذا جمع بلغ الزرع فانتفع به

والثالث ان لا يستكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب للمتعالي

كما حزب للكان العالي ولهذا قيل العلم لا تعطيك بعضه حتى

تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانك ترى عطاياه لك بعضه

على خطر وكأنما اياه عنى من قال

خدم العلى فخدمته وسمى التي لا تخدم الاقوام لم تخدما

ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كأرض دامث نالت مطرا غزيرا فتلقته

بالقبول لم ينتفع به فحقه ان يضرع له كما قال تعالى ان في ذلك

لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ٥ اي لمن له

نفسه علم يستغني به او نزل لاستماع الحق واقتباسه ممن

عنده العلم وقال بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا

خير من اليد السفلى اشارة الى فضل المعلم على المتعلم وفي

تبيين فضل المعلم حث للمتعلم على الانقياد له وكما ان من حق

المريض ان يكل الى الطبيب الناصح الذي وقف على دائه ليطلب

الطب دواءه وغذاءه فانه ان تشهى لم يتشه الا ما فيه داؤه

ولم يجتو الا ما فيه شفاؤه كما قال ابو الطيب

الماء

حزب اي وصل

فمن ذاق مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا ان يأتمر له وان ينزل عند امره

وارشاده فيما ليس بصدد تعلمه وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله

عز وجل عن العبد الصالح انه قال لموسى عليه السلام حين قال

هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فقال انك لن تستطيع معي

صبرا وكيف تصبر على امر لم تحط به خبرا فقال ستجدني ان شاء الله صابرا

ولا اعصي لك امرا فاشترط عليه ان لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا فنهاه عن مراجعته وليس ذلك

نهيا عما حث الله تعالى عليه في قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم

لا تعلمون وذلك ان النهي انما هو نهي عن العلم الذي لم يبلغ

منزلته بعد والحث انما هو على سؤال عن تفاصيل ما خفي عليه

من النوع الذي هو بصدد تعلمه ٥ وحق من هو بصدد تعلم علم من

العلوم ان لا يصغي الى الاختلافات المشككة والشبه الملتبسة

ما لم يتمذهب في قوانين ما هو بصدده ليلا يتولد له شبهة تصرفه

عن التوجه فيه فيودي ذلك به الى الارتداد ولذلك نهى الله

تعالى من لم يكن قد تقوى في الاسلام عن مخالطة الكفار فقال تعالى

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا

وقال تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ومن اجل

ذلك كره للعامة ان تجالس اهل البدع والاهواء ليلا

يقعوا في ٥ فالعامي اذا خلا برأي المبتدع فكالشاة اذا خلت

بالسبع وقال بعض الحكماء انما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير

لعله المعلم لهم امورا مطيعا ما هو لهم ولا يكلفهم امرا حاكما على المتعلم

والله اعلم

لأنه تعالى اراد ان يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشكلونهم
باحكامهم معهم من اليهود والنصارى فحرم على المسلم ذلك اذ
هو معظم مآكلهم ومعظم الامر في تناوله ومسيسه ليتنزه
المسلمون عن الاجتماع معهم في المواكلة والايس وقال صلى الله عليه وسلم
في المؤمن والكافر لا يتراى ناراهما لذلك فاما الحكيم فلا بأس
بمجالستهما ايامهم فانه جار مجرى سلطان ذي اجناد وعدة
وعتاد لا يخاف عليه العدو حيث ما توجه ولهذا جوز له
الاستماع الى الشبه بل اوجب عليه ان يتتبع بقدر جهده
كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم ويدافعهم فالعالم افضل
المجاهدين الذابين عن الدين ٥ فالحمد لله حمدا ان لله حمدا بالبنان
وحمدا باللسان ٥ ولما قدم سمى الله تعالى الحجة سلطانا في غير
موضع من كتابه كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام اني اتيكم بسلطان مبين

باب ما يجب ان يتحراه المعلم على المتعلم

حق المعلم ان يجري متعلمه مجرى بنيه فانهم في الحقيقة هم اشرف الابوين
كما قال الاسكندر وقد سئل اي معلميك اكرم عليك ام ابوك
فقال بل معلمي لانه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي
الفانية وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما انا لكم
مثل الوالد ٥ فحق معلم الفضيلة ان يقتدى بالنبي صلى الله عليه و
أذ هو في ارشاد الناس خليفته ويشفق عليهم اشفاقه ويحتن

عليهم تحننه كما قال تعالى في وصفه صلى الله عليه وسلم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤف رحيم ٥ واي عالم لم يكن له من يفيده للعلم صار كما قر
لا نسل له فيموت ذكره بموته ومتى استفيد علمه كان في الدنيا
موجودا وان فقد شخصه كما قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه
العلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب
موجودة وقال بعض الحكماء في قوله تعالى وهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث
من آل يعقوب انه سأل ربه نسلا لا يورثه علمه لان من يورثه ماله
فأعراض الدنيا هون عند الانبياء عليهم السلام ان يشفقوا عليها
وكذا قوله تعالى وانى خفت الموالي من ورائي اي خفت ان لا يراعوا
العلم وعلى هذا قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ٥
وكما ان من حق اولاد الاب الواحد ان يتحابوا ويتعاضدوا ولا
يتباغضوا وكل ذلك من بني العلم بل بني الدين الواحد ان يكونوا
كذلك ٥ فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة ولذلك قال تعالى
انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين ٥ وحق العالم ان يصرف من يريد ارشاده عن
الرذيلة الى الفضيلة بلطف في المقال وتعريض في الخطاب فالتعريض
ابلغ من التصريح لوجوه احدها ان النفس الفاضلة تميل بها الى
استنباط المعاني تميل الى التعريض شغفا منها باستخراج
معناه بالفكر ولذلك قيل رب تعريض ابلغ من تصريح والثاني

باب وجوب منع الجملة من حقائق العلوم والاقتصار بهم على قدر افهامهم

واجب على الحكيم والعالم النحرير ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما قاله
انا معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر
عقولهم اه وان يتصور ما قال امير المؤمنين عليه السلم حيث قال لكميل بن زياد
واوما بيده الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة
بلى اصبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر
بنعم الله على عباده وبحجته على كتابه او منقادا لاهل الحق لا بصيرة
له يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلموا الناس بما يعرفون ودعوا
ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله تعالى ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم
ما احدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة
على بعضهم وقال عيسى صلوات الله عليه لا تضعوا الحكمة في
غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوا اهلها فتظلموهم فكر كالطبيب
الحاذق يضع دواءه حيث يعلم انه ينفع وقيل تصفح طلاب
حكمك كما تتصفح خطاب حريمك وهذا تم ابو تمام
وما انا بالغير ان مر دون جارتي اذا انا لم اصبح غيورا على العلم
وقيل لبعض الحكماء ما بالك لا تطلع كل احد على حكمة يطلبها
منك فقال اقتداء بالباري عز وجل حيث قال ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فبين ان تعالى

ان التعريض لا يهتك به سجوف الهيبة ولا يوقع به ستر الحشمة
والثالث ان ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض وجوه
فمن هذا الوجه يكون ابلغ ومن هذا الوجه حذف اجوبة كثيرة
من الشروط المقتضية للثواب او العقاب نحو قول الله عز وجل
حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها والرابع ان للتعريض عبارات مختلفة
والتصريح ليس الا عبارة واحدة فلا يمكن ايراده الا على وجه واحد
والخامس ان صريح النهي داع الى الاغراء ولذلك قيل للوم اغراء
دع اللوم ان اللوم يغري وانما اراد صلاحا فامر بلوم فافسد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو نهى الناس عن قرف البعر لقرفوها
وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وكفى به شهادة ما كان من امر
آدم وحوا عليهما السلم في نهي الله تعالى اياهما عن اكل الشجرة
ومن حق المعلم مع من يفيده العلم ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم
فيما علمه الله تعالى حيث قال قل لا اسالكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين
فائدة من وجوه من يفيده علما ثوابا كما يوليه وليعلم ان من باع علما
بعرض دنيوي فقد ضاد الله تعالى في حكمه وذلك ان الله تعالى
جعل المال خادما للمطعم والملابس وجعل المطعم والملابس
خادما للبدن وجعل البدن خادما للنفس وجعل النفس خادمة
للعلم فالعلم مخدوم غير خادم والمال خادم غير مخدوم فمن جعل
العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غير خادم خادما

لما هو خادم غير مخدوم

باب

منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين ان نهيه انما هو عن ذلك مفسدة لهم وسأل
رجل جاهلا حكيما عن مسئلة من الحقائق فأعرض عنه ولم يجبه
وقال أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما نافعا
جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال نعم سمعته فاترك اللجام
ههنا واذهب فاذا جاء من سمع ذلك وكتمته فليلجمني وقال
بعض الحكماء في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل
الله لكم قياما فانه نبه على هذا المعنى وذاك انه لما منعنا عن تمكين
السفيه من المال الذي هو عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر
تفاديا انه ربما يؤدي به الى الهلاك دنيوي فلان نمنع عن تمكينه من
حقايق العلوم التي اذا تناولها السفيه ادته الى ضلال واضلال
وهلاك والهلاك احق واولى فانه

اذا ما اقتنى العلم دوشرة تصلف ماذم من مخبره
وصادف من علمه قوة يصول بها الشر في جوهره

وكما انه واجب على الحكماء اذا وجدوا من السفهاء رشدا ان
يرفعوا عنهم الحجر ويدفعوا اليهم اموالهم لقوله تعالى فان انستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فواجب على الحكماء اذا وجدوا
من المسترشدين قبولا ان يدفعوا اليهم العلوم بقدر استحقاقهم
فالعلم قنية يتوصل بها الى الحياة الاخروية كما ان المال قنية
في المعاونة على الحياة الدنيوية وبادل العلم لمن ليس يستحقه يستوجب

صوابه على الحكام

عقوبة

عقوبة وما منع عن اهله يستوجب عقوبات ولذلك قال تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه وقال عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم
الا النار الآية وقال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله
فاذا ثبت ذلك وجب ان يكون من تقيد من العامة بقيد الشرع
ان لا يصرف عما هو بصدده فيؤدي ذلك الى اخلاله عز قيده
هم لا يمكن ان يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بين الشرور
وبينه ومن اشتغاله بعمارة الارض من بين تجارة او ممنه
فحقه ان يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج اليه من هو في
مرتبته في عبادة الله العامية وان يملأ نفسه من الرغبة
والرهبة الوارد بهما القرآن والاخبار له الشبهة والشكوك
فان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما بانبعاث شبهة تولدت
له او ولدها داعية دفع اليه فنافت نفسه الى معرفة حقيقتها
فحقه ان يختبر فان وجد طبعه موافق للعلم وفهم ثاقب
وتصور صايب خلي منه ومن التعلم وسوء عليه بما يوجد
من السبيل اليه وان وجد شريرا في طبعه ناقصا في فهمه
منع اشد المنع ففي استغاله بما لا سبيل له الى ادراكه مفسدتان
تعطله عما يعود نفعه الى العباد والبلاد واستغاله بما يكثر منه

على

بدعًا استغووا بها عامّة واستجلبوا بها منفعة وريا سية
فوجد وامن الغاغة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقرب جوهرهم منهم
فكل قرين الى شكله كانس الخنافس بالعقارب
وفتحوا بذلك طرقًا مفسدة ورفعوا بها ستورًا مسبلة وطلبوا
منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشر فبدّعوا
العلماء وكفّروهم اغتصابًا لسلطانهم ومنازعة لمكانهم
فاغروا بهم اتباعهم حتى وطيوهم بأخفافهم واظلافهم فيتولد
من ذلك البوار والجور العام **باب ذكر من يصلح لوعظ العامة**
لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص في الحكيم بل لنقص في العامي
فلن ترى الشمس ابصار الخفافيش والصقر يجفو عن طراد الدخل
وايضًا فبين الحكيم والعامي مرتبتان في طبعيهما وتنافر شكليهما
من النفار قريب مما بين الماء والنار والليل والنهار **وقد قيل**
ليكلم الرجل على قدر عقول العامة ولا يكلم على قدر عقله
قاطع فقال لأن ضوء عيونهم قصر عن نوره والناس الى اشكالهم
أميل **وهذا النظر** لما قال جاهل لحكيم اني احبك قال له يعيب
الى نفسي وميل لهم قال الله ان صدق فليس مثلي الى الا
لنقيصة بدت من نفسي لنفسه فأنست به **وعلى هذا قال الشاعر**
لقد زادني حبًا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل
فحق الواعظ ان يكون له مناسبة الى الحكماء يقدر على الاقتباس

بدعًا

واقال الشاعر

يميل

طرائف

الصفير

الى فرخ العصفور الوضيع والدخل بمعنى

شيمته وليس فيه نفعة وكان بعض الائمة المتقدمة اذا ترشح
احدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقايق العلوم والخروج من جملة
العامة اختبره فان لم يوجد خيرًا في الخلق اوعر منتهى للتعلم
منع اشد المنع وان وجد خيرًا في الخلق ومتهيئًا للتعلم شرط
عليه ان يقيد في دار الحكمة ويمنع ان يخرج حتى يحصل له العلم
او يأتي عليه الموت ويزعمون ان من شرع في حقايق العلوم
ثم لم يبرع فيها تولدت له الشبه وكثرت فيصير ضالًا
ومضلًا فيعظم على الناس ضرره وهذا النظر **قيل** نعوذ بالله من
نصف متكلم **باب وجوب ضبط المتصدين للعلم ومضرة**
اهمال ذلك الشيء اوجب على السلطان من مراعاة احوال المتصدين
للرياسة بالعلم فمن الاخلال بها ينتشر الشر ويكثر الاشرار
ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذاك ان السواس اربعة
الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم
والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم
والحكماء وحكمهم على بواطن الخاصة بالحجج والموعظة وحكمهم على
باطن العامة وصلاح العامة بمراعاة امر هذه السياسات
لتخدم العامة الخاصة ويسوس الخاصة العامة وفساده في
عكس ذلك ولما ترك مراعاة المتصدين للحكمة والوعظ وترشح
قوم للزعامة في العلم من غير استحقاق منهم لها فاحدثوا بجهلهم

منهم والاستفادة والمناسبة الى الدنيا فقدرون على الاخذ منهم
كالوزير للسلطان الذي يجب ان يكون فيه اخلاق الملوك
وتواضع السوقة ليصلح ان يكون واسطة بينه وبينهم وكالنبي
الذي جعله الله من البشر واعطاه قوة الملك ليتمكن ان يأخذ
من الملك ويمكن للبشر ان يأخذوا منه ٥ والى هذا اشار تعالى
بقوله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولبسنا عليهم
ليس في وسعكم التلقي عن الملك اذ لم يتجسم فيصير في صورة
رجل فاذن حق الواعظ ان يكون له نسبة الى الحكيم والى العامة
ياخذ منه ويعطيهم كنسبة الغضاريف الى اللحم والعظم جميعا ولولاها
لما امكن للعظم ان يكتسب الغذاء من اللحم وهذا مما اذا توصل
اطلع منه على حكمة عجيبة وصنعة غريبة ١٠ باب
الحال التي يجب ان يكون عليها الواعظ حق الواعظ ان
يتعظ ثم يعظ ويتبصر ثم يبصر ويهتدي ثم يهدي والامور دفترا
تفيد ولا يستفيد ومسننا يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس
التي يفيد القمر الضوء ولها افضل مما تفيده وكالنار التي تحمي
الحديد ولها من الحمى اكثر مما تتلقاه ويجب ان يخرج مقاله بفعاله
ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله
ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما
في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها

ويهلك

ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ٥ ونحو ما قال امير المؤمنين
قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك فلجاهل يغر الناس
بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه والواعظ ما لم يكن مع مقاله فعاله
لم ينتفع به وذلك ان علمه مدرك بالبصر وعلمه مدرك بالبصيرة
واكثر الناس اصحاب الابصار دون البصائر فيجب ان يكون عنايته
باظهار عمله الذي يدركه جماعتهم اكثر من عنايته بالعلم الذي
لا يدرك الا بالبصيرة ومثل الواعظ من الموعوظ مثل الداوي
من المداوى ٥ فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه
سمم ثم رأوه آكلا له عد ذلك سخرة ومزؤا كذلك الواعظ اذا امر
بما لا يعمله ٥ وبهذا النظر قيل ياطبيب طب لنفسك بل وقال تعالى
لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
الى غير ذلك من الآيات وايضا فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى
الطابع من المطبوع فكما انه محال ان ينطبع الطين عن الطابع
بما ليس منتقشا به كذلك محال ان يحصل في نفس الموعوظ ما
ليس موجودا في الواعظ واذا لم يكن الواعظ الا اذا قول مجرد عن
الفعل لم يتلق عنه الموعوظ الا القول دون الفعل وايضا
قال الواعظ يجري من الناس مجرى الظل من ذي الظل فكما انه
محال ان يعوج ذو الظل والظل مستقيم كذلك محال ان يعوج
الواعظ والموعوظ مستقيم وايضا فكل شيء له حالة تختص

فان جرى الناس من الواعظ مجرى الظل من ذي الظل

بها فانه تجر غيره الى نفسه بقدر وسعه بارادة منه او غير
ارادة كالماء الذي يحيل ما يتلقاه من العناصر الى نفسه بقدر
وسعه وكذلك النار والارض والهواء فالواعظ اذا كان
غاويا جر بغيته عيره الى نفسه وهذا حكى الله عز وجل
عن الكفار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
وقال ايضا فاغويناكم انا كنا غاوين فمن ترشح للوعظ ثم
فعل فعلا قبيحا اقتدى به غيره فهو حمل وزره ووزرهم كما
قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها بعد وقال تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون
وقال عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلن
يوم القيامة عما كانوا يفترون

باب صعوبة المعبار الذي به يعرف حقايق العلوم

كما ان للدراهم والدنانير
ميزانا قد عرف اهلها صحته فكل علم له ميزان نحو الحساب
للمعدودات والهندسة للممسوحات والعروض للشعر
والنحو لالفاظ العرب والى هذا اشار تعالى بقوله لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان واوصى الذين
اعطاهم الموازين بقوله تعالى وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين فكل شاك

ومنازع غيره في مقدار فحقه ان يعتمد ميزانه ان عرفه وتقلد اربابه
ان لم يعرفه فان من ترك ذلك واخذ يخرص ويخرز ويظن ويخمن
لم يزل شاكا ولم يسقط خلافه فالخرص قول ما يصدق والظن قول ما
يحقق ولذلك عير بالخرص عن الكذب بقال تعالى ان هم الا يخرصون
وقال تعالى قتل الخراصون وقال تعالى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن
وان الظن لا يغني من الحق شيئا ومعلوم ان ميزان الدين الذي صوابه
يوصل الى الثواب العظيم وخطاؤه يوصل الى العذاب الاليم اصعب الموازين
واشرفها واولاها بالمعرفة وكثير في زماننا ممن تحلى بعلم الدين وترشح فيه
للجدال والخصام ورام الزعامة فيه قبل اوانها وطلب تحقيق موزونها
بغير ميزانها اخذ كل واحد يخرص خرصا ويظن ظنا ويسلك بظنه طريقا
غير نهج فاذا وقع بينهم خلاف جعل كل واحد ميزانه خرصه واتبع فيما
اعتقده ظنه فاذا تحاكموا الى ما اتخذوه ميزانا صار خلافهم في الميزان
اكثر من خلافهم في الموزون فهم في ذلك كمن غص بالطعام فاستغاث بالماء فشرقه
كمثل الذي استوقد نارا يستعذب له بالحمل دعه عير مرقاد وكبريت
لا عجب ان كثيرا من مناظراتهم لا يولد الا شبهة ولا يثمر الا حيرة
ولا يقوم عنه شان الا بشاطة مدت بماء بل ظلمات بعضها فوق
بعض ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

باب كراهية الجدال للعوام وذم الجدال على كل حال

الحجة تعاطي الجدال للعامة
الذين لم يتدربوا في تحصيل القوانين ولم يتمذبوا في سبيل البراهين
تجري مجرى حل قيد السياط ورفع سد يأجوج ومأجوج فانها

يقود سلطان قوتهم السبعية خالعة مريد فايد العقل وقيد الشرع
الجدال مكروه للعلماء الأتباء فكيف للجهال الأغبياء ألا ترى ان الله تعالى
قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن فلم يطلق له
جدال المخالفين حتى قيده بالاحسن هذا مع وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله
انك لعلى خلق عظيم وقال تعالى في ذم الجدال ماضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون وقال عز وجل ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال تعالى واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ٥ والجدل مع
كونه مكروها شابط وقوانين مرتعاطاها ولم يكن متدربا بها
كان خصما لجدلا والخصومة عديمة الفايدة قليلة العايدة فان
الجدال مع ما فيه قد يوقظ الفهم ويثير الاذهان لاقتباس العلم والخصومة
لا تثمر الا العداوة وانكار الحق ولهذا جعلها الله تعالى شرا
من الجدال وقال تعالى بل هم قوم خصمون وقال تعالى واذا هو خصيم
مبين ٥ ولم يذكر الخصام في موضع الا عابه وايضا فالمتجادلان امر
محرمان مجرى فحلين تعاديا وكبشين تناطحا وريسير تجاريا وكل
واحد منهما يجتهد ان يكون هو الفاعل وصاحبه هو المنفعل وان
يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع والفايل كالمؤثر والسامع
كالمتاثر ومتى لم تخضع المتاثر لقبول اثر المؤثر لم يتولد منهما خير ولو
وقال حكيم المجادل المدافع يضع في نفسه عند الخوض في الجدال ان
لا يقنع بشيء ومن لا يقنعه الا ان يقنع فما الى افتاحه سبيل

ولو اصفق عليه الحكماء بل لو اجمع عليه الانبياء عليهم السلام بكل معجزة
كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن
اكثرهم يجهلون

باب ما يجب ان يعامل به الجدل الملحاح

اذا ابتليت بمجادل مماري ومساجل مناوش قصده الالحاح والاجاج
ومراده مباهاة العلماء ومماراة السفهاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء الحديث وقال الشاعر في مثله
تراه معدا للخلاف كانه يرد على اهل الصواب موكل
فحقك ان تقرمنه قرا دل من الاسود الاسود فان لم تجد مر
مراوغة بدا ففابل انكاره الحق بانكار الباطل ودافعه الصدق
بدافع الكذب معتبرا في دلك بقول الله تعالى ومكروا ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقوله تعالى حكاية
عن المنافقين واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن
مستهزئون الله يستهزئ بهم وقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ
الله قلوبهم الا انك وتتبلغ بدلك معه واياك وان تعرج معه
بمثل الحكمة وان تذكر له شيئا من الحقايق ما لم تحقق ان له قلبا
طاهرا لا تعافه الحكمة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملائكة
بيتا فيه كلب فان لكل شيء تربة عربا ولكل بناء ايبا وما كل داس
يستحق التبجيل ولا كل طمعة تستحق افادة البيان وان كان

كما أنه
لا بد أن قصر معه على اقتلع بلغة فهم فقد قيل إن لب الثمار
معد للأدام والتبن مباح للأنعام قلب الحكمة معد لذوي الألباب
وقشورها مجعولة للأعنام وكما أنه من المحال أن يشم الأخشم
ريحانا فمحال أن يفيد الحمار بيانا واعلم أن سبيل انكار الحمد و
السعي في افسادها اسبل من سبيل المعارضة بمثلها والمقابلة
لها وذلك أن الافساد سهل ومبوسهل والاتيان بمثله بنله وما هو
صعب فإن الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات
واحراق البنيان ولا يقدر على ايجاد شيء منها ويمكنه افساد صحة
قوية بضرب من الشبهة المزخرفة ولا يمكنه الاتيان بمثلها وأجل
ما قلنا دعا الله الناس في الحج الى الاتيان بمثله الآية السعي في افسادها
قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى فأتوا بعشر سور مثله
مفتريات فرضي أن يأتوا بما فيه مشابهة له وان كان ذلك
مفتريا وقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق
فأت بها من المغرب باب الوجوه التي منها يقع الشبهة والخلاف
السبب الموقع للشبهة والمولد للخلاف على القول المجمل سببان
المعنى واللفظ فأما ما كان من جهة المعنى فأما أن يكون من جهة الناظر
او من جهة المنظور فيه وهو المحكم او من جهة الآلة التي يستعمل في
النظر فان المناظر في الشيء المعتبر له جار مجرى وزان وهو كالميزان
والمنظور فيه بالموزون فمتى كان الناظر غير تام العقل كان عمى البصيرة
فيجري مجرى وزان اعمى البصر فلا سبيل له الى الوزن ومتى لم يكن عمى

مجعولة للطعام
اى الأحياء هم

صوابه وهانه
في الحجج

البصيرة

البصيرة لكن بمغر مالك لقوانين البراهين والحجج والآلة التي كان
جاريا مجرى وزان علم الميزان فأخذ بخس والمجمز فلما يقع عن
غلط بل ما وقع منه من الصواب فغير معتد به اذ لا اصل له تسكن
اليه النفس ومتى لم يكن عمى البصيرة لكن لا يعرف أن حجة يستعمل
فيما هو بصدده مطلب المعقول من جهة المحسوس والمحسوس من جهة
المعقول كان جاريا مجرى وزان بصير لكن من الدراهم بصحيح الدنانير
والدنانير بصحيح الدراهم واما ما كان من جهة اللفظ واما أن يكون
ذلك واقعا من جهة مفردات اللفظ او من جهة مركباته فأركان
من مفردات اللفظ فاما أن يكون من حيث أن اللفظ مشترك بين
معنيين كالعين والمشتري ونحوهما او يكون اللفظ عاما موضوعا وضع
خاص او خاصا موضوعا وضع عام او يكون اللفظ مستعملا
على سبيل المثل والاشارة والرمز او يكون لفظا مستعملا في شيء
لم يتقرر صورة ذلك الشيء في نفس السامع فيتخيل له وهم فاسد
كاعتقاد كثير من الناس اعضاء ات فاسدة في الملائكة والجن
والشيطان والجنة والنار والميزان والصراط والكرسي فاما
ما كان من جهة التركيب فاما أن يكون من جهة الكمية وذلك بأن
يكون اللفظ اكثر مما يجب او يكون اقل مما يجب ان يكون واما من
جهة الكيفية وذلك بأن يقدم ما حقه ان يؤخر او يؤخر ما حقه ان يقدم
كقول القائل وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه

اى يقاربه بالقرابة

ابو ام الخليفة ابو الممدوح
يعني الممدوح كان خال الخليفة

اى ليس مثل الممدوح الا الخليفة
الذي ابن اخت الممدوح

ومن اجل ما وقع في الالفاظ من الشبه قال الحكماء يجب ان يكون نظر
الانسان من المعنى الى اللفظ اكثر من نظره من اللفظ الى المعنى فان اللفظ
في الحقيقة انما يدل على المعنى بوساطة صورة ذلك المعنى في القلب
ومتى لم يثبت صوره ذلك المعنى في القلب لم يفهم المعنى من اللفظ البتة

باب بيان جميع اختلاف الناس في الاديان والمذاهب

جميع
الاختلافات بين اهل الاديان والمذاهب على اربع مراتب الاولى
الخلاف بين اهل الاديان النبوية وبين الخارجين عنها من النبوية و
الدهرية وذلك في حدوث العالم وفي الصانع عز وجل وفي التوحيد
والثانية الخلاف بين اهل الاديان النبوية بعضهم بعضا وذلك كالخلاف
المسلم واليهود والنصارى والثالثة الاختلاف المختص باهل
الدين الواحد بعضهم بعضا في الاصول التي يقع فيها التبديع والتفسيق
كالاختلاف في بعض صفات الله عز وجل وفي القدر وكاختلاف
المجسمة الرابعة الاختلاف المختص باهل المقالات في فروع المسايل
كاختلاف الشافعي وابي حنيفة والاختلاف الاول يجري مجرى
المتباينين في مسلكيهما كاخذ طريق الشرق واخذ طريق الغرب او
كاخذ ناحية الشمال واخذ ناحية الجنوب والثاني يجري مجرى
آخذ نحو المشرق واخذ يمنة وشمالة فهو وان كان اقرب من الاول
فليس يخرج احدهما عن ان يكون ضالا الا بعدا وايا ما قصد
تعالى بقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا والثالث يجري

مجرى اخيه

مجرى آخذين وجهة واحدة لكن احدهما سالك للمنهج والثاني تارك للمنهج
وهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وان كان الطريق يطول عليه والرابع
يجري مجرى من سلكوا منهجا واحدا ولكن اخذ كل واحد شعبة
غير شعبة الآخر وهذا هو الاختلاف المحمود بقوله صلى الله عليه وسلم
الاختلاف في هذه الامة رحمة وكونه نظرا من قال كل مجتهد في الفروع
مصيب واجل الطرق السلامة امرنا ان نستعيذ بالله ونتضرع
اليه بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقال تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وجميع الخلاف الواقع في هذه الامة اسان وسبعون على ما ورد في
الخبر ابتداء وانتهاء وقد روى الخبر في ذلك على وجهين احدهما
ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة
وفي الاخر كلها في الجنة الا واحدة ومع الزيادة والنقصان لا يمتنع ان يكونا صحيحين ولكن على نظرين ومعنيين وقد ذكرنا ذلك
ونبين في رسالة مفردة

باب الصمت والنطق

النطق
اشرف ما خص به الانسان فانه صورة المعقولة التي بها باين
سايز الحيوان ولهذا قال عز وجل خلق الانسان علمه البيان ولم
يقل وعلمه ادخل قوله علمه تفسيرا لقوله تعالى خلق الانسان تنبيها
ان خلقه تعالى اياه مختصا بالبيان الذي لو تم مرتفعا
لكانت الانسانية مرتفعة ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان
الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقيل المرء مخبوء تحت لسانه

وقال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

اذا اقوم النطق الذى هو بالسان والقوة الناطقة التى هى بالقلب مرتفعة لم يبق الا صورة اللحم والدم فاذا كان الانسان هو الانسان بذلك فلا شك ان من كان اكثر منه حظا كان اكثر انسانية من والصمت من حيث هو الصمت مذموم فذلك من صفات الجمادات فضلا عن الحيوانات وقد جعل الله تعالى بعض الحيوانات بالصوت وجعل لبعضها صوتا بلا تركيب ومن مدح الصوت فاعتبارا بمن يسبى فى الكلام فيقع منه جنايات عظيمة فى امور الدين والدنيا كما روى ان الانسان اذا اصبح كفرت اعضاؤه اللسان فتقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا فاما اذا اعتبر بانفسهما فمحال ان يقال ان الصمت فضل فضلا ان تخاير بينه وبين النطق وسئل حكيم عن فضلهما فقال الصمت افضل حتى يحتاج الى النطق وسئل آخر عن فضلهما فقال الصمت عن الخنا افضل من الكلام الخطأ وعنه اخذ الشاعر بقوله

الصمت احسن بالفتى من منطق فى غير حينه

والفرق بين الصمت والسكوت والانصات والاصاخة ان الصمت ابلغ لانه قد يستعمل فيما لا قوة فيه للنطق ولما له قوة النطق ولهذا قد لما لم يكن له نطق الصامت والمصمت والسكوت لما له نطق قد يترك استعماله والانصات سكوت مع استماع ومتى انفك احدهما من الآخر لا يقال له فى الحقيقة انصات وعلى ذلك قال تعالى

واذا

واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فجعله عز وجل وانصتوا بعد قوله تعالى فاستمعوا يدل على ان الانصات بعد الاستماع ذكر خاص بعد عام والاصاخة اشد تناولا الى ما يصعب استماعه وادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد

باب الصدق وضده والكذب وذمه اصل الصدق فى القول ان لا يكون بالقصد اول من القول الا فى الخبر دون غيره من اصناف الكلام فاما بالعرض فقد يدخل فى انواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك ان قول القايل اذيد فى الدار فى ضمنه اخبار فى كونه جاهلا لحال زيد وكذلك اذا قال واسنى فى ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذنى فى ضمنه انه يؤذيه وكلاهما اعنى الصدق والكذب يستعملان فى الاعتقاد ايضا كقولهم صدق ظنه واعتقاده وكذب ويستعملان ايضا فى افعال الجوارح نحو صدق قومهم فى القتال وكذبوهم وحد الصدق التام هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا ومتى اخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما بل امكن ان يوصف بالصدق والكذب او يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على طريق مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله فان هذا يصح ان يقال فيه انه صدق لكون المخبر عنه كذلك ويصح ان يقال فيه انه كذب لمخالفة قوله ضميره ولهذا كذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله

والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون
زيد في الدار انه في الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب
بنظر من يحلف وهذا قال صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن
برايه فاصاب فقد اخطاء وفي خبر فقد كذب على الله ورسوله والمبرهن
لا يصدر له فاذا قال زيد في الدار لا يقال انه صدق ولا كذب ○
والصدق احد اركان بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعا لما صح نظامه
وبقاؤه ومن اصول المحمودات وركن النبوات ونتيجة التقوى
ولواه لبطل احكام الشرايع ولذلك قال تعالى وتقدس يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والاختصاص
بالكذب انسلاخ من الانسانية لخصوصية الانسان بالنطق
ومن عرف بالكذب لم تعتمد نطقه واذا لم يعتمد نطقه لم ينتفع
واذا لم ينتفع بنطقه صار هو والبهيمة سواء بل يكون شرا من البهيمة
فان البهيمة وان لم تنتفع بلسانها فانها لا تضر والكاذب يضر ولا ينفع
ولهذا قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل ○ واعلم ان كل
كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب
في الحقيقة وهذا لا يخاشى المتحرزون من التحدث به كقولهم في
الحث على مداراة العدو والملاطفة في خدمة الملوك ان سبعا
وذيبا وثعلبا اجتمعوا فقال نسترك فيما نصيبه فظفر بعير
وظبي وارنب فقال السبع للذيب اقسم فقال هو مقسوم العير لك
والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع فاكله ثم قال للثعلب

لخصوصيته
لخصوصيته

اقسم

اقسم فقال هو مقسوم العير لغدائك والظبي لعشائك والارنب
لعشائك فقال السبع من علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب
الاجواني الذي على الذيب وعلى المثل جاز ولهم وقوله تعالى
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقوله تعالى
كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة فقال
يصح هذا المكان مثلا وان لم تجر العادة في وجود الحبة هكذا

باب ما يحسن ويقبح من الصدق والكذب

وسبب كثير من المتكلمين
ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من
الحكماء والمتصوفة ان الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار
الخالصة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الخالصة واذا
ان الاقوال من جملة الافعال وشيء من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته
بل انما يحسن ما يحسن لما يتعلق به من النفع ويقبح لما يتعلق به
من الضرر المولى على ما فيه من النفع الا ترى ان اعظم ما يجري في
العالم القتل والغصب وقد يقع كل واحد منهما على وجه حسن
وعلى وجه قبيح فكذا المقال من الصدق والكذب ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا احسن الكذب الا في ثلاث اصلاح ذات البين
وكذب الرجل امرأته ليرضيها وكذب الرجل في الحرب فانها خدعة وقد
روي اذا اتاكم مني حديث يدل على هداي او يرد عن ردي فاقبلوه
اولم اقله واذا اتاكم مني حديث يدل على ردي او يرد عن هداي فلا تقبلوه
فاني لا اقول الا حقا ○

لا يرد عن ردي

قالوا واما الكذب يكون قبيحا بثلاث شرائط ان يكون الخبر بخلاف المخبر عنه
وان يكون المخبر قد اعتقده قبل الاخبار به وان يقصد به ان
نفسه انتفعا اعظم من ضرر دلك الكذب مع شرط ان امكن الوصول
الى ذلك النفع لغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا
وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا ان يحال جوزوا الكذب فيما يرجى به
نفع دينوي او منفعة الدنيوية ولو كانت تلك الدنيا حقيرا قدرها
لانا نوفي على ضرر ادنى كذب وانما هذا الذي قلنا يتصور في نفع
اخروي يكون الانسان فيه معذورا عاجلا وآجلا كمن سأل كم عن
مسلم استتر في داركم ويريد قتله فعلوم هل هو في داركم
فعلوم لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موف على ضرره ولو نبه
متصور والخلاف ان المعاريض حيث يضطر اليها يجوز ولذلك
قيل المعاريض مندوحة عن الكذب ولم يزل الانبياء عليهم السلام
والاولياء رضوان الله عليهم اجمعين يفزعون اليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم
لمن سأله عن ابن انت فقال من الماء وقول ابرهيم صلى الله عليه وسلم انى سقيم
وقوله هذا اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا واما الصدق فانما يحسن
حيث يتعين اي نفع ولا يلحق ضررا باحد فمعلوم فمن قول من يفعل
ويقول السماء فوقي والارض تحتي من غير ان يحصل هذا مفيدة
دليل او افادة معنى يتعلق به وكذا يقبح النميمة والغيبة والسعاية
وان كان صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية ذما انه يقبح فيه الصدق

واقبح الكذب

آجل
واقبح الكذب مع قبح كله او جله ما يتعلق به رجاء نفع عاجل او
وتجلب الى المقول له ضررا كرجل يأتيك عن بلد بعيد فيقول
ان ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوق اليك وسألك ان
تأتيه ليبتهلك مالا او جاها فاذا وردت لم تجد له ذلك صدقا بل وجدت
ذلك الملك حقا عليك

باب انواع الكذب والسبب الداعي اليه

الكذب اما ان يكون اختراع قصة لا اصل لها او زيادة في القصة
او نقصانا يغير ان المعنى او تحريفا بتغيير عبارة فما كان اختراعا
يعال له الافتراء والاختلاق وما كان من زيادة او نقصان ثمين
وكل من اراد كذبا في غيره فاما ان يقول بحضرة المقول فيه او بغير
حضرته واعظم الكذب ما كان اختراعا بحضرة المقول فيه وهو
المعبر عنه بالبهتان وكل من اورد حديثا فاما ان يقوله عن علم
او عن غلبة ظن او عن تخمين وظن واه فما يقال عن علم فمحمود
بلا شك وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن وقد يقبح وما كان
عن تخمين وظن واه فمذموم ولذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم واعلم ان الداعي الى
الكذب محبة النفع الدنيوي وحب التراس وذلك ان المخبر
يرى ان له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل
في ذلك فيظن انه تجلب بما يقوله فضيلة ومسرة وما يجلب به
نقيصة وفضيحة كذبة واحدة لا توازي مسرات دهره فالكذب

علمه

سانه
وفضيحة كذبة واحدة لا توازي

فالكذب عار لازم وذل دايم وحق الانسان ان يعود الصدق
والاية تخص من اراد الكذب فمن استحلاه عسر عليه فطامه وقد
قال بعض الحكماء كل ذنب يرجى تركه بتوبة وانابة ماخلا الكذب
فان صاحبه يزداد على الكبر بعد رأينا شاربا عمر اقلع ولصا
نزع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه فقال لو تغرغرت
به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه باب الذكر الحسن من المدح والثنا
حبة الذكر الحسن اشرف مقاصد ابناء الدنيا وهي جبلة
الناس ومرخصا بضهم ولا يوجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر
حب الثناء طبيعة الانسان ولولا الكلف لما ظهرت
العدالة من اكثر الناس ومن لا يخوفه الهجاء ولا يسيره الثناء لا يردع
عن سوء الفعال الا سوط او سيف وقيل ينفرد عن الفتح خمسة اشياء
العقل عن الجهل والحياء عن المدح والهجاء عن الترغيب والترهيب وقيل
من لم يردعه الذم عن سيئة ولم يستدعه المدح الى حسنة فهو
جماد او بهيمة ولاجله تنازع الناس الرياسة والمنازل الرفيعة
وليس الثناء في نفسه بمحمود ولا مذموم وانما يحمد ويذم بحسب
المقاصد فمن قصده طلب ما يستحق به الثناء على الوجه الذي
يستحق وذلك محمود ومن قصد به التوصل الى الباطل مذموم
حث قال واجعل لسان صدق في الآخرين اي اجعلني بحيث
افعل ما اذا فعلته حث بشيء يكون مادحي صادقا ومن هذا الوجه

سنة اشياء

يمزج

ندب الانسان الى ان يقول اذا مدح اللهم اجعلني خيرا مما يظنون
والمذموم منه ان يميل اليه من غير تخيير لفعل ما يقتضيه وذلك
من اعظم الآفات لمن يتحراه فانه يفتح الحسد والحسد يفتح الكذب
والكذب راس كل مذموم وقد توعد الله تعالى من طلب المحمدة من
غير فعل حسنة يقتضيها فقال تعالى لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب وبالنظر الى ما تقدم قال صلى الله عليه وسلم من
سن سنة حسنة وسنة سيئة فهو مؤمن وقال صلى الله عليه وسلم
المؤمن اذا مدح في وجهه ربا الايمان في قلبه وبالنظر الى ما
تاخر سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا اثنى على آخر فقال
قطعت عنق صاحبك لو سمع ما افلح والفاضل يكره الثناء عليه في وجهه
سيما اذا كان من مادح مطر وجليس غر وممن يعرف قبل
ان يعرف وممن اذا وجد قادحا قدح واذا وجد مادحا مدح
واما ثناء الانسان على نفسه فشناعة وفظاعة وقد قيل لحكيم
ما الذي يحسن وان كان حقا فقال مدح الرجل نفسه وقال
معاوية رضي الله عنه لرجل من سيد قومك فقال انا فقال لو كنت
لما قلت وانما يستحق ما كان من يوسف عليه السلام حيث قال
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم لانه قصد التنبيه
على استقلاله بما سأل ان يفوض اليه وقد احسن ابن الرومي
حيث اعتذر من مدح نفسه قصدا الى الدلالة على مكانه

ما يقولون
واغفر لي ما لا يعلمون

اي حفيظ عليم اي كثير الحفظ

وعن علي مدحي لنفسي غير اني حشمته الله لا اله
وهو عيب كاد يسقط فيه كل مريد اظهار آله

باب الشكر الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها
قيل وهو مقلوب عن الكشر اي الكشف ويضاده الكفر وهو
ستر الشيء اي تغطيته ومنه دابة شكور اي مظهرة بسمنه
اسداء صاحبه اليه وقيل اصله من عين شكرى اي ممتلية
فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ومن هذا الوجه قيل
هو ابلغ من الحمد لان الحمد يقتضي الامتلاء ومن وجه آخر ابلغ
من الحمد لان الحمد ذكر الشيء بصفاته المحمودة والشكر ذكره بصفاته
ونعمه ٥ والشكر بالله اصناف آ شكر بالقلب وهو تصور النعمة
٢ وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم ٣ وشكر سائر الجوارح
وهو مكافاته بقدر استحقاقه ٥ وهو ايضا لاعتبار الشاكر والمشكور
لثلاثة اصناف آ شكر الانسان لمن فوقه وهو الحمد والثناء و
الدعاء ٢ وشكر لنظيره وهو بالمكافاة ٣ وشكر لمن هو دونه
وهو بالتواضع وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر لصالحي
عباده وشكر العبد لربه هو معرفة نعمته وتحفظ جوارحه
بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي ومعناه بالفارسية سپاس دارم
مرخداى را اى اتاجارش له على الجوارح وشكر المنعم على العبد واجب
بالعقل كما هو بالشرع واوجبهما شكر الباري تعالى وتقدس ثم
شكرهم جعله الله عز وجل سببا لوصول الخير اليك على يده

وهذا

وهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس
وقال صلى الله عليه وسلم اشكرهم انعم عليك وانعم على من
شكرك ٥ فانه لا يزال النعمة اذا شكرت ولا تدوم اذا كفرت
وقال بعض العلماء كل نعمة يمكن شكرها الا نعمة الله فان شكر
نعمة نعمة منه فيحتاج العبد ان يشكر الثاني لشكره الاول
وكذلك الحال في الثالث والرابع وهذا يؤدي الى ما لا نهاية له وهذا
قال موسى صلوات الله عليه الهي امرتني بالشكر على نعمك وشكري
لك نعمة من نعمك فمن هذا اخذ ان اعرفك
اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له فمن مثله وجب الشكر
فكيف يلوح السكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر
وهذا قيل غاية الشكر لله الاعتراف بالعجز عنه بل قال
الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وايضا فكل ما يصل
الله تعالى لعبده فهو نعمة منه وان كان بعض ذلك يعد بلية وهذا
قال بعض الحكماء الصالحين بامر منعه عطاء وبلاؤه نعماء ومن
اجل صعوبة شكره تعالى قال وقليل من عبادي الشكور ولم يثن
بالشكر على انبيائه الا على اثنين منهم قال عز وجل في ابرهيم عليه السلام
شاكرا لانعمه فخص لفظ الانعم الدال على ادنى العدد وقال تعالى
في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا واعلم ان الصبر والشكر
جمع الايمان كما روي في الخبر وقد روي الصبر نصف الايمان لان
قال بعض المتصوفة الشكر افضل من الصبر قال الصبر حابس للنفس

٦ وفضل الصبر حمل النفس بما تكره

على مسالمة البلاء والشكر ان لا يلتفت الى البلاء بل يراه من النعماء
فمن رضي فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر فقد تجاوز الى اظهار
السرور بما عرض له اصابر وايضا الصبر ترك العمل السيئ
والشكر اظهار الفعل الحسن وليس من ترك قبيحا كمن فعل
جميلا وقابل تعالى الشكر بالمجازاة فعل الحبيب بحبيبه فقال
عز وجل وسنجزي الشاكرين وقابل تعالى الصبر بالاجر فعل
المستأجر فانه اجيره فقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب ٥ وابن الاجر وان كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء
ثم قال في الصبر يوفى فلم يتمم فاعله وقال تعالى في الشكر سنجزي
الشاكرين فانظر الى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء الى
الفعال ولم يذكر من اثنيناه بالشكر الا اسرة كما تقدم ووصف
جماعتهم بالصبر فقال تعالى كل من الصابرين وقال عز وجل
ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فجعل الصبر مبدأ والشكر
منتهى ولان الصبر محمول عليه قهرا والشكر مؤدى طبعا

باب الغيبة والنميمة

الغيبة ان يذكر الانسان غيره
بما فيه من غير عيب من غير ان احوج الى ذكره وقد عظم الله عز وجل
امرها فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال تعالى هماز مشاء بنميم وقال صلى الله عليه
لا يدخل الجنة قتات وروى النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء
وقل من يوجد عاريا الا كان معيبا وقال قتيبة رضي الله عنه لرجل

راه يغتاب آخر لقد تلطخت بما عافه الكرام ٥ وحق الانسان
ان لا يتعودها فان لها ضراوة ولذلك عير انسان فقال لو تلطخت
بها لما صبرت عنها ثم ان من اغتاب اغتيب ومن عاب عيب
فجنة عن عيوب الناس تحمل الناس على البحث عن عيوبه ويكتب
ان لا يتجرأ بها بقوله يجب ان يتجنب من سماعها وسماع كل قبيح
من الكلب ليلا يعلق وضره ووسخه بفكرته فوضر كلمة عوراء
لا يمكن تطهير القلب منها الا بزمان مديد وعلاج شديد وسمع
القبيح قد يصير سببا لفساد الكبير المجتنب وغواية العالم
المستبصر فضلا عن فساد الحدث الغر والناشئ الغمر ولذلك
قال تعالى في مدح قوم واذا مروا باللغو مروا كراما وقد اجاد من قال

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
ولقبح الغيبة والنميمة المشابة قال امير المؤمنين عليه السلام ما تشابهت
اشان الا غلب الامهما والا خط الاعلى الى رتبة الاسفل منهما
وقيل اذا سمعت كلمة توذيك فتطامن لها حتى تتخطاك

باب الكلام القبيح

البذاء الكلام القبيح ويكون من
القوة الشهوية طورا كالرفث والسخف ويكون من القوة
الغضبية طورا فمتى كان ذمه استعانة بالقوة المفكرة كان
منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردا لا يفيد
نطقا كما يروى كثير ممن فار غضبه وهاج لهابه والرفث فواحش
الكلام في باب النكاح واوصاف النساء وهو قبيح قال بعضهم

وقال آخر وكثرة الضحك من الرعونة وحكي عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال ان الله يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء الى غير أرب واما ايراد الضحكات على سبيل التسخف فنهاية القباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له ويل له **باب الحلف** اقبح من الكذب اليمين الفاجرة ففيها مع الكذب الاستهانة بالمقسم به وحق المسلم ان يتحاشى من الاستهانة باليمين والحق فكيف في الباطل وان يتحقق بعد بر القسم وما يراد به ليعلم ان الاعراض الدنيوية اوسخ امرا واخس قدرا من ان يفرع فيها الى الحلف بالله تعالى وبعد بر ذلك هو ان القايل اذا قال والله ان لي عليك كذا اي كون ذلك عليك حق كما ان وجود الله عز وجل حق وهذا لا يتحاشى منه مزمن في قلبه حبة خردل من تعظيم الله عز وجل وقد قال تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وقال العبد المؤمن عليه السلام الحلف تنفق السلعة وتمحق البركة ولم يخص يمينا من يمين واما قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يحلف على ماله فلا مال له فانه وان كان بنظر الفقها يتصور منه نصيحة في الحلف صادقا فانه بنظر الحكما حث على ايثار تعظيم الله تعالى وتقديمه على ايثار المال وتعريض بان الذي فاته هو عرض حاضر لا الدين والمروة وحق

انى لاستقبح من الرجل ان يكون وصافا لبطنه وفرجه ○ وحق الانسان ان يصون عن ذلك سمعه كما يصون عن التفوه به فمه ولذلك قال تعالى في مدح قوم واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ○ والسباب بلاءه الاول قدح في نسب المسبوب الثاني في نفسه او بدنه لعاهته او آفته الثالث في شيء علمه او فعله ○ والسفه التسرع الى القول القبيح والفعل القبيح **باب المزاح والضحك** المزاح اذا كان على الاقتصاد محمود وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مزح ولا اقول الا حقا وروي عنه صلى الله عليه وسلم كلمات مازح بها وقال سعيد بن العاص رضي الله عنه لابنه اقتصد لي في مزاحك فالافراط فيه يذهب البهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين ○ لكن الاقتصاد منه صعب جدا لا يكاد يوقف عليه ○ ولذلك يحترز عنه اكثر الحكماء حتى قيل المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاخاء ومحل له ينتج الا الشر واما الضحك فمن خصايص الانسان وذلك انه لا يكون من التعجب والتعجب لا يكون الا عن فكرة وبالفكرة يتميز الانسان عن البهايم والاقتصاد فيه ومعرفة ما يحسن منه عسر كما هو في المزاح ○ وقلة الاكل وكثرة الضحك فانهما تميت القلب وتورث النسيان

وقال

العاقل اذا اضطر البيان يسلك سبيل التعريض ويرون التصريح
ولم يضطر اليه يتركه تعريضا وتصريحا وان بدرت منه سهوا
حلف شفعه بالاستثناء كما قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفا
فليقل ان شاء الله فانه يدفع الحنث ويذهب الحنث ويخرج الحاجة
ويرفع النجاحة وقيل العاقل اذا تكلم اتبع كلامه مثلا والاحمق
اذا تكلم اتبع كلامه حلفا وعلامة الكاذب جوده بيمينه غير مستحلف

والى الحر وفي الحر على ما انت واعده ما دل انك في الميعاد متهم

وقال بعض الحكماء اللغة الحلافة تدل على كذب اربابها فان ذلك
لقلة الركون الى كلامهم وكما جوز عليه اللئم الكذب حتى يضطر اليه
جوز الحنث في اليمين فقال صلى الله عليه وسلم اذا حلف احدكم على
شيء فرأى غيره خيرا فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه
الفصل الثالث في ما يتعلق بالقوى الشهوية

باب الحيا الحيا انقباض النفس عن القبيح وهو من
خصائص الانسان واول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان
وجعله الله في الانسان ليردع به عما تنزع اليه الشهوة من
القبيح فلا تكون كالبهيمة وهو مركب من جبن وعفة ولذلك
لا يكون المستحي فاسقا ولا الفاسق مستحيا لتنافي احتماع
العفة والفسق وقد يكون السخي مستحيا والمستحي
شجاعا لتنافي احتماع الجبن والسخاء ولعزة وجود ذلك

يجمع

تجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحيا نحو قوله

تجري الحيا الغض من اقسامهم في حيث تجري من اكفهم الدم ١١ظ

كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو اذا ما اطرف الرمح دانيا

ومتى قصد به الانقباض فدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد
به ترك القبيح فدح لكل احد وبالاعتبار الاول قيل الحيا افاضل
قبح ومنها الوجه غرى غرز من الهوان وغرى غرائه من الاستحياء
فجعلا من منبع واحد وبالاعتبار الثاني قيل ان الله يستحي من
ذي الشيبة في الاسلام ان يعذبه اي يترك تعذيبه واما الخجل
فحيرة النفس لفرط الحياء وتخجل في النساء والصبيان ويذم
باتفاق في الرجال والوقاحة مذمومة بكل انسان اذ هي انسلاخ
من الانسانية وحقيقتها الجماح النفس في تعاطي القبيح واشتقاقه
من جافر وقافح اي صلب وهذه المناسبة قال الشاعر

ما ليت لي من جلد وجيك رقعة فاقد منها جافر الاشيب وما اصدق قول الشاعر

صلابة الوجه لم تغلب على احد الا كما قد فيه الشر فاجتمعا

فاما مداواة اكتساب الحيا في حق الانسان اذا تم فقبيح ان يتصور
اجل من نفسه حتى كأنه يراه فالانسان يستحي من مزيكه في نفسه
ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الاطفال الذين لا يميزون
ويستحي من العالم اكثر مما يستحي من الجاهل ومن الجماعة اكثر مما
يستحي من الواحد والذي يستحي منهم الانسان بالاضافة البشر

ومواكثر من تسخا منه آم نفسه آم الله عز وجل ومن استحيا من الناس
ولم يستحي من نفسه فنفسه اخس عنده من غيره ومن استحى منه
ولم يستحي من الله عز وجل فلعدم معرفته فان الانسان يستحي
ممن يسعظمه ويعلم انه يراه او يسمع خبره فيسكنه ومن لم يعرف
الله تعالى فكيف يسعظمه وكيف يعلم انه يطلع عليه وقول النبي صلى الله عليه وسلم
استحيوا من الله حق الحياء حث على معرفته وقال عز وجل
الم يعلم بان الله يرى دليلا على ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحى
منه ان يكاب الذنب وسئل الجنيد رضي الله عنه عما يتولد منه
الحياء من الله عز وجل فقال رؤية العبد آلاء الله عليه ورؤية
تقصيره في شكره ان قيل كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم من لا حياء
له فلا ايمان له قيل الحياء اول ما يظهر في الانسان من امارة العقل
والايمان آخر مرتبة العقل ومحال حصول المرتبة الاخيرة لمن
لم تحصل له الاولى فالواجب اذا كان من لا حياء له فلا ايمان له
وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم
الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء **باب**
كبر الهمة واما كبر الهمة فمختص بالانسان واما الحيوانات فكل
حنين يجري الفعل بقدر ما في طبعه وهو حال بين التفتح وصغر الهمة
فالتفتح تأهل الانسان لما لا يستحقه وهو البذخ وصغر الهمة
تركه لما يستحقه وهو الدناءة وكلاهما مذمومان لكن المتفتح جاهل احمق

والصغير

والصغير الهمة جاهل غير احمق وليس لكبر الهمة افراط مذموم في الحقيقة
وانما الافراط يدخل في كل فعل يصوره بعض الناس بصورة على الهمة
له وليس كذلك واعلم انه عز وجل وان كبير الهمة وان صغير الهمة
اذا كان يطلب منتهى اكثر واشرف مما يطلبه والكبير الهمة على الاطلاق
هو من ارتضى لنفسه من النعم الحيوانية قدرا وسيعا فلا يصير عبدا لغاير بطنه
وفرجه بل يعتمد ان يتخصص بمكارم الشريعة فيصير خليفة الله تعالى
واوليائه في الدنيا ومرجاوريه في الآخرة والصغير الهمة مركون على
الضد من ذلك وقال العراقي وان عظم صغر النفس في عينه وكان
خارجا من سلطان بطنه فرجه فلا يستخف له رأيا ولا بدنا وحق الانسان
ان يتظلف عن ذلك فانه وان كان يقصر حيوانا فبعقله وفكره
ملك واذا ضيع نفسه صار شرا من بهيمة وذلك هو الخسران المبين
وقيل من عظمت همته لم يرض بقنية مستردة وحياة مستعارة
فان امكنه ان يقتني قنية موبدة وحياة مخلدة فعل والا فلا
اعتدادا لما له فناء فالكبير الهمة على الاطلاق من يحري الفضايل
لا الجاه والثروة والاستشعار بخوة واستعلاء على البرية
بل يحري مصالح العباد شاكرا بذلك نعمة الله تعالى ومبتغيا
به مرضاته غير مكترث بقلة مصاحبه فانه اذا عظم المطلوب قل المساعد
وطرق العلا قليلة الايناس **باب الوفاء والغدر**

فلا اعتبار لما له فناء

الوفاء اخو الصدق والعذاب والغدر اخو الكذب والجور وذلك
ان الوفاء صدق باللسان والفعل معا والغدر كذب بهما وفيه
مع الكذب نقض للعهد والوفاء مختص بالانسان فمن فقد فيه فقد
انسلخ من الانسانية كالصدق وجعل الله تعالى العهد من الايمان
وصيره قواما لامور الناس فان الناس مضطرون الى التعاون
ولا يتم تعاونهم الا بمراعاة العهد والوفاء ولولا ذلك لتنافرت
القلوب وارتفع التعايش ولذلك عظم الله تعالى امره فقال
عز وجل واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال عز وجل واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم وقال تعالى ويثابك فطهر قيل نزه نفسك
عن الغدر وقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ووصف تعالى
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وعظم حال اسمعيل
فيما التزم بدوع امر القدس ولفلة وجود ذلك في الناس
قال تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد وضرب المثل به في الغزو فقيل
هو اعز من الوفاء قال الشاعر الى الناس الا ذميم الفعال اذا جربوا وقبح الكذب

باب المشاورة

المشاورة استخراج جريها ومي استنباط المرء راي غيره
فيما يعرض من الامور المشكلات ويكون ذلك في الامور الجزئية
التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها ونعم العدة هي قال
امير المؤمنين عليه السلام المشاورة حصن من الندامة وامن من الملامة
وقيل

وقيل الاحمق من وضعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن
الاستخارة فالراي الواحد كالسجيل والرايان كالخيطين والثلاثة
امرا لا تنقض وكفاك بما قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه
وسلم وشاورهم في الامر وقد استحسن الحكماء قول بشار بن برد
اذا بلغ الراي المشورة فاستعن بحزم نصيح او نصاح حازم
واجعل الشورى على لك غضاضة فريش لحواف وتابع للقوادم
لكن اعتبار من يجوز ان يعمد مشورته صعب جدا فالله يحتاج ان
يكون صديقا اميناً مجرباً حازماً ناصحاً رابط الجاش غير معجب
بنفسه والمتلون في رايه والكاذب في مقاله فمن كذب لسانه
كذب رايه ويجب ان يكون فارغ البال في وقت ما يستشار وقيل احسن شاور حيث قال

غضاضة حقيرا ٥

وما كل ذي راي بموتيك نصحه وما كل موت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب

باب النصح

النصح اصله من نصحت الثوب اذا
خطته وهو اخلاص المحبة المختصة بالفضيلة دون محبة النفع
واللذة وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم امرها فقال
الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولائمة
المسلمين ولعامتهم فبين صلى الله عليه وسلم ان النصح واجب لكافة
الناس وذلك بان تحري مصلحتهم في جميع امورهم بقدر وسعك
واول النصح ان ينصح الانسان لنفسه فمن غشها فقلما ينصح لغيره

وحق من استنصح ان يبذل غاية النصح وان كان رديه في شيء
يضره ويتحرى فيه قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم وقال تعالى واذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يزال
الرجل يزداد في صحة رأيه ما نصح لمستشيره فاذا غشه سلب
الله تعالى صحة رأيه ٥ واتفقت الحكماء على ان من قال اذا نصحت للرجل
ولم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه فذلك قول القاه الشيطان
على لسانه اللهم الا ان يرتد بغشه السكوت عنه فقد قيل
كثرة النصيحة تورث الظنة ٥ ومعرفة الناصح من الغاش
المنصح صعب جدا فالانسان لمكره يصعب الاطلاع على سره
اذ هو قد يبدي خلاف ما يخفي وليس كالحيوانات التي يمكن
الاطلاع على طبيعتها

باب كتمان السر

السر ضربان احدهما ما يلقى الى الانسان من سر ليستكتم
وذلك اما لفظا كقولك لغيرك اكتم ما اقول لك واما حالا كقولك
بتحري القائل حال انفراد فيما يورده او تخفض صوته او تخفيه
عن مجالسيه ولهذا قيل اذا حدثك انسان بحديث
فالتفت فهو امانة ٢ والثاني ان يكون حديثا في نفسك مما
يستقبح اشاعته او شيئا تريد فعله والى الاول من ذلك اشار
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من اتى منكم بهذه القاذورات

شيئا

شيئا فليستتر بستر الله والى الثاني اشار من قال من روى
الامر اعلانه قبل احكامه وكمان النوع الاول هو من الوفاء
واخص بعامة الناس والثاني من الحزم والاحتياط وهو اخص
بالملوك واصحاب السياسات واذاعة السر من قلة الصبر
وضيق الصدر ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان ٥
والسبب في انه يصعب به كمان السر هو ان للانسان قوتين
آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف الى الفعل المختص بها ولولا
ان الله تعالى وكل المعطية باطنها ما عندها لما اتاك الاخبار من لم تزود
فصارت هذه القوة تتشوف الى فعلها الخاص بها فعلى
الانسان ان يمسكها ولا يطلقها الا حيث ينجب اطلاقها
وليحذ عنك عن سرك قول من قال واكتم السر فيه ضربة العنق وقول من ينشدك
ويكاتم الاسرار حتى انه ليصونها عن ان تمر بباله
فذلك قول من يستودعك علما في قلبك فاذا استفرغ ما عندك
لم يرع فيه حقك فقد قيل الصبر على القبض على الجمر ايسر
من الصبر على كمان السر وما اصدق من ابان عن حقيقة
حال الحديث قال لمصدقه اريد ان افشي اليك سرا احقظه
علي قال لا اريد ان ارى قلبي مشغولا بما يخرجك واحمل
صدري جمرة تشكوا ان فيقلقني ما اقلقك ويورقني ما ارقك
فتبيت بافشائه مستريحا وبيت قلبي بحرة جريحا وقيل

اكثر ما يستنزل الانسان عن رتبته في بلائه مواضع عند الاصطلام
على فراشه وعند خلوه بعرسه وفي حال سكره ومزحه ومن
سار غيره ان يجتنب المحافل لامرين احدهما ان يسيء به الظن
فيقول اغتابني وذا يستريب وذا يتهم والثاني انه ربما يتتبع
بالفحص فيطلع على مراده ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث **باب**
التواضع والكبر التواضع استفاعة من الضعة وهو رضى
الانسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته وفضيلته
وانما تظهر في اشباه الناس لانحطاط درجتهم وانما ذلك بين
في الملوك واجلاء الناس وعلمائهم وهو من باب التفضل لانه ترك
بعض حقه وهو بين الكبر والضعة فالضعة وضع الانسان نفسه
مكانا يزري به لتضييع حقه والكبر رفع نفسه فوق قدره والفرق
بين التواضع والخشوع ان التواضع يقال فيما يرفع ووضيع
وايضا فالتواضع يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والباطنة
والخشوع يقال باعتبار افعال الجوارح ولذلك اذا تواضع القلب
خشعت الجوارح وقال عز وجل خاشعة ابصارهم وقال تعالى
وخشعت الاصوات للرحمن وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم
التواضع فقال طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه
من غير مسكنة وقيل لبزرجمهر بم تعرف نعمة الله عليك

في افناء الناس
اى انواعهم

وبلا

هل

وبلائه فقال نعم اما النعمة فالتواضع واما
البلاء فالكبر وقال بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل
افضل عند الحكماء من الكبر مع الادب والسخاء قبل
حسنة غطت على سيئات واقبح سيئة غطت على حسنات
والكبر ظن الانسان بنفسه انه اكبر من غيره والتكبر
اظهار ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن
ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب ولذلك صار مذموما في
الباري تعالى وذما في البشر وانما شرف المخلوق في اظهار
العبودية كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون تنبيها ان ذلك كلهم رفعة الا ضعة
والمتكبر والغبي كلاهما واحد لكن الضرع غبي والمتكبر غبي
احمق وشتان ما بينهما فالغبي قريب التأديب والاحمق بسبيل
الى تاديبه والان الضرع قد ترك ماله والمتكبر ادعى ما ليس له
وشتان ما بين المنزلتين والان الكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب
من الجهل خصوصا المحاسن والجهل راس الاقساح من الانسانية
ومن الكبر الامتناع من قبول الحق ولذلك عظم الله تعالى امره
فقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين وقال تعالى اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى ولذلك يطبع الله

على قلب كل متكبر جبار وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدة منهما القيته
في نار جهنم ونبه تعالى على مبلغ فعله احسن تنبيه فقال عز وجل
ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا فافتح كبر من الناس ما كان معه نخل ولذلك قال صلى الله عليه
خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل والكبر واستحسن قول

الشاعر حمقت امرؤ ضل الحزم بينهما بينه الملوك وافعال الماليك

ومن تكبر على رياسة تافهة دل على دناءة عنصره ومن تفكر في
تركيب ذاته عرف مبداه ومنتهاه واوساطه عرف نقصه وقدره
كبره وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وقال تعالى
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه والى هذا المعنى
اشار ونظر مطرف بن عبد الله بن الشخير لما قال ليزيد بن المهلب
اول لك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت تحمل فيما بين
ذلك العذرة واخذ الشاعر منه فقال

كيف يزهو من رحمه ابدا الدير صحبه وقال

ما قرب العبد بالمخرج لم لا يتواضع

فمن كان تكبره لقذيته فليعلم ان ذلك فيك زائد وعارية مستردة
والاستطالة اظهار الطول فمن اظهر ذلك من غير طول فتسلخ

من

من الانسانية ومن اظهره مع الطول فقد ضيع طوله والصلف
يقال اعتبارا بميل في عنقه والصعر الميل في خده ولذلك
استعمل في ذلك لي الراس نحو وقوله عز وجل لووا رؤوسهم
والباء واستعصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب والخيلاء
ان يظن بنفسه ما ليس فيها من قولهم خلت ولتصور هذا المعنى
قال احكم اعجاب المرء بنفسه ان يظن بها ما ليس فيها مع ضعف
القوة وقطر فرحه بها والزهو الاستخفاف من الفرح بنفسه
فاما العزة فالترفع بالنفس عما يلحقها غضاضة واصلها
من العزاز وهي الارض الصلبة فالمتعزز حصوله في عزاز
لا يلحقه فيه غضاضة كالمتطلف في كونه في ظلف من الارض
لا يلحقه فيه مذلة والعزة منزلة شريفة وهي نتيجة معرفة
الانسان بقدر نفسه واكرامها عن الضراعة للاعراض الدنيوية
كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه وانزالها فوق
منزلتها وكثيرا ما يتصور احدهما بصورة الآخر كتصور التواضع
والتضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة
الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن عليه السلام لرجل ما
ما اعظمك في نفسك فقال لست بعظيم ولكني عزيز وقد قال الله
عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه وانما قلنا قالوا التكبر على الاخيا تواضع

غضاضة اي حقارة

اي بطقة المشلج

تواضع تنبيها ان هذا التكبر في الحقيقة غيرة نفس ومزاحل
ان هذا التكبر غير مذموم قال تعالى واستكبر هو وجنوده
في الارض بغير الحق فشرط غير الحق وقال ابن مسعود رضي الله عنه
من خضع لغني فوضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا مروءته
وشطر دينه **باب الفخر** الفخر هو المباهاة بالاشياء
الخارجة عن الانسان وذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله
ولخبر عنه فتاتي جملة فالاعراض الدنيا عارية مستردة لا
يؤمن كل سلحة ان يستجمع والمباهي بما مآله بعد ثراه
ومتبجح بما في يد سواه كالفاخرة بحرج ربته بابل هو ادون
من ذلك **وقد قال** بعض الحكماء لمن يفتخر بثرائه ان افتخرت
بفرسك فالحسن والفراهة لها دونك وان افتخرت بآبائك
والفضل فهم لا فيك ولو تكلمت هذه الاشياء لقالت هذه
بحاسننا فالك من الحسن **وايضا** فالاعراض الدنيوية سحابة
صيف عن قليل تقشع وظل زائل عن قليل تضمحل **كما قال الشاعر**
انما الدنيا كروض اخضرت من ذراه سلحة ثم انقضت
كما قال الله عز وجل انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا
فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس وان افتخرت فافتخر بعني
فيك غير خارج عنك واذا اعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك
وبقاء

وبقاءها او بقاءك ونوالها او فناءكما جميعا واذا راقك ملبوسك فانظر
الى قرب عهد جمعه يديك وبعد رجوعه اليك وطول حسابك عليه
ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وقد ذم الله تعالى الفخور فقال
عز وجل ان الله لا يحب كل مختال فخور **باب العجب**
العجب نظر الانسان بنفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها
ولهذا قال الاعرابي لرجل راه معجبا بنفسه يسرني ان اكون عند
الناس مثلك في نفسك واكون في نفسي مثل ما انت عند الناس
فتمنى حقيقة ما يقدره المخاطب ورأى ان ذلك انما يتم حسنه
متى هو عرف عيوب نفسه **وقد قيل** للحسن رضي الله عنه
من شر الناس قال من يرى انه افضلهم **وقال** بعضهم الكاذب
في نهاية البعد من الفضل والمرائي اسوء حالا من الكاذب
لانه يكذب بفعله وقوله والمعجب اسوء حالا منهما فانهما يريان
نقص انفسهما ويريدان اخفاءه والمعجب عم عن مساوي نفسه
فيراها محاسن ويبديها **قال** وان المرائي والكاذب قد ينتفع
بهما كملاح خاف ركابه الغرق من مكان في البحر وبشرهم بتجاوزه
قبل ان تجاوزه ليلا يضطربوا خوف الغرق فيودي بهم
ذلك الى العطب وقد تحمد رياء الرئيس اذا قصد ان يقتدي به
في فعل الخير والمعجب لا حظ له في ذلك بوجه لانك اذا وعظت
المرائي والكاذب فنفسهما تصدقك وتبكتهما لمعرفتهما بنقصهما
والمعجب جملة بنقصه يظنك في وعظه ملغيا فلا ينتفع بمقالك

وامّا قصد تعالى أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنًا فقال تعالى
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات سمّاهم انّهم لا يعقلون اعجابهم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوى
متّبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابليس لعنه الله اذا ظفرت
بابن آدم بثلاث لا أطالبه بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر
عمله ونسي ذنوبه وكما انّ المعجب يفرسه وان كان رديًّا لا يروم
ان يستبدل به غيره كذلك المعجب بعمله لا يريد حاله وان كانت
رديّة بدلًا واصل الاعجاب من حبّ الانسان نفسه وقد قال
صلى الله عليه وسلم حبّك الشيء يعمي ويصمّ ومن عمي وصمّ تعذّر
عليه رؤية عيوبه وسماعها فيجب علينا ان نجعل على انفسنا
عيونًا تقرّفنا عيوبنا فيحقّ ما قال عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ
اهدى الي عيوبي وجب للانسان اذا رأى من غيره سيّئة ان
يرجع الى نفسه فان رأى منها ذلك نزعها ولم يغفل عنها سعيًا
في حيلة نفسه فقد رآه رأى غيره منه ما لا يرى
والتنبيه قريب من التعجب لكن المعجب يصدّق نفسه فيما يظنّ به
وهما والتنبّاه يصدّقها قطعًا كأنّه متحيّر في تيه

باب انواع اللذّات وتفاصيلها

اللذّة ادراك المشتهى والشهوة انبعاث النفس لنيل ما يتشوّقه وهي ثلاث بحسب الهوى الملائم
وبحسب المقتنيات الملائمة لذّة عقليّة وهي التي تخصّ الانسان
بها كلذّة العلم والحكمة ولذّة بدنيّة يشارك فيها جميع الحيوان
الانسان

الانسان كلذّة المأكل والمشرب والمنكح ولذّة مشتركة بين الانسان
وبعض الحيوان كلذّة الرياسة والغلبة واشرفها واقلّها
وجودًا اللذّة العقليّة فشرفها انّها لا تمل ولا تبذل لكلّ من
يعرفها الا لمن يختصّ بها فالحكمة لا يستلذّها الا الحكيم
وادون اللذّات منزلة واكثرها وجودًا اللذّة البدنيّة فكلّ
حيوان يتشوّقها لكنّها تمل تارة وتتراخى تارة ومع هذا وجه مداواة
من الالم ومن وجه الم وعلى هذا قال الحسن في وصف الانسان
ضريع جوع وقتيل شبع وجميع اللذّات ينقسم عشرة اقسام
مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشمّ ومسمع ومبصر
ومركب وخادم ومرفق من الآلات وما يشبهها وقد جعل
ذلك سبعة وادخل المركب والخادم والمرفق وما يجري مجراه داخلًا
في جملة المبصرات وعلى ذلك ما روي عن عمار الموسر على علته الم
حيث قال العلاء بن ياسر رضي الله عنه وقد رآه يتنفّس وقال يا عمّار
على ما ذا تنفسك ان كان على الآخرة فقد ربحت تجارتك وان كان
على الدنيا فقد خسرت صفقتك فاني وجدت لذّاتها تسعًا
المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات
والمسموعات والمبصرات فاما المأكولات فافضلها العسل وهي
صفوة ذباب واما المشروبات فافضلها الماء وهو مباح الهوان
موجود واعزّه مفقود واما المنكوحات فمبالي ومبالى وحسبك
ان للمرأة تزيّن احسن شيء منها ويرى اقبح شيء منها واما الملبوسات

فافضلها الدّيباج ومنسوجه دودة واما المشمومات فافضلها المسك
ومدوم فارة واما المسموعات فرخ هابة في الهواء واما المبصرات
فخيالات صايرة الى الفناء وقد ذكر الله تعالى اصل ذلك وهو عز وجل
زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك
متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب والمشار اليه
بحيوة الدنيا الى هذه الأشياء على ما ذكر امر الموسر على علة اللم
والعسر على ما ذكره غيره وكلا القولين في المحصل واحد والمراد
بالنساء اقتناء من الاستكثار منهن وبالبنين الذكر من الاولاد
والحفدة والخدم وبالأنعام الازواج الثمانية وبالخيل المسوّمة
السايبة منها والمستعدّة واعلم انّ التي هي ضروريّة للانسان
من هذه اللذّات والاقوام له في هذه الدنيا الا ما هو مشترك بينه
وبين جنسه من الحيوان المأكل والمشرب وجمعهما اسم الغذاء والمنكح
فبالغذاء بقاء الأشخاص وبالنكاح بقاء الأنواع ولذلك صارت
الحاجة اليهما ضروريّة وصار تناولهما لابدّ للناس منه وسائر
اللذّات مخصوص بها الانسان وليس بضروري له ويتناولها بفكرة
ويأنف الملوك من هذه الملاذّ الا ما ثنى السماح للكونه من روحيه
لذّة روحانيّة والثناء لكونه دالّا على الهمّة الرفيعة وهي كلّما كانت
الشهوة متناهية عقليّة كانت او بدنيّة قيل لها الحرص
فالحرص قد يكون محمودا ولذلك قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين

رؤف رحيم ومتى كانت الشهوة للمقنيات قيل لها الشرّ سواء كان
مالا او طعاما او نكاحا ومتى كانت للطعام قيل لها النهم واذا كانت
للنكاح قيل لها الشبق وملاك امرها اعني الشبق والنهم والشرّه
مذمومة وما روي من قوله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان
منهوم بالمال ومنهوم بالعلم فالنهم في العلم استعارة وان يحمل
على نفسه ما يقصر قواها عنه فتنبت وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى باب فيما يحسن تناوله من المطعم
وما يقبح منه الغذاء ضربان احدهما لا استغنى عنه في قوام البدن
كالطعام الذي به يتغذى والماء الذي به يروي والانسان اذا
تناول من ذلك مقدار ما لا يمكن التبلغ بأقل منه على ما يجب وكما
يجب وعلى وجه مشكور وما جور وعلى هذا ما روي عند اكل الصالحين
تنزل الرحمة وحقّ ان يتناوله مضطرّ عالم بمقداره فاعله
وان يرى ادخاله في نفسه كدخول المستراح وتحقق ان نسبة
الانسان الى الفواكه والثمار نسبة الجعل الى الروث فلو نطق
الشجر لقال لك انت تأكل فضلاتي كما تأكل الجعل فضلات
والخنزير اذا استطاب فضالة الانسان فما هو الا كاستطابتنا
لفضالة الشجر وبهذا يعلم ان شرف المطعم والمشرب بالاضافة
كما بالاطلاق فالق ايها الانسان عنك مناكبك الدنيا وجلّ بصيره
واستعمل الاعتبار تجد صدق ما قلت ومن تناول من الطعام

تمامه ان المنبت

اى مصيره

رؤف رحيم

اكثر من ذلك كره له طبا وشرعا اما طبا كما قال ابو الطب
فان الاء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب
وقد قال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل
الدواء وردّ كل بدن ما اعتاد قال ابن زكريا المتطبب ما تول
الى صلى الله عليه وسلم فى الطب شيأ الا اتى به فى هذا الكلام
الملات ٥ واما شرعا فقد قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ وعاء البطن
على الله من بطن قلى من حلال وذلك ان امتلاء البطن مقوّ
للشهوة وتقوية الشهوة داعية للهوى والهوى اعظم جند
الشيطان والشيطان اذا تسلط على الانسان سباه عن
وصرفه عن ربه وقيل لحكيم ما بالك مع كبرك لا تتفقد بدنك
وقد انهدّ فقال انه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف
ان يجمح بى فيورطنى وان اجمله على الشدايد احب الى من
ان يحجمنى على الفواحش والضرب الثانى من المطعم ما استغنى
عنه ولو تيممناه مفتقدا لم يحتل بافساده البدن واعطابها
ضررا المسكر فمعه ليس بضرورى وتناوله تسبيك
لطريق الشيطان الى تهييج القوة السبعية واياده سلطان
الهوى كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء فى الخمر والميسر وقيل حيث سكر الشراب واللهو
لا تسكن العفة والحكمة فان قيل فقد قال الله تعالى

قد ذم

قد ذم حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق
فلم تخصّ من الحلال قدرا دون قدر وجنسا دون جنس
قيل الطيب التام من الذى جمع اللذة والنفع والفضيلة
وذلك هو قدر المبلغ به على ما يجب وكما يجب الا ترى انه ذمّ
من لم يكن ذلك قصده فقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم
الأمل فسوف يعلمون وقال تعالى والذين كفروا يأكلون ويتمتعون
ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم ومن الدلالة على خسة
كثرة الأكل ادعاء عامة الناس الاستغناء بالقليل وقلة
وجود المفتخر بكثرة الأكل وقيل من همته ما يدخل بطنه
فقيمته ما يخرج من بطنه وقد احسن قول القائل
وانك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا
وقال صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه
فان كان لا بدّ فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معا واحد والكافر يأكل فى
سبعة امعاء فنبه من الخبر ان انه لا ينبغى للانسان الا الاكل
فى سبع بطنه وهو ما ذكره من اللقيمات وذلك دون عشر لقمات
فان اجمع بالف والنا بما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه
التهم ان يملأ ثلث بطنه فحصل من ذلك ان اكل المؤمن فى اليوم
يجب ان يكون سبع بطنه او ثلثه

ما يحسن من المنكح
وما يقبح منه

قد يقال لم ان النكاح ضروري في حفظ النسل وبقاء النوع كما ان الغذاء ضروري في حفظ الشخص ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقال صلى الله عليه وسلم خير النساء الودود الولود وشرها العقيم وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم ولقصد النسل حظر اتيان النساء في محاشيها وعلى هذا نبه قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم اني شئتم فنبه انه لا يجوز اتيانها الا في المحرث وكره العزل توكيدا للمقصود من الجماع وعلى ذلك دل قوله عز وجل وابتغوا ما كتب الله لكم وتحري النكاح على ضربين احدهما على الوجه الذي بينه الشرع وذلك اما محمود وهو ان يتعاطاه قاصدا به النسل او مزيدا على ما يجد جوعه ومسكنا لنفسه فانه اذا احتقن في قعره جرى مجرى مدة في قيح يعظم مجلسه الضرر ويدعو صاحبه الى ما هو في الشرع محرم واما مكروه طبا وان لم يكن قوله سرعا وذلك ان يتعاطاه المرء فضلا عما تقدم ذكره فانه ينقل العمر ويستنفد القوى ويوسع اوعية المني ويجلب اليها دما كثيرا ويزيده سهوة واعظم فائدة فيه ان يلحق صاحبه بافق البهائم من التوس والثيران وكونهما مما يوصف بالشبق والضرب الثاني هو ان يكون على غير الوجه المشروع وذلك ضربان احدهما تعاطيه في المحرث ولكن لا على الوجه الذي يجب ويكاد

كالزنا

كالزنا وقد عظم الله عز وجل امره فقرنه بالشرك مرة فقال تعالى والذين لا يزنون ومرة بالقتل فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وسمى ذلك سفاحا لان المجتمعين لا غرض لهما سوى سفح الماء المشهوة لم يضعا ماء في غير حرث والثاني تعاطيه في غير المحرث كاللواطة وهي اعظم من الزنا لان الزنا وضع البذر في المحرث على غير الوجه المأمور به فهو كمن يزرع في ارض غيره او على غير الوجه الذي يجوز ان يزرع فيها وفي اللواطة مع ذلك تضييع البذر فتعاطيها من قال الله تعالى وسلك الحرث والنسل وهذا وصف تعالى قوم لوط بالاسراف فقال تعالى اينكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون واما العشق الشهوي فحماقة وجهل بما وضع لاجله الحمل وتجاوز لحد البهايم في عدم ملكة النفس وذم الهوى لان المتعشق لم يرض بارادة لذة الباءة التي هي من اسمج الشهوات حتى ارادها من موضع واجد فاز داد بذلك عبودية على عبوديته وذلة على ذلته والبهيمة احسن حالا منه لانها اذا اسعطت الاذى عن نفسها بالسفاد سكنت فصارت الى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالقلب في خدمة الشهوة واستجلابها

من مجتمع الاحياء علوم

وانما اعطاه الله العقل ليقمع به الشهوة القبيحة لا ليجعله حاديا
وسالكا في عقبها وتعاطي العشق حال كل جاهل فارغ سيما
اذا نظر في اخبار العشاق وجالسهم وربما يؤدي العاشق
الجاهل الى الزنق والذبول بل الى الموت قال الشاعر

لو فكر العاشق في منتهى معشوقه قصر عن حبه

ومن آثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عادية وسباعا ضارية
ثم يلتمس دفاعها والخلاص منها وكفى بما يهتاج من نزاعات الطبيعة
عند اثارة ذلك بالفكر والروية من زاعا ان الطبيعة على ذلك فهو كما قيل

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

وقال حكيم لتلميذ له هوى جارية هل تشك في ان لا بد ان تفارقها
يوما ما قال نعم قال فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك اليوم
في يومك هذا واريح ما بينهما من الخوف المنتظر وصعوبة معالجة
درك بعد الاستحكام والانضمام اليه وقيل لبعض الحكماء ما العشق
قال خمود لا يوجر عليه صاحبه وسئل آخر عنه فقال مرض نفس
فارغة لا همة لها وقال آخر هو سوء اختيار صادف نفسا فارغة
فاشاروا كلهم الى معنى واحد

باب في ذكر العفة

العفة لا تتعلق الا بالقوة الشهوية ولا تتعلق من القوة الشهوية
الا بالملاذ الحيوانية وهي المتعلقة بالغادين البطر والفرج دون
الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة فان قيل

فاستطابة

فاستطابة الرائحة قد يكون للبهائم الا ترى ان الذيب يستطيب
ريح الغنم والكلب يستطيب ريح الادنى قيل استطابتهما
لذلك استطابة الاكل والذي ذكرناه من الرائحة ما يستطاب لذاته
لا لاجل غيره وما هو لاجل اجل الغارين فحكمه حكمهما كاستطابة
الانسان ريح السكباج فثبت ان العفة هي ضبط النفس
عن الملاذ الحيوانية وهي حالة متوسطة بين افراط هو الشهوة
وتفريط هو خمود الشهوة وهي اس الفضائل من القناعة والعفة
والزهد وغنى النفس والسخا وعدمها يعفي على اكثر المحاسن
ويعري عن لبوس المجامل ومن اتسم بسمة العفة قامت له العفة
بحجة ما سواها من الفضايل وسهلت له سبيل الوصول الى
المحاسن واسها ما يتعلق بضبط القلب عن تطلع الشهوات
البدنية وعن اعتقاد ما يكون جالبا للبغي والعدوان وتمامها
يتعلق بحفظ الجوارح فمن عدم عفة القلب يكون منه التوقع
وسوء الظن الذان بما اس كل رذيلة لان من زعم ان ما في يد غيره
حسده واذا حسد عاداه واذا عاداه نازعه واذا نازعه بما قتله
ومن اساء الظن عادى وبغى وتعدى ولذلك نهى الله تعالى عنهما
جميعا فقال عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن فمن فيه انقلع
اصل شجرتين تفرع عنهما جل الرذايل والمآثم ولا تكون الانسان

ظ عرض له في اليد واللسان ح

عرض له —

تامّ العفّة حتّى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر فمن
عدمها السخريّة والتجسّس والغيبة والهمز واللمز والنميمة والتنابز
بالالقاب ومن عدمها في البصر مدّ الغير الى المحارم وزينة الحياة
الدنيا المولّدة للشهوات الرديّة ومن عدمها في السمع الاصغاء
الى المسموعات القبيحة وعماد عفّة الجوارح كلّها ان لا يطلقها
صاحبها ممّا يخصّ كلّ واحد منها الّا فيما سوّغ فيه العقل
والشرع دون الشهوة والهوى واعلم انّه لا تكون المتعفّف
عفيفا الّا بشرط وهي ان لا يكون تعفّفه عن الشيء انتظارا
لاكثر منه ولانّه لا يوافقه او لمحمودة تهوّنه او لاستشعار
خوف من عاقبته او لانّه ممنوع من تناوله او لانّه غير صارف به
لقصوره فانّ ذلك كلّه ليس بعفّة بل هو اصطياد او تطبّب
او مرض او عجز او جهل وترك ضبط النفس عن الشهوة
اذم من تركها عن الغضب والشهوة مغتالة مخادعة والغضب
مغالب والمتحسّر عن قتال المخادع ارداء حالا من المتحسّر عن
المغالب ولهذا قيل عبد الشهوة اذلّ من عبد الرقّ وايضا
فالشره قد يحمل عيبه فهو شبيه بمدينة لهم سنّة ردية
واهلها يدّعون صحّتها ومن يضبط نفسه لا يكاد يحمل عيبه فهو
شبيه بمدينة لهم سنّة ردية يتعاطونها وهم يعرفون قبحها
وليس من تعاطى قبيحا يعرفه كمن تعاطاه وهو يظنّه حسنا باب

المتحسّر العاجز الذي يتحسّر ويتحزّن

الفضيلة

الفضيلة والزهد

الفضيلة الرضا بما دون الكفاية والزهد
الاقتصار على الزهيد اي القليل ومما يتقارب ان لكلّ الفضيلة
يقال اعتبارا برضى النفس والزهد يقال اعتبارا بالمتناول
بحظّ النفس وكلّ زهد حصل لاجل فضيلة فهو تزهّد لا زهد
ولذلك قال بعض الصوفيّة الفضيلة اوّل الزهد تنبيها ان الانسان
يحتاج اوّلا الى قمع نفسه والتخصّص بالفضيلة ليسهل عليه
تعاطي الزهد والفضيلة هي الغنى في الحقيقة فالناس كلّهم فقراء
من وجهين احدهما لافتقارهم الى الله عزّ وجلّ كما قال تعالى يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله والله هو الغنيّ الحميد ولكثرة حاجاتهم فاغناهم اقلّهم حاجة
ومن سدّ مفاقره بالمقتنيات فما في انسداد طماعه فانّه كمن يرقع
الخرق بالخرق ويسدّ الفقر بالفقر ومن سدّها بالاستغناء
عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضرورياته فهو الغنيّ
والمقرّب الى الله تعالى كما قال عزّ وجلّ فيما حكي عن طالوت
انّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانّه
مني الّا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الّا قليلا منهم
والانّ الغنى هو عدم الحاجة فاغناهم اقلّهم حاجة ولذلك كان
الله تعالى اغنى الاغنياء لانّه لا حاجة به الى شيء وعلى هذا
دلّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقوله ليس الغنى بكثرة العرض وانما
الغنى غنى النفس ومن ابواب الحكمة

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئا عاد داء العنى الفقر
والمخير من أن يستغني عن الدنيا ومن أن يستغني بها كالمخير بين
أن يكون مالكا أو مملوكا وقويا أو ضعيفا ومعافى أو مبتلى وحيا
أو ميتا فمتى اختار الاستغناء بها فقد اختار أن يكون مملوكا وضعيفا
ومبتلى وميتا وبهذا قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وقيل
لحكيم لم لا تتعلم فقال لأني لم أتخذها يغنيني واعلم أنه ليس في الزهد
من ترك المكاسب في شيء كما توهمه قوم أفرطوا حتى قربوا من مذهب
المانوية والبراهمة والرهبانية فإن ذلك يؤدي إلى خراب
العالم ومضادة الله تعالى فيما قدر ودبر وقد تقدم دلك
والزهد من وجه صبر ومن وجه جود، والجود ضربان أجود بما
في يدك متبرعا لا وجود عما في يد غيرك متورعا وذلك أسر فيهما
ولا يحصل الخير كله في الحقيقة إلا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف
عيوبها ويعرف الآخرة وإيثارها عليها وأجل أن لا بد في ذلك
من العلم قال الله تعالى قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا
مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون
ولأن الراغب في الدنيا راغب في الآخرة فهو يبيعها بها كما قال الله تعالى
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

الزاهد

ومحال

ومحال أن يبيع كيس عينا بأثر إلا إذا عرفهما وعرف فضل
المبتاع على المبيع وقيل لبعض الزهاد ما الذي أهلكك وأصبرك
فقال إنما أنفق فرغبة فيما هو أعظم مما أنت فيه وأما صبري
فلعجزي عن النار باب الورع الورع أصله جبن وضعف
وقد يستعمل في كل واحد منهما ولكن جعل في عرف الشرع للتورع
التشرع إلى تناول أعراض الدنيا وذلك بالانصراف واجب
وهو الإحجام عن المحارم وذلك للناس كافة ومندوب وهو الوقوف
عن الشبهات وذلك للأوساط وفضيلة وهو الكف عن
كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات وذلك
للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال صلى الله عليه
لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس
وقال باعتبار المنزل الماني لما قال رجل ما أشد الورع قال
صلى الله عليه وسلم ما أيسر الورع إذا شككت في أمر فدعه

الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوة الغضبية

باب ما ينبعث من القوة الغضبية الحمية وهي قوة
الغضب متى تحركت تحرك دم القلب فتولد منه ثلاثة أحوال
وذلك إما أن تتحرك على مرؤوسه أو على مرءوسه أو على نظيره
فإن كان ذلك على مرؤوسه ممن يظن أنه لا سبيل له إلى الانتقام منه
تولد منه انقباض الدم وذلك هو الجزع وإن كان على من دونه

سنة

ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه تولد منه ثوران دم
القلب ارادة للانتقام وذلك هو الغضب وان كان على نظيره
ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه تردد الدم بين
انقباض وانبساط وذلك هو الوتر والحقد ولكون الغم والغضب
بالذات واحدا واختلافهما بالاضافة لما سئل ابن عباس
رضي الله عنهما قال مخرجهما واحد واللفظ مختلف ٥ فمن نازع
من يقوى عليه اظهر غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه اظهر
حزنا ومن هذا قال الشاعر فحزن كل حزين اخو الجزع ٥
وانبساط دم القلب للحقد تحمر تارة وجهه وينتفخ اوداجه
كنار تلتهب وتسود وجهه تارة وذلك اذا كثر واشتد غضبه
كنار في غار فيسود وجهه وانقباض دم الجزع عن ظاهر الجلد
واجتماعه في القلب يصفر وجهه حتى ربما هلك من ذلك
وتتردد دم الحقد بين هذه الاحوال تحمر ويصفر ويسود ٥
والحرد هو الغضب لكن يستعمل اذا كان معه قصد المغضوب
ولذلك يقال حرد حرد الاسد

باب انواع الصبر وفضله

الصبر ضربان حسي ونفسي فالحسي هو تحمل المشاق
بقدر القوة البدنية ونهايته معلومة واكثرها لذوي الاجسام
الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر
والصبر بالارواح يعرف فضله صبر الملوك وليس بالاجسام

وذلك

وذلك في الفعل كالمشي ورفع الحجر ٥ وفي الانفعال كالصبر على المرض
واحتمال الضرب والقطع ٢ والثاني نفسي وبه يتعلق الفضيلة
وذلك ضربان ٢ آ صبر عن تناول مشتهى ويقال له العفة ٢ آ
وصبر عن تحمل مكروه او محبوب وذلك يختلف اسماؤه بحسب
اختلاف مواقعه ٢ آ ان كان ذلك في نزول مصيبة فانه لم يتعد به
اسم الصبر ويضاده الجزع والحزن والهلع ٢ آ وان كان في
احتمال الاذى فقد سمي ضبط النفس ويضاده الرقاعة والبطر
٣ وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن ٣ آ وان كان في
امساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلما ويضاده
التذمر ٤ وان كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده
ضيق الصدر والضجر والتبرم ٦ وان كان في امساك الكلام في الضير
سمي كتمان السر ويضاده الافشاء ٧ وان كان عن فضولات
العيش سمي قناعة وزهدا ويضاده الحرص والشره ٥ آ
ولكون الصبر عاما قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
فذكر انهم يصبرون في البأساء اي الفقر وفي الضراء اي في
المصيبة وحين البأس اي في المحاربة وقال بعضهم ضبط النفس
يقال في الاشياء المؤلمة والصبر يقال في الاشياء المخزية وقال
بعضهم بل هما من الاسماء المترادفة على معنى واحد ان قيل

ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان قيل
لما كان جميع المحامد مضمرا ترك الشر ويعبر عنه بالصبر
وفعل الخير ويعبر عنه بالسكر صار الصبر الذي هو ترك الشر نصف
الايمان باب السجاعة السجاعة ان اعتبرت
وهي في النفس فصرامة القلب على الاموال وربط الجاش في
المخاوف وان اعتبرت بالفعل فالاقدام على موضع الفرصة
وهي فضيلة بين التهور والجبن وتولد هاذين الغضب والفزع
اذا كانا متوسطين فان الغضب قد يكون مفرطا كمن يتحكم
سريعا من اشياء صغيرة وقد يكون مفرطا كمن لا يغضب من
الامر الاعلى حرمه وستم ابيه وامه وقد يكون متوسطا على ما
يجب فيما يجب وبقدر ما يجب وكذلك الفزع قد يكون مفرطا
فيتولد منه الجبن الهالع ومفرطا فيتولد منه الوقاحة والغارة
كمن لا يفزع من ستم آبائه وتضييع حرمه واصدقائه وقد
يكون متوسطا على ما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما اعني الغضب
والفزع على حالتين محمودة ومذمومة صار الحدان يأتيه ويذمان
اخرى فان الغضب في مثل قوله تعالى وغضب الله عليهم والفزع
في مثل قول الشاعر اذا ظلم المولى فزعت لظلمه
هما محمودان والتهور وهو الثبات في الامور المعطبة والجبن
هو الفزع المذموم من الامور المعطبة وانواع السجاعة خمسة

سبعية

سبعية كمن اقدم لثوران غضب او لطلب غلبة وبهيمية كمن
حارب توصلا الى مأكل او منكح وحربية كمن حارب مرارا فظفر
فجعل ذلك اصلا يبنى عليه وجمادية كمن حارب ذبا عن الدين
وحكمية وهي ما يكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهي محمودة
بقدر ما يجب وعلى ما يجب الا ترى ان الله يحمد من اقدم على كافر غضبا
لدين الله تعالى او طمعا في ثوابه او خوفا من عقابه او اعتمادا
على ما رأى من انجاز الله تعالى وعده في نصرة اوليائه فان كل ذلك
محمود وان كان محض السجاعة ان لا تقصد بالاقدام حوز ثواب
ودفع عقاب فقد قيل من عبد الله تعالى بعوض فهو لئيم
والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحكمة واخلاص الدين
وبين المقدم لغير ذلك ان المقدم لغير الحكمة والاخلاص
يخاف الموت اكثر مما يخاف المذمة الصادقة والمقدم للحكمة
والاخلاص بالضد من ذلك فانه يختار الموت الحميد على الحياة
الذمية ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام ايها الناس ان لم تقتلوا
تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده الف ضربة بالسيف
اهون من ميتة على فراش ومن السجاعة المحمودة مجاهدة
الانسان نفسه او غيره وكل واحد منهما ضربان مجاهدة
النفس بالقول وذلك بالتعلم وبالفعل وذلك بقمع السهو
وتقريب الحمية ومجاهدة الغير بالقول وذلك تبيين الحق وتعليمه

بالتعيين للطاعة
وقبول الدين

وبالفعل وذلك مدافعة الباطل وتعاطيه بالحرب باب
اسماء انواع الفزع والفرق بينها وما يحمد منها ويذم الفزع
والجزع اخوان لكن الفزع ما يعترى من الشئ المخيف والجزع
ما يعترى من الشئ الموم والفزع لفظ عام سواء كان عارضا عن
امارة او دلالة او حاصلا لا عن ذلك ومتى كان ذلك من عار
فهو الحياء والخجل ومتى كان عن شئ يضر فهو الفرق والذعر
ومتى كان لفوت محبوب فهو الاشفاق ولهذا قال تعالى
حكاية عن اهل الجنة انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
والخوف توقع مكروه عن امارة والخشية خوف يشوبه تعظيم
المخشى مع المعرفة به ولهذا قال تعالى من خشى الرحمن بالغيب
والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر ليس له امارة قال الله عز وجل
والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
والرهبة خوف مع تحرز واضطراب ولتضمن الاخيرة قال
الله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون والهيبة
رهبة جالبة للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في
كل محتشم قال الشاعر

الهابك اجلالا ومابك قدرة على ولكن مل عيني حبيبها

وهذه الاشياء قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار
الامور الاخروية قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

قلوبهم

قلوبهم وقال تعالى واياي فارهبون وقال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء والخوف من الله ليس يشار به الى ما يخطر بالبال
من الرعب كاستشعار الانسان من الاسد وانما يشار به الى
ما يقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصي ولذلك قيل الاتعدن
خائفا من لا يتركك الذنب وقال تعالى انما ذلكم الشيطان
يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مومنين اي لا
تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه الخوف مني
فان قيل كيف مدح المومن بالحزن والخوف مع قوله تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل اما الممدوح به فهو
مقتضاهما وذلك باقامة العبادات واما المنفيان عنهم فهما
اللذان يكونان من الشر باب مداواة الهم وازالة الخوف
حق الانسان ان يعلم ان الدنيا جمة المصايب رنقة المشارب
تثمر للبرية اضعاف البلية فيها مع كل لقمة غصة ومع كل
جرعة شرقة في عدوة تجوبة كما قال ابو نواس رحمه الله
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وكما روي عن الحسن رحمه الله عليه انه قال ما مثلنا مع الدنيا الا كما قال الكثير
اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت
فما احد فيها الا وفي كل حال عرض لسهم ثلاثة سهم بلية وسهم
رزية وسهم منية تناضله الافات من كل جانب
فمخطئه يوما ويوما تصيبه

لشقيق

وقال بعض الحكماء اسباب الحزن فقد محبوب او فوت مطلوب
ولا يسلم منهما انسان لان الثبات والدوام معدوم في عالم
الكون والفساد فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه فهو
غير عاقل لانه يريد ان يملك ما لا يملك ويجد ما لا يوجد حتى
المرء ان لا يخلى قلبه من اعتبار فيما يرى من ان تجلح ودايهما من ارباها
وحلول قوارعها باصحابها وما احسن ما قال ابن الرومي
الم تورزة الدهر من قبل كونه كفاحا اذا فكرت في الخلوات
فالك كالمرمي من ما مر ليه بنبل آتته غير مرتقبات
فان قلت مكروه اتانا فجاة فاوجبت نفس مع الخطرات
واعوصت نفس ببلوى وقد رات عظات من الايام بعد عظات
اذا بغتت اشياء قد كان مثلها قديما فلا تعتدها بغتات
ثم من حقه ان يقلل من اقتناء ما يورث الحزن فقد قيل لحكيم
لم لا تغتم فقال لاني لم اقتن ما يغمني فقده واخذ السلم ذلك فقال
ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئا يبالي به فقدا

ح
كاف له فقدا

وقيل لحكيم هل يمكن للانسان ان يعيش امنا قال نعم اذا احترس من
الخطيئة وقنع بحاله ولم يحزن لما هو واقع لا محالة به واعلم ان
الجزع على ما فات لم يلم ما تشعث وانثلم ما انتكث كما قال الشاعر
وهل جزع عجد على فاجزعا فاما جزعه على المستقبل
فلا يخلو من ثلاثة اوجه اما من شيء ممتنع كونه او واجب كونه
او ممكن كونه فان كان على ممتنع كونه فليس ذلك من شان العاقل

ولذلك

ولذلك ان كان من قبيل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب
العباد وان كان ممكنا كونه فانه ان كان من الممكن الذي السبيل
الى ازالته كامكان الموت قبل الهرم فالحزن له حمد واسبابه
غم الى غم وان كان من الممكن الذي يصح دفعه والوجدان يحتال
في دفعه بعقل غير مشوب بحزن فان دفعه والا تلقاه بصبر
ليتحقق معنى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل
مختال فخور فمن علم ان ما جرى في حكمه وما سبق في علمه
الا ان لا يكون بانت عليه الموت ٥ واعلم ان الذي يغر الناس
حسن ظنهم بالخسار الاوقات واغترارهم حالة بعد حالة بصفاء
الاوقات لو تاملوها بالبصيرة لتحققوا انها كما قال امير المؤمنين عليه السلام
ما قال الناس لقوم طوبى لكم الا وقد خبأ لهم الدهر يوم سوء ثم
ان الليالي لم تحسن الى احد الا اساءت اليه بعد احسان
واما سبب الاغتمام بالموت فلا ينفك من اربعة اوجه اما
لفوت شهوات بطنه وفرجه واما على خلفه من ماله واما على
جهله بما له واما خوفا على ما قدمه من عصيانه فان كان ذلك
لشهوة بطنه وفرجه فاعلم ان ذلك كمشتهي داء ليقاسي له دواء
مثله فان الانسان لا يستلذ الطعام حتى يجوع والجوع داء مهروب منه

وقيل ان يتم لها ... وقيل ان الخ ... الكسب والفراغ ... وبدو الشمس وضوء النهار ... الخ

وانه شمعة داء مهروب منه فمثل من يحب الجوع ليستطيب
بعده الاكل كمن يستطيب الفعود في الشمس ليناله الحر ثم
يستطيب القعود في الظل ومحبة ذلك رقاعة لا تخلو من الغفلة
وان كان غمه على ما تخلفه من ماله فذلك لجهله بخساسة اعراض
الدنيا ودنوها وكونها مجمع بلية وبنفاسة الادراك الحقيقية
التي وعد بها المتقون وان كان غمه لجمله بما له فداوائه العلم
والمعرفة الحقيقية التي تريه حال ما يأل الانسان بعد الموت
كما قال حارثة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم كأني انظر
الى عرش ربي بارزا وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون في
اهل النار يتعاوون فيها وان كان خوفا لما كان من عصيانه
فدواوه المبادرة بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعل الله
اليه سبيلا من تلافي ما فرط منه ووعد به التائبين.

باب احوال الناس في محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة به

الناس في ذلك على ثلاثة اضرب الاول حكيم يعلم ان الحياة
تسرقه والموت يعتقه وان الانسان في هذا العالم وان طال
فيه لبثه فهو كخطفة برق لمعت في اكناف السماء ثم عادت
وانه في دنياه كمبعوث الى ثغر يحوطه وبلد يسوسه يراعي
ما استرعي ويسر بدعاية اداعي والاهتكاوه خرجه منها الا بقدر
ما يفوته من حديه ربه والازدياد من تقربه والاحفاق بما يهول
ويقال له كما قال بعض الصالحين وقد روي منه جزع عند الموت

فقيل

فقيل له في ذلك فقال جزعي ان اسلك طريقا لم اعمد بعد
على رب لم اره ولا ادري ما اقول وما يقال لي والثاني رجل انس
بهذا العالم فألفه وان كرهه فسبيله سبيل من الف بيتا
مظلما قذرا ولم ير غيره فهو يكره الخروج منه وان كان قد كره دخوله فيه كما قال الشاعر

دخلنا كارهين لها فلما الفتاها خرجنا مكرهينا

فاحب الديار لنا ولكن امر العشر فرقة من بينا.

بحق قيل لو رضي الناس بارزاقهم رضاهم باوطانهم لما شكى
احد فقره فمذا متى خرج عن دنياه واطلع على ما اعد للصالح
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت واخطر على قلب بشر سرا
خلاصه كما حكى الله تعالى عز استقر به القرار في جنة النعيم
حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب والثالث رجل عمي البصيرة متلطخ السريرة بما ارتكبه
من انواع الجريرة رضي بالحيوة الدنيا واطمأن بها ويئس من
الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور فاذا خرج منها الى
دار الخلود اضر ذلك به كما تضر رياح الورد بالجعل
فاذا خرج من دار الدنيا لم يوافقه عالم العلى ومصاحبة الملاء
الاعلى ومنادمة اولي النعمى فيعمى كما قال تعالى ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذا قال صلى الله عليه وسلم

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ٥ وأجد بمرتمى في هذا العالم
بغفلته من العلم والعمل الصالح أن لا يشتاق اليه بعد خروجه منه
وإن خرج كارها كما لا يشتاق الى الرجوع الى بطن امه بعد الخروج
منه ويدل على انه خرج من بطن امه كارها بكاؤه وقد قال
بعض القدماء اول ما ينال الصبي غمة عند سقوطه لما يضغطه
من مضيق مخرجه ويصيبه من الم الهواء فيوجع والوجع يورثه
الغم والغم يحمله على البكاء وذلك ان للصبي كلما يكون للحيوان
غير الناطق من اللذة والالم والجوع والعطش ٥ ومن هذا اخذ ابن الرومي
لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وانه لا فسيح مما كان فيه وارغد
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما احد اكره الموت والموت خير له من الحياة
لان الله تعالى قال في الاخيار وما عند الله خير للابرار وقال
في الاشرار انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل الصالح اذا مات استراح
من الدنيا والطالح اذا مات استراحت منه الدنيا قال بعض الصالحين
من الحكماء من زال لغيره صانك الله من نوب الايام وصروف
الزمان فهو يدعوه بالموت فالانسان لا ينفك من ذلك الا بعد
خروجه من عالم الكون والفساد وقال بعض الصوفية حق
ملك الموت ان يحبه المسلم من بين الملائكة فضل محبة من حيث
انه اجل اسباب تعويضه الحياة السنية الابدية من حياة

فقال

الدنيوية الدنيوية ولهذا امرنا ان نقول في الدعاء اللهم صل على
جبريل وميكائيل وملك الموت فان جبريل وميكائيل هما سببا
الانبياء من ذلك العالم بما فيه خلاصنا من دار الكون والفساد
وملك الموت سبب اخراجنا من دار الكون والفساد فاذا
حقه عظيم وشكره لازم وقد حكي ان قوما من الاوايل كانوا
يعظمون زحل بالتقديس والتسبيح له وقالوا انه لا يتعين
على الحياة العرضية بل هو سبب انقاذنا من الدنيا الدنية
وقال بعض الاولياء في مناجاته الهي ان سألتك الحياة في
دار الحياة فقد رغبت في البعد عنك ورضيت بالقرب منك
فقال نبيك وصفيك صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والموت
دون لقاء الله وقال بعضهم ان كان في قلة الحاجة الدنيوية
غنى ففي انقطاع الحاجة الغنى الاكبر والانقطاع لها الا بمفارقة
الدنيا فالدنيا سبب فاقتنا والعبودية لغير الله وقبيح
بالعاقل صحبة الفاقة والتخصص بعبودية غير رب العزة
والموت سبب كمال الانسان ومن رغب عن كماله فهو من الذين
خسروا انفسهم ومن كره الموت اخرج عن الدنيا كارها فيكون
كعبد ابق ثم رد الى مولاه ماسورا وقيد الى حضرته مقهورا وشتان
من عبد دعاه مولاه فاتاه طوعا وعبد ابق اسير فاتى به قسرا
وحق العاقل ان يكثر من ذكر الموت فذكره للموت لا يقرب

له اجلا ويفيده ثلاثا الصلحة بالرزق والمبادرة بالتوبة
والنشاط في العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من
ذكر هادم اللذات فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه
ولا في سعة الا ضيقها عليه وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل
ويكف غرب المنى فيهون المصايب ويحول من الانسان الطغيان

باب السرور والفرح السرور انشراح النفس
بلذة فيها طمانينة الصدر عاجلا او آجلا وذلك في الحقيقة
انما يكون اذا لم تخف زواله ولا يكون الا في المعاني الاخروية
ولذلك قيل السرور في الدنيا على الحقيقة والفرح انشراح
الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك في اللذات البدنية
الدنيوية ولهذا قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم والفرح يدعوا الى النشاط والنشاط الى المرح والمرح
داعية الاشر والاشر مقدمة البطر واكثر ما يظهر ذلك في
الاحداث والصبيان بقدر ما يغلب عليهم من الغفلة وقد
ذم الله عز وجل بقوله وفرحوا بالحياة الدنيا وقال تعالى
ان الله لا يحب الفرحين وقال تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في
الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقال تعالى كل حزب
بما لديهم فرحون وقد يسمى الفرح سرورا والسرور فرحا
لكن على نظر من يعتبر الحقايق وتصور احدهما بصورة الاخر
ولذلك قيل من طلب السرور بالخارجات منه لم ينله

باب العذر والتوبة المذنب اذا عوتب او خاف
العتب لا ينفك من حبين اما ان يكون مصرا او معتذرا
فاما المصر فقد يستحسن في بعض الاحوال التجاهل عنده وقد سمع
رجل حكيما يقول ذنب الاصرار اولى بالاغتفار فقال صدق
ليس فضل من عفا عن السهو والقليل كمن عفا عن العمل الجليل
واما المعتذر فهو المظهر لما يحوبه الذنب ○ وجميع المعاذر
لا ينفك من ثلاثة اوجه اما ان يقول لم افعل او يقول فعلت
لاجل كذا فيبين ما اخرجه عن كونه كذبا او يقول فعلت والعهد
فيه انكر وانبا عن كذب ما نسب اليه وقد بريت ساحته
وان فعل وعهد فقد يعد التغابي عنه كرما واياه قصد الشاعر
تغابى ورب ذنب غفلة لفرط الحياء وفضل الكرم
ومن اقر فقد استوجب العفو بحسن ظنه بك قال بعض العلماء
تجاوز عن مذنب لم يسلك الا قرار طريقا حتى اخذ من رجائك
رفيقا وان قال فعلت ولا اعود فهذا هو التوبة وحق
الانسان ان يقتدي بالله في قبولها وللتوبة شرايط فرضا
ونفلا ففرضها ترك الذنب مع ترك العود اليه ونفلها
التاسف لما سلف من الذنب والاستعفار له وترك بعض
المباحات مقابلة لما ترك من العصيان واعلم ان المذنب
التايب اذا تاب توبة نصوحا فصلة على من لم يذنب

المعاذير

مرلاته اوجه الأول مرجع العيوب والذنوب وعرف مداخل
الشيطان على الانسان ومكوز الهوى الى الاجتراء قد قيل الحكيم
ولان لا يعرف الشر قال ذاك احدر ان يقع فيه ٢ والثاني
ان المذنب التائب مخشوم قد غلب الخوف على قلبه فيأتي باب مولاه
خزيان منكسرا ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه ويدل بفعله وليس
خلة عبد عصى مولاه وخرج عليه خارجيا ثم عاد اليه وجلا
فتجوى عنه كخلة من ازدل بطاعته ٣ والثالث ان التائب جلب
الدهر سطرين خيره وشره محلوه ومره فهو ارفق بالمذنبين
واوفق لهم واصلح للرياسة ممن يظن ان الذنب شئ خارج عن
طبيعة الانسانية فيعجب بنفسه ويزدري لغيره

باب الحلم والعفو

الحلم

الحلم امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم امساك عما
يظهر منه اذا لاح ولما كان الحلم عن تاثير العقل وغير منفك عنه
صار يعبر به عن كل عقل ظهر وعلا كقوله تعالى في ذم الكفار على سبيل
التعجيب منهم ام تامرهم احلامهم بهذا ومتى استعمل الحلم في الباري
عز وجل فانه يراد الفعل بمقتضاه وهو العفو دون انفعال
يعرض له ولن يتم حلم الانسان الا بامساك الجوارح كلها ان
اليد عن البطش واللسان عن الفحش والسمع عن سماعه
والعين عن فضول النظر واقرب لفظ تستعمل في ضد الحلم
التذمر واما العفو والصفح فيما صورتا الحلم ومخرجاه الى الوجود

فالعفو

فالعفو ترك المواخذة بالذنب والصفح ترك التثريب بمادونه
والاعراض صفحة الوجه عن التفت الى ما كان منه وهو محمود
اذا كان على الوجه الذي يجب ولهذا قال تعالى فاصفح الصفح
الجميل فخص تنبيها على ما يحمل منه وقد حث الله تعالى على ذلك
بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فامر بالحلم والعفو
وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا وقال تعالى فاعف عنهم واصفح ان
الله يحب المحسنين وقال تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله
والعفو انما يستحب فيما كان الاساءة مخصوصة بالعافي دون اخذ
ماله وشتم عرضه فاما اذا كانت الاساءة عايدة بالضرر على
الشرع او على جماعة الناس فانه ان كان فيها ادنى شبهة فللسلطان
العفو لقوله صلى الله عليه وسلم ادرأوا الحدود بالشبهات
وان لم يكن ذات شبهة فليس له العفو ولهذا قال تعالى في الزنا
ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر
وحق المعاقب ان لا يكون سبعا في انتقامه بل لا يعاقب حتى
يزول سلطان غضبه ليلا يقدم على ما ليس بواجب ولذلك
جرى سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد
النظر فيه قال بعضهم ينبغي للسلطان ان يؤخر العقوبة في
سلطان غضبه ويعجل مكافاة المحسن ويستعمل الاناة فيما حدث
فتاخير العقوبة فيها امكان العفو ان اوجب ذلك وتعجل المكافاة

بالاحسان فيه مسارعة الاولياء الى الطلحة ٥ واتى الاسكندر
بمذنب فصفح عنه فقال بعض جلسايه لو كنت اياك لقتلته قال
فاذا لم اكن انا اياك ولا انت اياى فكيف تقتله وانتهى الى
بعض اصحابه وهو يغيبه فعل له لو امكنته عقوبة قال حينئذ
ابسط له لسانا وعذرا فى اغتيابى واعلم ان لذة العفو
اطيب من لذة التشفى لان لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة
العقوبة يلحقها اثم الندم ٥ والعقوبة الام حالات ذى القدرة
وهى طرف من الجزع ٥ ومن رضى ان لا يكون بينه وبين الظالم الا
ستر رقيق فلينتصف وقد نبه الله تعالى على ذلك بلطف من
المقال فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها ٥ فسمى مجازاة المسئ باسمه
اسماه وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم فسمى المجازى على الاعتداء معتديا تنبيها على انه قد كاد
يكون اياه والعقوبات فيما بين الناس اقبحها ما كان فيما لم يظهر
بالفعل وقد قال بعض الملوك انا نملك الاجساد دون الضمائر
ونفحص عن الظواهر لا عن السرائر ثم من سلم ظاهره احتمل جرائره
فقد يعفو المرء وبيته سليمة ويزل وطريقته مستقيمة

باب ثواب الغضب وفضل كظمه

الغضب فى الانسان نار ربما تشتعل والناس يختلفون فيه فبعضهم
كالحلفا سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطئ الوقود

بطئ الخمود

بطئ الخمود وبعضهم سريع الوقود بطئ الخمود وبعضهم على عكس ذلك
وهو احدهم ملمر بكر مفضيا الى زوال حميته وفقدان غيرته ٥
واختلافهم تارة يكون بحسب الامزجة فمن كان طبعه حارا
يابسا يكثر غضبه ومن كان بخلافه يقل وتارة يكون بحسب
اختلاف العادة فى الناس من تعود السكون والهدو وهو
المعبر عنه بالذلول والهين واللين ٥ ومنهم من تعود الطيش
والانزعاج فيحتد بادنى مايطرقه ككلب سمع حسا فيعوى
قبل ان يعرف ما هو واسرع الناس غضبا الصبيان والنساء
واكثرهم ضجرا الشيوخ واجل الناس سجية واقلهم مجاهدة
واعظمهم قوة من يكظم الغيظ وعلى ذلك دل قوله تعالى والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فجعلهم المحسنين
وقال صلى الله عليه وسلم وقد مر بقوم يرفعون حجرا ما حملكم
باسلكم من ملككم نفسه عند الغضب واعلم ان نار الغضب
متى كانت عنيفة تاججت واضطرمت فاحتدمت منه غليان دم
القلب وملأت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مصطربا يسود
منه حال العقل ويضعفه فعله فكما ان الكهف الضيق اذا
ملئ حريقا اختنق منه اللهيب والدخان وعلامته الاجج فيصعب
علاجه واطفاؤه ويصير كل ما يدنو منه مادة لقوته كذلك النفس
اذا اشتعلت غضبا عميت عن الرشد وصمت عن الموعظة
فيصير مواعظه مادة لغضبه وهذا حكى عن ابليس

بالغضب وقوت النار

انه قال متى اعجزنى ابن آدم فلم يعجزنى اذا غضب لانه يقاد لى
فيما ابتغيه ويعمل بما اريده وارتضيه وقيل الغضب جنون سلخة
ربما ادى الى التلف باختناق حرارة القلب وربما كان سببا لامراض
صعبة مؤدية الى التلف واسباب الغضب العجب والافتخار
والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والضيم وطلب ما
فيه التناحس والتحاسد وشهوة الانتقام وحق من راعى غضبه
غضبه ان يتفكر فان كان المغضوب عليه تحت يده فلا معنى
لاستشاطته اذ هو ممكن منه على سكون الجاش وان كان
غضبه على من لا سبيل له عليه فلا معنى لتعذيبه نفسه فى
الوقت بل حقه ان يصبر حتى يتمكن منه ثم يفعل ما الواجب
وقال حكيم سد طريق الغضب قبل تلهب ناره فى حمل ودمك
فانما يمكن اطفاؤها قبل انتشارها فاما اذا استعلت فلا
سبيل الى اطفايها وقال سلطان لحكيم كيف لى ان
لا اغضب فقال بان تكون ذاكرا فى كل وقت انه يجب
ان تطيع لا ان تطاع فقط وان تخدم لا ان تخدم فقط
وان تحتمل لا ان تحتمل فقط وان تحقق ان الله تعالى يراك
ذليلا فاذا فعلت ذلك لم تغضب وان غضبت غضبت قليلا

باب الغيرة والجوار الغيرة نور ان الغضب جناية
على اكرم الحرم واكثر ما يراعى فى النساء وجعل الله هذه القوة
فى الانسان

فى الانسان سببا لصيانة الماء وحفظ الانساب ولذلك قيل
كل امة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسايها
وقد يستعمل ذلك فى صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته
فى السياسات الثلاث التى هى سياسة الرجل نفسه وسياسة منزله واهله وسياسة مدينته وصقعه ولذلك
قيل لدست الغيرة ذب الرجل عن امراته ولكن ذبه عن كل مختص به
وقيل الغيرة الذب عن كل ضعيف وسمى كراهية عند من استحقها
غيرة والغيرة وان كانت من قوة الانسانية وواجب كونها فى
كل جيل فهى كثيرة فى العرب كثرة عرمتناهية حتى ان من دخل
دار احدهم والتجاء الى فنائه عد واقعله حرمة وجوارا وذمارا
بل ان تعلق الدلو بالدلو العربية اويلابس الطنب المستحصد
الطنب بل كانوا يراعون ذلك فى الوحشيات والهوام حتى سمى
مجر الحراد ومحر الغزال ومحر الذيب وسمى الغضب
المقتضى للغيرة الحفيظة فقالوا احفظنى فلان اى اغضبنى
الغضب الذى اثار منى قوة الحفظ

باب الغبطة والمنافسة والحسد الذى ينال الانسان بسبب خير يصل
الى غيره على سبيل التمنى ان يكون له مثله فهو غبطة واذا
كان مع ذلك سعى منه فى ان يبلغ هو مثل ذلك او ما هو فوقه فمنافسة
وكلاهما محمودان وان كان مع ذلك تمنى زوال ما بصاحبه من

من غير استحقاق لزواله فهو حسد والحسد يتمنى زوال نعمة من
مستحق لها ولربما كان مع ذلك سعي في ازالتها والحاسد التام
هو الخبيث النفس السلبي في ازالة نعمة مستحقيه من غير ان
يكون طالبا لذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد قدير ي زوال
نعمتك نعمة عليه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق
يحسد الحمد الغبطة وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
فحث على التنافس اذ هو البعث لنا على طلب المحاسن وذلك
كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لا ينجو منها احد الظن والطيرة والحسد وساخبرك
بالمخرج من ذلك فاذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض
ولا تثن واذا حسدت فلا تبغ اي اذا اصابك غم تخيل بنالة
غيرك فلا تبغ ازالته عنه واعلم ان الحسد من وجه غاية
البخل لان البخيل يبخل بمال نفسه والحاسد يبخل بمال الله تعالى
ولذلك قيل الحاسد يخيل بما لا يملكه ومن وجه هو اظلم الظالم
لانه يظلم غيره في ازالة نعمه ويظلم ربه فيما قدره وقيل
الحسد والحرص ركبا الذنوب ومنه انتج ذنب ابليس لعنه الله
وآدم صلوات الله عليه فابليس حسد آدم فصار لعينا وآدم علمه الله
حرص على ما نهي عنه فاخرج من الجنة فمن شجرات تجتنى منهما
سائر الرذايل فمن قطع اسبابها نجا ان قل ما وحه قول
النبي صلى الله عليه وسلم

لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فجعله في حقه ورجل
آتاه الله حكمة فهو يقضي بها قيل عنى بالحسد هذا الغبطة
وقد سمى ذلك من حيث انهما النعم التي ينال الانسان من غير
ينالها عمرو او ينالها هو وعلى ذلك يقول الانسان لولده لا اتحسد
فلانا فيما يتعلمه اي لا تتمنى حاله واعلم ان الحسد ضرب من
الحماقة لان اغتمامه بما ينالها ذووه واهل بلده يقتضي ان يغتم
لما ينالها اهل الصين والهند على ان الخير الذي ينال ذويه اذا شكر
فيه هو انفع له مما ينالها الا بعد

الفصل الخامس
في العدالة والظلم والمحبة والبغض

باب ذكر العدالة وفضيلتها

العدالة لفظ يقتضي
معنى المساواة ولا يستعمل الا باعتبار التعارف وهي في التعارف
اذا اعتبرت بالقوة مميتة في الانسان تطلب بها المساواة واذا
اعتبرت بالفعل فهي التقسيط القايم على الاستواء واذا وصف
الله عز وجل فليس يراد به الهيئة وانما يراد ان افعاله واقعة
على نهاية الانتظام والانسان في تحري فعل العدالة يكون
تام الفضيلة اذا حصل مع فعله هيئة متميزة لتعاطيه فقد يقع
فعل العدالة من الانسان والملون مما وجاء به نحو ان يقسط
مراياة او توصلا الى بعض دنيوي او خوف عقوبة السلطان
والعدالة تارة يقال في الفضايل كلها من حيث انه اخرج شيء من

المراياة الرياء

الفضايل عنها وتارة تقال على اكمل الفضايل من حيث ان صاحبها
يقدر ان يستعملها في نفسه وفي غيره وهي ميزان الله تعالى
المبرا من كل زلة وبها يستتب امر العالم ولذلك قال تعالى
الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال تعالى والسماء رفعها
ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان وعبر عن العدالة بالميزان
اذ كان من اثرها ومن اظهر افعالها للحاسبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
بالعدل قامت السموات والارض اي لو كان شيء من موجودات
العالم واصولها زايدا على الآخر او ناقصا عنه لم يكن منتظما
لهذا النظام ومن فضيلتها ان الجور الذي هو ضده استتب
الا به فلو ان اصوصا شارطوا فيما بينهم شرطا فلم يراعوا العدالة
فيه لم ينتظم امرهم ومن فضلها ان كل نفس تتلذذ بسماعها و
يتالم من ضدها ولذلك يستحسن الجاير عدل غيره اذا ساه او سمع به
وقيل العدل الخاف الله اي من حيث العدالة لا خوف عليه
وحسن العدالة والمساواة يتالم النفس من كل ما كان مركبا
ليس له نظام مستقيم فيكره العرج والعور فيتشاءم به .
ولتحري المساواة جعل الله تعالى اعضاء الانسان الواقعة في
الاطراف زوجين اثنين وفي الاوساط واحدا واحدا وللاقتداء
بذلك تحري النقاشون بازاء كل منقوش في جانب منقوشا مثله
في الجانب الآخر لئلا تصير الصورة معوجة والعدالة وسط

واطرافها

واطرافها كالجور فالجور الخروج من وسط بزيادة او نقصان
ولذلك صار الجور والخطاء بالاضافة الى العدل والصواب
من حيث لا نهاية له والعدل والصواب من حيث المتناهي وادراكها
صعب عسر ولصعوبة ذلك قال صلى الله عليه وسلم استقيموا
ولن تحصوا ومدح تعالى بقوله واحصى كل شيء عددا تنبيها انه
هو المتحقق بالعدالة والصواب من كل شيء وقال بعض الصوفية
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت بلغني يا رسول الله
انك قلت شيبتني هود واخواتها فما الذي شيبك منها فقال
قوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولما كان الوصول
اليها عسرا صار طالبها اذا تحراها بجهده وان اخطا فيها معذورا
بل ماجورا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اجتهد فاخطا فله اجر
ومن اجتهد فاصاب فله اجران

باب انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه

العدل ضربان عدل مطلق يقتضي العقل حسنه
ولا يكون منسوخا في شيء من الازمنة ولا يوصف بالجور في حال
نحو جذب الاحسان الى من احسن اليك وكف الاذى عمن كف
اذاه عنك وعدل مقيد يعرف كونه عدلا بالشرع ويمكن
ان يكون منسوخا في بعض الازمنة وذلك مقابلة السوء بمثله
كجواز القصاص وارش الجنايات وكاخذ مال المرتد
وهذا النحو يصح ان يوصف على المجاز في بعض الاحوال بالجور

ولذلك قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى جزاء السيئة
سيئة مع انه لو لم يكن معتبرا بالسيئة المتقدمة كانت
هي سيئة وعلى ذلك قوله تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون وبالنظر الى النوع الاول والاعتبار به قال
بعض المتكلمين يعرف العدل والجور بالعقل قبل الشرع
وبالنظر الى النوع الثاني قال بعضهم لا يعرفان الا بالشرع
ان الشرع مجمع العدالة وبه يعرف حقايقها ولو توهمناه مرتفعا
لكان يودي الى ان لا يكون عدالة على الحقيقة في شئ من جزئيات
الافعال ولا في كثير من كلياتها والعدالة المحمودة هي التي تخرج
الانسان من رذيلتي البخس والشره وانما يكون تخريجا للحق عن
سخيتين والذي يجب ان يستعمل الانسان مع العدالة خمسة
الاول بينه وبين ربه العشرة وذلك معرفة توحيده واحكامه والثاني
بينه وبين قوى نفسه وذلك بان يجعل هواه مستسلما لعقله فقد
قيل اعدل الناس من انصف عقله من هواه والثالث بينه
وبين اسلافه الماضين في انفاذ وصاياهم والدعاء لهم والرابع
بينه وبين معامليه من اداء الحقوق والانصاف في المعاملات
من المبايعات والمقارضات والكرامات والخامس بينه
النصفة بين الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة وخلفائهم
واما الحكام العدول في الارض بلا اله حاكم من الله تعالى

وهو الحكم

وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه والعامل والآمر به وموكل وال عدل
والناض المعتبر به واعلاه الدينار ومعناه بالفارسية دين آورده
والناض من وجه حاكم من وجه كالآلة للحاكم يعتبر اذا قيس
عمل بعمل ولما كانت الشريعة مجمع العدالة ومنبعها صار من
امتنع من التزامها اظلم ظالم ولهذا قال تعالى ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
ولكون الكفر ظلما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا فقابل المؤمن بالظالم

باب ما يحسن ترك العدالة فيه ترك العدالة الى الظلم عمدا
مذموم في جميع الاحوال والخارج عنها الى الظلم مستوجب
بقدر خروجه عنها سخطا من الله تعالى الا ان يتغمده بعفوه
واما الخارج عنه الى الانظلام اي التزام الظلم فقد يحمد والانظلام
من حيث الكمية بلا اله اضرب انظلام في المال وهو الاستخذاء
للظالم في اخذ ماله وانظلام في الكرامة وهو الاستخذاء في
بخس منزلته من التعظيم وانظلام في النفس وهو الاستخذاء لمن
يوليه وكل واحد يكون محمودا ومذموما ومن حيث الكيفية
ضربان محمود ومذموم فالمحمود التغابي عن حق له في المال
او في الكرامة او في النفس بقدر ما يحسن وهو المعبر عنه بالاغضاء

فل

والتغافل الذي قيل فيه العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغا

واياه قصد معاوية من خدعك فانخدعت له فقد خدعته

وقال الشاعر ممن يغر على الثناء فيخدع

وذلك اذا كان في مال فسماحة واذا كان في النفس فهو واذا

كان في الكرامة فتواضع واما على الوجه المذموم ففي المال

عبث وفي النفس والكرامة هوان ومذلة وقد تقدم ان

الافضال والاحسان اشرف من العدالة اذا كان الحكم بينك

وبين غيرك واما اذا حكمت بين اثنين فليس الا العدالة وانما

الاحسان الى المتحاكمين ولهذا قال تعالى وان حكمت فاحكم بينهم

بالقسط ان الله يحب المقسطين وقال تعالى ان الله يأمركم

ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا

بالعدل وقال لمزلة الحق وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا

الفضل بينكم وقال يحيى بن معاذ رحمه الله اصحبوا الناس بالفضل

لا بالعدل ومع العدل الاستقصاء ومع الفضل الاستبقاء

واني لارجو الله تعالى ان يحاسب عباده بالعدل وقد امر بهم ان

يصاحب بعضهم بعضا بالفضل وقد عظم الله تعالى امر

الاحسان والافضال وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة

قال وهل يأمر الحكيم بشيء لا يفعله وكيف يترك الكريم التفضل

ويقتصر على العدالة وقد بين ان المتفضل افضل واكرم

تعالى

تعالى الله عز اذى المنزلتين وكيف لا يرجى تفضله وافعاله

كلها عدل وعدله كله تفضل لانه مبتدئ بما لا يلزمه والابتداء

بما لا يلزم تفضل وهل يجوز ان يترك المفضل ابتداء وقد يتحراه

ابتداء **باب ذكر الظلم** الظلم هو الانحراف عن العدالة

ولذلك حد بانه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به

وقد تقدم ان العدالة تجري مجرى النقطة من الدائرة فتجاوزها

من جهتها الافراط عدوان وطغيان واليه الاشارة بقوله تعالى

قد ضلوا ضلالا بعيدا والانحراف عنها في بعض جوانبها

جور والظلم اعم الاسماء ولما كان الظلم ترك الحق الجاري مجرى

النقطة من الدائرة صار العدول عنها اما قريبا واما بعيدا

ظلما فمن كان عنه ابعد كان رجوعه اليه اصعب ولذلك

قال تعالى ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا تنبيها

ان الشيطان متى امعن بهم في البعد عن الحق صعب عليهم حينئذ

الاهتداء والاجل من جعلهم الشيطان كذلك قال الله تعالى

اولئك ينادون من مكان بعيد واما المستعمل فيهم الظلم

فخمسة وهم الذين يجب استعمال العدالة معهم وقد تقدم ذكرهم

الاول رب العزة الثاني قوى النفس الثالث اسلاف الرجل الرابع

معاملوه من الاحياء الخامس الناس اذا تولى انسان الحكم بين بعضهم و

بعضهم وقال بعض العلماء شر الناس من جار على نفسه ثم جار

على ذويه ثم من جار على كافة الناس وافضلهم من عدل على
كافة الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه وهذا قوله
اورد بنظر عامي فان الظالم لا يكون ظالما لغيره حتى يظلم اولا
نفسه فانه في اول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه فاذا الظالم
ابدا مبتدئ بنفسه في الظلم والعادل مع الناس اذا هم بالعدل
ويجراه فقد عدل مع نفسه قبل ان عدل مع غيره قال بعضهم
الظلمة ثلاثة الظالم الاعظم الذي هو ابدا خلاف شريعة الله
واياه قصد تعالى بقوله ان الشرك لظلم عظيم والاوسط
وهو الذي لا يلتزم حكم السلطان والاصغر وهو الذي
يتعطل عن المكاسب والاعمال فيأخذ منافع الناس ولا يعطيهم
منفعة ومن خرج عن تعاطي العدالة بالطبع والخلق والمحاق
والتصنع والرياء والرغبة والرهبة فقد انسلخ من الانسانية
ومتى صار الهم صقع كلهم على ذلك فتمارشت وتغالبت
واكل قويهم ضعيفهم ولم سوفهم اثر قبول فقد تقدم ان
عادة الله تعالى في امثالهم افناؤهم واهلاكهم عن آخرهم

باب الاسباب التي تحصل منها الاضرار

جميع ذلك
اربعة اسباب الاول الشراسة كمن يضر بغيره مستلذا لفعله
وذلك اخس الوجوه والثاني الشهوة وهي ان تقصد ادراك
شهوة ما فرأى امكنه تحصيلها الا ان يضر بغيره كعامة المتلصصة

والعابثين

والعابثين في الارض المتالف الخطاء وهو ان يقصد الاضرار
بمن ضره بوجه بل قصد فعلا آخر فاتفق منه ذلك كمن رمى
قرطاسا فاصاب رجلا فهذا معذور من وجه والرابع الشقاوة
كمن يصيبه الريح فاوقعه على انسان فمات ذلك الانسان
فهذا معذور ومرحوم

باب ذكر المكر والخديعة والكيد والحيلة

المكر والخديعة يتقاربان وهما اسمان لكل فعل
يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره وذلك ضربان
احدهما مذموم وهو الاشهر عند الناس والاكثر وذلك ان يقصد
فاعله انزال مكروه بالمخدوع واياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم
المكر والخديعة في النار والمعنى يودي بقاصديهما الى النار
والله اعلم على عكس ذلك وهو ان يقصد فاعلهما الى استجرار المخدوع
والمكور به الى مصلحتهما كما يفعل بالصبي اذا امتنع من فعل الخير
وقال بعض الحكماء المكر والخديعة محتاج اليهما في هذا العالم
وذلك ان السفيه يميل الى الباطل ولا يقبل الحق والميل اليه
لمنافاته لطبعه فيحتاج ان تخدع عن باطله بزخارف مموهة
خدعة الصبي عن الدواء عند الفطام ولهذا قتل محرق فان الدنيا
مخاريق وسفسط فان الدنيا سوفسطائية وليس هذا حثا
على تعاطي الخبث بل هو حث على جذب الناس الى الخير بالاحتيال
ولكون المكر والخديعة ضربين سيئا وحسنا قال تعالى

وهو خير الماكرين

وهو عليم بذات الصدور فانا نعلم انهم يمكرون

والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور
وقال تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض
ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقال تعالى افامن
الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض فخص في الآيات
السيئ من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن ووصف نفسه
بالمكر الحسن وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
وقال تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واما الكيد
فارادة متضمنة لاستنزار ما يراد به عمن يراد به المكر اكثر ما
يستعمل ذلك في الشر ومتى قصد به شر فمذموم ومتى قصد به
خير فمحمود وعلى الوجه المحمود قال تعالى وكذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ اخاه على دين الملك وعلى ذلك الاستدراج
منه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان
كيدي متين فاستدراجه تعالى تعطية السبيل على الانسان
وتمكينه منه ليطلبه بالآيات التي اعطاه وذلك تكليف له لما
يقدر عليه وان كان مشقة وتمكينه من ادراك ذلك قال تعالى
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فمن جاهد
في سبيلنا واعمل فكرته حتى ظفر به فسلكه على ما يجب وكما يجب
سهل عليه الوصول وكان ذلك منة منه ولطفا واحسانا
ومن عطل معاونة من الفكرة والسمع والبصر حتى اضل طريقه

كان ذلك

كان ذلك خذلانا وعذابا له وعلى نحو ما تقدم وصف تعالى نفسه
بالحيلة والمماحلة في قوله تعالى وهو شديد المحال وهذه الالفاظ
لولا ان الباري تعالى اطلقها في مواضع مختلفة قاصدا بها
معاني صحيحة لما تجاسر بشر عرف الله تعالى ان يخطر ذلك
فيه بباله فضلا عن ان يجريه في مقاله وان قصد بها المعنى
الصحيح تنزيها وتعظيما فيجب ان يتلى في القرآن حيثما ورد
ولا يتعدى بها وقد ذكر المحصلون ان كثيرا من الاوصاف الشريفة
كالرحيم والغفور والودود ما كان يتجاسر على الاطلاق عليه
تعالى لولا السمع الوارد به لما في هذه الاسماء من معنى الكيفية
والكمية والانفعال في وضع اللغة والله تعالى منزه عن كل
ذلك وهذا فصل كبير يختص به غير هذا الكتاب

باب ماهية المحبة وانواعها

المحبة ميل النفس الى ما تراه او
تظنه خيرا وذلك صريح آخر منه طبيعي وذلك في الانسان
وفي الحيوان وقيل قد يكون ذلك في الجمادات كالالفة بين الحديد
ومجر المغناطيس وامر آخر اختياري وذلك يختص به الانسان
فاما ما يكون بين الحيوانين فالفة وهذا الثاني اربعة اضرب
الاول للشهوة واكثر ما يكون ذلك بين الاحداث والثاني
للمنفعة ومن جنسه ما يكون بين التجار واصحاب الصناعات
المهنية واهل المذاهب والثالث مركب من ضربين كمن يحب آخر

انفع وذلك الآخر محبة للشهوة والرابع للفضيلة كمحبة المتعلم
للعالم ومذه المحبة باقية على مرور الاوقات وهي المستثناة
بقوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
واما الضروب الآخر فقد يطول مدتها وتقصر حسب طول اسبابها
وقصرها والصداقة اخص من المحبة وقد يقع من جملة
والاستعمال الا في الحيوان واما العشق فمحبة بافراط وذلك
اما بحسب المدة فيكون مذموما واما بحسب الفضيلة فيكون
محمودا ولا يكون للمنفع فان النفع يراد لغيره والفضيلة واللذة
يرادان لانفسهما **باب فضل المحبة** احد اسباب
نظام الدنيا المحبة ثم العدالة فلو تحاب الناس وتعادلوا
بالمحبة لاستغنوا عن العدالة فقد قيل العدالة خليفة المحبة
ولذلك عظم الله تعالى المنة بايقاع المحبة من اهل الملة فقال
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا اي محبة في القلوب تنبيها ان ذلك اجلب للعقايد
وهو افضل من المهابة والمهابة تنفر والمحبة تولف وقيل
طلحة المحبة افضل من طلحة الرهبة فان طلحة المحبة من داخل
وطلحة الرهبة من خارج يزول بزوال سببه وكل قوم اذا
تحابوا تواصلوا واذا تواصلوا تعاونوا واذا تعاونوا عملوا واذا

عملوا

عملوا عمروا واذا عمروا عمروا والفضل وقوع المحبة شرعا
شرع الله تعالى اجتماع اهل المحلة الواحدة في مساجدهم
خمس مرات لاقامة صلواتهم واجتماع اهل البلد كل اسبوع
مرة في الجامع واجتماع اهل المدينة واهل السواد كل سنة في
الجبانة واجتماع اهل البلدان النائية في العمر مرة بمكة كل
ذلك ليتاكد باجتماعهم الانس ويقع بسببه الود **باب**
فضيلة الصداقة الصديق محتاج اليه في كل حال اما
عند سوء الحال فليعاونه واما عند حسن الحال فليواسوه
وليضيع معروفه عندهم ومن حظ انه يمكنه الاستغناء عن
صديق غرور ومن حظ ان وجوده سهل ممنوع ولكثرة نفعه
سئل حكيم عن الصديق فقال هو آخر بالشخص الا انه انت
بالنفس واعز وجوده سئل اعرابي عنه فقال هو اسم على
غير معنى حيوان عزيز وجوده فمن وجد اخوانا ذوي تقية وجد
بهم عيونا وآذانا وقلوبا كلها له فيرى الغايب بصورة الشاهد
واختيار من تركن اليه لتصادقه صعب اذ قد يتشنع لك
الناقص فتظنه صادقا فيكون كمن يحسب الشحم فيمن شحمه ورم
باب في ذكر المحبب من الناس من حبب الله تعالى الى الناس
فقد انعم عليه نعمة وسيعة كما ان من بغضه اليهم فقد جعل
له بقعة فظيعة والسبب فيمن تكون محببا ان من رعاه الله

من حببه الله

تشنيع

الحاجة الى الصديق
وقلة الظفر به

فصفا جوهره وطاب روحه وحسن عمله وحصل له نور
يسرى فى مشكوة من يراه فيحبه وايّاه فصل تعالى يقوله لموسى
عليه السلم والقيت عليك محبة منى وقال صلى الله عليه وسلم
اذا احبّ الله عبدًا القى محبته فى الماء فلا يشرب منه عبد الا احبه
واذا ابغض عبدًا القى بغضه فى الماء فلا يشرب منه احد الا ابغضه
ولمّا القى الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم من المحبة قلّ ما
كان يأتيه من يبغضه فيهم بقتله الا اذا راه وقلب فى افاق وجهه
طرفه والقى الى كلامه سمعه اعجب به ففارقه على جميل

باب الحثّ على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار

حقّ الانسان ان يتحرّى بغاية جهده مصاحبة الاخيار فى
قد جعل الشرّ شرًّا كما انّ مصاحبة الاشرار قد تجعل
الخير شرًّا وقال بعض الحكماء من صحب خيرًا اصابته بركته
كجليس اولياء الله لا يشقى وان كان كلبًا ككلب اصحاب الكهف
حيث قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولهذا اوصت
الحكماء بمنع الاحداث عن مجالسة السفهاء وقال امير المؤمنين عليه السلم
لا تستصحب الفاجر فيزيّن لك فعله ويودّ انك مثله وقال
حالسوا من يذكّركم الله رؤيته ويزيد فى خيركم نطقه وفعاله
ايّاك ومجالسة الاشرار فانّ طبعك يسرق من طبعه وانت
لا تدري بل قد قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح

مثل

مثل الدارى ان لا يحذرك من عطره يعلّقك من ريحه ومثل
الجليس السوء كمثل القين ان لا يحرقك بشرره يوذيك بدخانه
وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر من يخالّ
اى يجذبه خليله الى دينه ومن قوّة هذا المعنى فى النفوس شاع على الالسنة قول الشاعر
عن المرء لا تسئل وابصر قرينه فانّ القرين بالمقارن يقتدى
وليس اعداء الجليس جليسه خلقة بمقاله وفعاله فقط بل
بالنظر اليه فالنظر الى الصور يؤثر فى النفوس اخلاقا مناسبة
لخلق المنظور اليه فانّ من دام نظره الى مسرور سرّ اولى محزون
حزن وليس ذلك فى الانسان فقط بل فى الحيوانات والنبات
فالجمل الصعب قد يصير ذلولا بمقارنة الجمال الذلل والذلول
قد ينقلب صعبًا بمقارنة الصعاب والريحانة الغضّة تذبل
بمجاورة الذابلة وهذا يلتقط اصحاب الفلاحة البرم عن الزرع
لئلا يفسدها ومعروف انّ الماء والهواء يفسدان بمجاورة
الجيفة اذا قربت منهما وذلك مما لا ينكره ذو تجربة واذا كانت
هذه الاشياء قد بلغت فى قبول التاثير هذا المبلغ فما الظنّ
بالنفوس البشرية التى موضوعها لقبول صور الاشياء خيرها
وشرّها فقد قيل سمّى الانس لانّه يأنس بما يراه ان خيرًا وان شرًّا
وللانسان فى المعاشرة ثلاثة احوال اما ان يكون سكسكيًا اى
قاسى الطبع او ملقاة اى سلس الطبع او مساعدًا اى تاركًا للخلاف

على مقتضى العقل وهو المحمود وحق الانسان في المعاشرة ان
يتقوى مزجمة الفكرة بالمطايبة في الكلام ومزجمة الغضب
بالتحالم ومزجمة الشهوة بالجود وان يتعرى من اضداد ذلك
وان يجامل المعاشرين والمعادين والمتشبهين بالاخوان
ويصابرهم ويكابرهم طمعا في رجوعهم اخوانا واتقاء من شرورهم
حتى يكون ظريفا فالظرف عبارة عن استجماع آلة العشرة من
الطلاقة والاحتمال ولين الجانب **باب فضيلة التفرد عن**
الناس ورذيلته قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرد
والاختلاط فبعضهم آثر التفرد عن الناس وبعضهم الاختلاط
بهم واورد كل فريق في ذلك اخبارا ودلائل بحسب اختلاف
نظرهما وابتلاء احدهما بمصاحبة من لم تحمد مصاحبته
ومصاحبة الآخر من حمد صحبته والاصل ان احتياج الناس
بعضهم مع بعض ضروري لتعلق امور بعضهم لبعض ولهذا
لما سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول اللهم اغنني عن الناس
قال يا رجل تسأل الموت قل اللهم اغنني عن شرار الناس
فالناس لا يستغني بعضهم عن بعض ما داموا احياء هم في المعاشرة
فالتفرد عن الاخيار الذين يفيدونك ويعينونك ولا يؤذونك
مكروه سيما ما لم تتدرب في الفضل ولم تستغن عن اقتباس
العلم واما عن الاذال الذين تتدنس بمصاحبتهم فمحمود وقيل

التفرد

التفرد مكروه الا لثلاثة اسلطان لانشاء تدبير المملكة ٢
وحكيم لاستنباط الحكمة ٣ ومتنسك لمناجاة رب العزة ٥
فان التفرد يبطل الانسانية ولا يظهر من صاحبه فضيلة
ومن نظر بالمتفرد خيرا فلاجل ان ليس يظهر منه شر وهذا
يشاركه فيه الموتى وفضيلة الانسان ان يكون خيرا لا ان يكون
شريرا وان كان في زماننا كما قيل

انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

فحق العاقل ان يجتمع مع العامة في ظواهر احكام الشرع وافاضة
وظايف العبادات وانالتهم من الفضيلة بقدر الوسع ويترفع
عن منزلتهم في المعارف والاخلاق قيل المروة التامة مباينة
العامة بل قيل من استأنس بالله استوحش من الناس ٥
وذلك لمخالفتها ايا هم في الخلو والتنحي عن الاغترار بكثير منهم
والركون اليهم سيما من ليس قصده الآخرة وطلب الحق قال الله عز وجل
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم
القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقال تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين **باب العداوة**
العدو هو الذي يتحرى اغتيال الآخر ويضاده فيما يودي الى
مصالحه ومنه تعدي فلان ومعناه فعل فعل العدو ويدل
قولهم مكان دوعر وا اي متنا في الاجراء ناب لمن حله

ويضاد العداوة الولاية واستقامة مرولية يلية ٥ والولاية تعم
من الصداقة والمودة ٥ والعداوة ضربان آ باطن لا يدرك ذاته
بالحاسة ٢ وظاهر يدرك بالحاسة ٥ فالباطن ايضا آ احدهما الشيطان
وهو اصل كل عدو ويعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله تعالى
منه غاية التحذير وقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا وقال تعالى ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين اى لا تنقادوا له وقال تعالى ان هذا عدو لك
ولزوجك وقال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو
مبين ٢ آ والثاني الهوى المعبر عنه بالنفس في قوله تعالى ان النفس
لامارة بالسوء وقول النبي صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك
بين جنبيك وكذا الغضب اذا كان فوق ما يجب ولكون لهذه
القوة في الانسان اذا آثرت طريقا للشيطان في وصوله الينا
وكونها كالخليفة له سماه النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وقال
الهوى شيطان والغضب شيطان وقال تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين واما الظاهر
من العداوة فالانسان وذلك ضربان آ ضرب هو عدو مضطغن
للعداوة قاصد الى الاضرار اما مجاهرة واما مساترة وذلك
اثنان آ واحد يعادي كل احد وهو كل انسان سبعي الطبع
خبيث الطبيعة مبغض لكل من يحتاج اليه في العاجل

بغيض

بغيض الى كل نفس عيارش كل من لا يخافه كما قال الشاعر

يسطو بلا سبب وتلك طبيعة الكلب العقور

ومثله هو الذي عنى بعالى بشياطين الانس ٢ آ والثاني عداوة خاصة
العداوة وذلك اما بسبب الفضيلة والرذيلة وذلك كمعاداة
الجاهل للعاقل واما بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب
في رياسة ومال وجاه واما بسبب لحمة او مجاورة مورثة للحسد
كمعاداة بني الاعمام بعضهم لبعض وذلك في كثير من الناس
كالطبيعي وقال رجل لآخر اني احبك وقال قد علمت ذلك
فقال له فمن اين علمت قال لانك لست لي بشريك ولا لي بنسيب
ولا جار قريب واكثر المعاداة يتولد بشيء من ذلك
والضرب الثاني عدو غير مضطغن للعداوة لكن يؤدي حاله
بالانسان الى ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد عدو
فسمي عدوا لذلك كالاولاد والازواج وعلى ذلك قال تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم
ليس عدوك الذي ان قتلته اجرك الله في قتله وان
قتلك ادخلك الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك التي بين
جنبيك وامرأتك التي تضاجعك واولادك الذين من صلبك
وجعل عليه السلام سواء اعداء الانسان لما كانوا سببا لاهلاكه
الاخروي لما يرتكبه من المعاصي لاجلهم فيؤدي به الى هلاك الابد

الذي هو شر من الهلاك المعادي المناصب اياه واعلم انه لكون
بعض الانسان مشاركا للشيطان في المعاداة سمى الله تعالى
الاعداء شياطين في قوله تعالى سماطين الانس والجن يوحي
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقد سمى كل ما يتأدى به شيطانا
حتى قال عليه السلام
ما ليلة الفقير الا شيطان مجنونة تؤذي بروح الانسان
والفقر اسم بئر فجعل لليلة ورودها شيطانا لتأذيه بها

الفصل السادس فيما يتعلق بالصنائع والمكاسب والانفاق والجود والبخل

باب حاجة الناس الى اجتماعاتهم للتظالم

اعلم انه لما صعب على كل احد ان تحصل لنفسه ادنى
ما يحتاج اليه الا بمعاونة عدة له ولقمة طعام لو عدنا
تعب تحصيلها من الزرع والطحن والخبز وصنائعه الا انها الصعب
حصره ولذلك احتاج الناس فرقة فرقة فيتظاهرون
لاجل ذلك قيل الانسان مدني بالطبع اي لا يمكنه التفرد
عن الجماعة لعيشهم بل يفتقر بعضهم الى بعض في مصالح
الدين والدنيا وعلى ذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله صلى الله عليه وسلم
مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد
اذا ألم بعضه تداعى سائره وقيل الناس كجسد واحد متى
عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل

باب تسخير الله تعالى بعض الناس لبعض الصناعات المختلفة وعنايته بكل واحد بما يتحراه

لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله تعالى
كل واحد منهم لصنعة ما يتعاطاها وجعل نزعاتهم
وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية ليوثر الواحد
بعد الواحد حرفة من الحرف بشرح صدره بملابستها ويطبعه
قواه بمزاولتها فاذا جعل اليه صنعة اخرى فر منها وجد مستبعدا
فيها ومتبرما بها وقد سخرهم الله تعالى ليلا يختاروا باجمعهم
صنعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاونات ولولا ذلك
لما اختاروا من الاسماء الا احسنها ومن البلاد الا اطيبها
ومن الصنعات الا انظفها ومن الاعمال الا ارفعها ولتناجروا
على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلا منهم في ذلك مخيرا
في صورة مخير فالناس امام اراض بصنعته لا يريد عنها جورا
كالحايك الذي يرضى بصنعته ويعيب الحجام والحمام الذي
يرضى بصنعته ويعيب الحايك وهذا اسطم امرهم كما قال تعالى
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما
كارهة له يكابدها مع كراهته اياها كأنه لا يجد عنها بدا او على ها
دل قول النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له بل صرح
تعالى بذلك في قوله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقال تعالى
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وقوله تعالى

قد كل يعمل على شاكلته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لن يزال
الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا فالتباين والتفرق
والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب التيام والاحتمال والاتفاق
كاختلاف صورة الكتابة وتباينها وتفرقتها التي لولاها
لما حصل لها نظام فسبحان الله تعالى ما أحسن ما صنع وأحكم
ما أتقن وأتقن ما دبر ولهذا قيل من حق من قيض له صنعة
مباحة فرزق منها أن يراعيها على ما يجب ويما يحب وعليه
دل قول النبي صلى الله عليه وسلم من رزق من شيء فليلزمه

باب كون الفقر وخوفه سبب نظام أمر الناس

حصول الفقر وخوفه الناجان للحرص مما البلعثان للجسد
واحتمال الكد في سعة الناس اما باختيار واما باضطرار
ولهذا قيل رب سالح لقاعد ولولا أن الناس لو كفي كل
واحد منهم امره لأدى ذلك الى فساد العالم من حيث انه لم يكن
احد يتولى لغيره مهنة وكان الواحد منهم يعجز عن القيام
بمصالح نفسه كلها فيودي ذلك الى فقرهم وقد قيل
قيام العالم بالفقر اكثر من قيامه بالغنى لأن الصناعات
القائمة بالغنى بلاثة الملك والتجارة والبناية وسايرها
قائمة بالفقر ولو لم يكن الفقر وخوفه من كان يتولى الحياكة
والحجامة والدباغة والكناسة ومن كان ينقل الميرة والملابس
من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال وعلى منفعة الفقر

نبه قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الآية
وقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون
هذا مع أن من الناس من لو كفي أمر دنياه لكان يوجد منه ما
يؤدي الى الهلاك نفسه في أسرع مدة وعلى ذلك دل قوله تعالى
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض الآية ومن تدبر
صنع الله في ذلك وتأمل ما أشار اليه في هذه الآيات التي ذكرها
لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول اذا كان الله تعالى غنيا
جوادا واسعا فلم خص بعضهم بالغنى وجعل اكثرهم فقرا ومن
حق الغني الذي لا يفنى غناه والجواد الذي لا يعرف لجوده منتهى
أن لا يخص بالعطية بعضا دون بعض وذلك أن الجواد الحق
هو الذي يعطي كل احد بقدر استيهاله على وجه يعود بمصلحة
ومصلحة غيره وقد فعل ذلك بالعباد

باب مناسبة الانسان لصناعته

ان الله تعالى فرق بينهم الناس للصناعات
المتفاوتة وييسر كلا لما خلق له وجعل آلاتهم الفكرية
والبدنية مستعدة لها فجعل من قيضه لمراعاة العلم
والمحافظة على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف لائقة
وامزجة لطيفة وابدانا ليّنة مستصلحة ومن قيضه
لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والبناء

جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كزة وامزجة علطة وابدانا
خشنة وكما انه محال ان يصلح السمع للرؤية والبصر
للسمع كذلك من المحال ان يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة
وقد جعل الله تعالى كل جنس من الفريقين نوعين
رفعا ووضيعا فالرفيع من تحرى الحذق في صناعته واقبل
على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه وادى الامانة بقدر
جهده ولم يشتغل عن عبادة الله تعالى كما قال تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الصانع الحاذق وملح الملائكة بوقوفهم حشا
وقفوا واحكامهم لما ولوا وقال تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون باب في وجوب التكسب
التكسب في الدنيا وان كان معدودا من المباحات من وجه فانها
من الواجبات من وجه وذلك انه اذا لم يكن للانسان استقلال
بالعبادة الا بازالة ضروريات حياته فازالتها واجبة لان
كل ما لا يتم الواجب الا به فواجب كوجوبه واذا لم يكن الى ازالة
ضروريات سبيل الا باخذ نصيب من الناس فلا بد اذا ان
يعوضهم تعبا له والا كان ظالما فمن توسع في تناول عمل غيره
في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك فلا بد له ان يعمل لهم
عملا بقدر ما يتناوله منهم والا كان ظالما لهم قصدوا افادته او

لم يقصدوه بها

لم يقصدوه بها فمن رضي بقليل من علمهم فلم يتناول من دنياهم الا
قليلا لم يرض منه بقليل عمل وهذا قال صلى الله عليه وسلم
من رضي من الله تعالى بقليل الرزق رضي الله عنه بقليل
العمل ومن اخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعا فانه لم يأتمر
لله تعالى في قوله عز وجل تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان ولم يدخل في عموم قوله تعالى والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض وهذا ذم من يدعي التصوف
فيتعطل عن المكاسب ولا تكون له علم يوخذ عنه ولا عمل صالح
في الدين يقتدى به بل تجعل همة غاريه بطنه وفرجه
فانه ياخذ منافع الناس ويضيق اليهم معاشهم ولا يرد اليهم
نفعا فلا طايل في مثلهم الا ان يكدروا الماء ويغلوا الاسعار
ولهذا الشان كان عمر رضي الله عنه اذا بطر الى ذي سيما
سال الله حرفة فاذا قيل اسقط من عينه واستحسن النبي
صلى الله عليه وسلم من وفد عبد قيس لما سالهم فقال
ما المروة فقالوا العفة والحرفة ومن الدلالة على قبح بعل
من هذا صنيعه ان الله تعالى ذم من ياكل مال نفسه اسرافا
وبدارا فما حال من اكل مال غيره على ذلك ثم لا ينيلهم عوضا
ولا يرد عليهم بدلا الحق كل مضطر الى كسب ان يقتصر على
ما يسد فقره وقته ولا يحمل همة غده على يومه قال الشاعر

ومن يتفق السلطان في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
ومن اقتصر على قدر رزقك فقد صار من المتوكلين الذين عناهم
النبي صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ماب
مدح السعي وذم الكسل من تعطل وتبطل فقد انسلخ من
الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى وذاك
الذي خص الانسان بالقوى الملاث ليسعى في فضيلتها فان
فصلة القوة الشهوية تطالبه بالمكاسب التي تقيه وفصلة
القوة الغضبية تطالبه بالمحاهدات التي تحميه وفصلة القوة
الفكرية تطالبه بالعلوم التي تهديه فحقه ان يتامل قوته
ويسبر قدرته بما يطيقه فيسعى بحسبه بما يفيده السعادة ويتحقق
ان اضطراره سبب وصوله من الذل الى العز ومن الفقر الى
الغنى ومن الضعة الى الرفعة ومن الخمول الى النباهة وان
من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد الراحة فحب الهوينا
يكسب النصب فقد قيل ان اردت ان لا تتعب فاتعب
لئلا تتعب وقد قيل اياك والكسل والضجر فانك ان
كسلت لم تؤد حقا وان ضجرت لم تصبر على حق وقال الشاعر
وان التواني انك العجز بنته وساق اليها حين زانكما مهرا
فراشا وطيئا ثم قال له اتكى فقصد كما لا شك ان تلد الفقر

وقال

فقصد كما لا شك ان تلد الفقر

وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت امر الدنيا كلها
لئلا اتعود العجز ولان الفراغ يبطل الهيآت الانسانية
فكل هيئة بدل كل عضو ترك استعماله يبطله كالعين اذا
اغمضت واليد اذا عطلت ولذلك وضعت الرياضات
في كل شيء ولما جعل الله للحيوان قوة التحرك لم يجعل له
رزقا الا بسعي منه لئلا يتعطل فايدة ما جعل له من قوة
التحرك ولما جعل للانسان قوة الفكرة تنزل من ركائب نعمة
الله تعالى عليه جانبا يصلحه هو بفكرته لئلا يتبطل
فايدة الفكرة فيكون وجودها عبثا وتامل حال من هم على الماء
وقد جعل لهام الرطب الجني ما كفاها مؤنة الطلب وفيه
اعظم معجزة فانه لم تخلها من ان امرها بهز جذعها فقال تعالى
وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
وكما ان البدن يتعود الرفاهية يكسل كذلك النفس
بترك الفكرة يتبلد وتتبله وترجع الى رتبة البهايم
فحق الانسان ان لا يذنب عامة او قاته الا في اصلاح امر
دينه او اصلاح امر دنياه متوصلا به الى اصلاح امر اخرته
مراعيا لما قال الحجاج ان امرا اتت عليه سلخة من عمره
لم يكتسب فيها ربه او يستغفر من ذنبه او تفكر في معاده
لجدير ان يطول حسرته يوم القيامة واذا تاملت

قول النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا ونظرت اليه
نظرا عاليا علمت انه حثك على التحرك الذي يثمر لك جنة
المأوى ومصاحبة الملاء الأعلى بل مجاورة الله تعالى وذلك
تحتاج الى خمسة اشياء آ معرفة المقصود المشار اليه بقوله تعالى
ففروا الى الله ٢ ومعرفة الطريق المشار اليه بقوله تعالى وان هذه
سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة ٣ وتحصيل الزاد المبلغ به
المشار اليه بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ٤
والمجاهدة في الوصول اليه كما قال تعالى وجاهدوا في الله حق
جهاده فهذه الأشياء يأمن الغرور الذي خوفنا الله تعالى منه
في قوله عز وجل ولا يغرنكم بالله الغرور وهذه من المعالي التي
دونها هول وقع العوالي والخير لمن رامها ان يتدرع الصبر
فقد اصاب مرمى

شعر

فقل لمرجي معالي الامور بغير اجتهاد جوت محالا

باب بقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها
على بعض الصناعات بلا اضرب اما اصول
للاقوام للعالم دونها وهي اربعة اشياء الزراعة والحياكة
والبناية والسياسة وأما مرشحة لكل واحد من ذلك
وخادمة له كالحدادة والنجارة للزراعة والخلاحة والغزالة
للحياكة وإما متممة لكل واحد من ذلك ومزينة له كالطحانة

والجبازة

والجبازة للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة
ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل اجزاء الشخص الاسحص
سواء فانها على بلا اضرب آ اما اصول كالقلب والكبد
والدماغ ٢ واما مرشحة لتلك الاصول وخادمة لها كالمعدة
والعروق والشرايين ٣ واما متممة لها ومزينة كاليد
والحاجب ٥ واشرف اصول الصنائع السياسة
وهي اربعة اضرب الاول سياسة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثاني
الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم
والثالث الحكماء وحكمهم على باطن الخواص والرابع الوعظة
والفقهاء وحكمهم على بواطن العامة واشرف هذه السياسات
الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب الناس به وبيان ذلك
ان شرف الصناعات يتبين من اوجه اما بحسب النسبة
الى القوة المبرزة لها كفضل معرفة الحكمة على معرفة اللغات
فان الاولى متعلقة بالقوة العقلية وهذه متعلقة
بالقوة الحسية والعقل اشرف من الحس واما بحسب
عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بحسب شرف
الموضوع المعمول فيه كشرف الصياغة على الدباغة ٥ وقد علم
ان الحكمة تدرك بالقوة المفكرة وهي اشرف قوة وانها يتوصل به

الى حلية الماوي وذلك ابلغ نفع وموضوعه الذي يعمل فيه يهوس
البشر وهي افضل موضوع يعمل فيه بل موجود في هذا العالم
وافادة العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة ومن وجه اجل
خلافة الله تعالى فان الله تعالى مع استخلافه قد فتح على
قلبه العلم الذي هو اخص صفاته فهو خازن لاجل خزائنه
وقد اذن له في الانفاق على كل احد ممن لا يقوته الانفاق
عليه وكلما كان انفاقه اكثر على ما يحب وكما يحب كان
جاهه عند مستخلفه اوفر

باب
وان اصول الصناعات ماخوذة عن الوحي

اصول الصناعات والمكاسب ماخوذة عن الوحي ودلك
ان نقص الانسان وحاجة بعضهم الى بعض ظاهرة
والناقص محتاج الى الكامل فلا يخلو اما ان يتصور اخذ واحد
عن واحد بلا غاية وذلك ايجاب ما لا نهاية له وهو محال
واما ان ينتهي الى واحد من البشر علمه الله الصناعات اما
بسماع من الملاء الاعلى او بالهام او منام وهذا هو الوحي
ومعلوم لذي اللب ان قوى العقاقير وطبايع الحيوانات
مما لا يمكن ادراك خواصها بافهام البشر وتجربتهم
كل صنعة يقرون بذلك فاهل النجوم يقولون مبادي
النجوم من رمس قيل هو عرج بروحه الى السماء فاطلع على

ذلك

ذلك وهرمس قبل ادريس عليه السلم وكذلك اصحاب الطب يقرون
مثل ذلك في معرفة الادوية ثم اختصاص كل واحد من الموجودات
بفعل له على حدته وانحسار العقل عن تتميم ما هو اصلح لذلك
الفعل منه يحقق انه صدر عن حكمة الهية

باب
وشان الناض المتعامل به وبيان حكمة الله تعالى فيه

اعلم ان الناض احد اسباب ما به قوام الحياة الدنيوية ومتى
توسمناه مرتفعا تعسر على الناس تزجية معاشهم وقد تقدم
ان الناس يحتاج بعضهم الى بعض ولا يمكن التعايش ما لم يتظاهروا
ويتولى كل واحد منهم عملا يصير به معينا للآخر مواسيا
له ولما كان كل من واسى غيره فمن حقه ان يقابل بهذه المواساة
لكن ربما لا حصر صاحبه ما يريده هو فقيض الله تعالى
لهم هذا الناض علامة منه جل ثناؤه ليدفع الانسان الى من
يوليه نفعا فيحمله الى من عنده مبتغاه فيأخذ منه بقدر عمله
ثم اذا جاء ذلك الآخر بتلك العلامة او مثلها الى الاول
وطلب منه مبتغى هو عنده دفعه اليه لينتظم بذلك امرهم
ولهذا قيل الدينار حاكم صامت وعدل ساكت وخاتم من
الله تعالى نافذ وقيل لهذا المعنى سمي في لغة الفرس الدينار
دسارا اي الدين زين به والدينار فارسية معربة ولما
كان ذلك حاكما عظم الله تعالى وعيد من احتبسه فقال

لا يخصها ط

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم ٥ وذلك انه يصير باحتباسه اياها كمن
احتبس حاكما للناس بها يمشي امور معاشهم ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم الذي يشرب في آنية الفضة انما يجرجر
في جوفه نار جهنم لان اتخاذ الفضة او الذهب آنية يؤدي
الى منع الناس عن تصريفه في معاملاتهم وتضييقه عليهم مكاسبهم

باب مدح المال وذمه

المال اذا اعتبر بكونه
احد اسباب قوام الحياة الدنيوية فهو عظيم القدر كما تقدم
واذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير القدر اذ هو اخس القنيات
فالقنيات ثلاث نفسية وبدنية وخارجة والحاجة
اذ وهما اذ دون الخارجات الناض لانه خادم غير مخدوم وسائر
القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه لان النفس خادمها البدن
والبدن تخدمها المآكل والملبس ومما خدمهما المال فالمال
من حقه ان يكون خادما لغيره من القنيات وان لا يكون شيء من
القنيات خادما له وان كان كثير من الناس جهلهم يجعلون جاههم
وابدانهم ونفوسهم خدما للمال وعبيدا وهم الذين ذمهم النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
تعس عبد الخميصة تعس وانتعس واذا شيك فلا انتقش ٥
ولعظم موقع المال عند من لم يتجاوز المحسوسات قال حكاية عن

بعض انبيائه عليهم السلم فيما خاطب به امته استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ٥
ولعظم منافعه في الامور الدنيوية قال تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم التي جعل الله لكم قياما ونبه على حقارة قدره بالاضافة
الى احوال الآخرة فقال الا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وخوف من اعجب
باقتنائه فقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع
لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى ذرني ومن خلقت
وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا فجعل
الانسان ان بعد المقتنيات الدنيوية آلات موضوعة في
خان سفر يصلح للانتفاع ما دام نازلا في ذلك الخان فيتناول
منه مقدار البلغة ويتسلى عنها عند الرحلة ويستهجن
لنفسه ان يكلب ويغضب ويحزن ويحبن ويرتكب القبائح
في سببها واعلم ان الناض الذي هو العين والورق لما جعله
الله تعالى سببا للتعامل به كما تقدم آنفا وخادما كما ذكرناه
فقبح للحر المترشح لنيل الفضائل والاقتداء بالباري جل
ثناؤه والوصول الى الغنى الاكبر ان يتهافت على المال بالاكثر مما
يحتاج اليه ويجعل نفسه اقل رقيق له واخسه

فرق ذوي الاطماع رق مخلد

التهافت سقوط الانسان على شيء متتابعا

ويكون معتكفا منه على حجر يعبده كما قال الله تعالى ويعكفون على
اصنام لهم ٥ وارى ان ابراهيم عليه السلم لما سأل الله تعالى وقال واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام لم يرد الا ان يحرسه وذريته عن محبة
الاعراض الدنيوية الصارفة عن الله فمثله عليه السلم واولاده ينزه
عن ان يشفق من اعتقاده في حجر انه صانعه ويستحق عبادته
وقد قال في موضع آخر اشارة الى ما يعم هذا المعنى وغيره يا ابت
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال بعض الحكماء
مثل الانسان وسعيه بهذا الحجر بل لسائر الاعراض الدنيوية
كراكب في سفينة قاصدا الى افضل بلد فانتهى بهم المركب الى
جزيرة ذات اسود واساود فامروا بالخروج والتهيؤ للطهارة
وان يكونوا على حذر فراوا حجرا مزبرجا وزبرا منورا فاعجبهم ذلك
وشغفوا بها فتباعدوا عن المركب ونسوا مقصودهم ومركبهم
حتى سارت السفينة فثارت عليهم الاسود تفرسهم والاساود
تنهشهم ولم يغن عنهم حجرهم وزبرهم شيئا كما قال تعالى حكاية
عن هلاك من اغنى عنه ماله هلك عني سلطانيه **باب**
ذكر المال والادب في اقتنائه والوجوه التي منها يحصل
قد تقدم ان المال من الخيرات المتوسطة لانه كما قد يكون
سببا للخير فقد يكون سببا للشر لكن لما كان في اكثر
الاحوال موجبا كرامة اصحابه وتعظيم اربابها حتى صدر السائل

في قوله

الناس

في قوله

الناس اعداء لكل مدقع صفر اليدين واجوة للمكثر
وحتى قيل رايت ذا المال مهيبا وقال صلى الله عليه وسلم
نعم المال الصالح للرجل الصالح ٥ واستصوب قول طلحة في دعائه
اللهم ارزقني مجدا ومالا فلا يصلح المجد الا بالمال ولا يصلح المال
الا بمراعاة المجد ونظر المتنبي بهذا النظر حيث قال
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وقال بعض الحكماء اطلب العلم والمال تحوي الرياستين فالناس
خاص وعام فالخاص يفضلك بما تحسن والعام بما تملك
واكتسابه من الوجه الذي ينبغي صعب وتفريقه سهل كما
قال الشاعر لكم صعد صعب ومنحدر سهل
ومن رام اكتسابه من وجهه صعب عليه فالكاسب الجملة
قليلة عند الحر العادل ومن رضي بكسبه من حيث اتفق
فقد يسهل عليه والفاضل ينقبض عن اقتناء المال ويستر سل
في انفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتسابه المحمدة ولا يحتمع عنده
المال مدخرا لكن كما قال الشاعر
لا تالف الدرهم المصروف خرقته لكن ترسل عليها وهو منطلق
الا اذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى الطرق المعروف تستبق
وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه وينقبض في انفاقه ويطلبه
لذاته لا لادخار الفضيلة ٥ والمال يحمل من وجهين

احدهما بسبب منسوب الى الجد الحض والبخت الصرف من غير
اكتساب من صاحبه كمن ورث مالا او وجد كنزا او قيض له
من اولاه شيئا والثاني ان يكتسب الانسان كمن اشتغل بتجارة
او صنعة فيد خر منها مالا وهذا الضرب ايضا لا يستغني فيه
عن الجد ولهذا قال وعلى ان اسعى وليس على ادراك النجاح
فحظ الجد اكثر من حظ الكد في الاخلاق والاعمال
الاخروية التي حظ الكد فيها اكثر وقد نبه الله تعالى على ذلك
بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا فاشترط في
العاجلة مشيئته للمعطى وارادته للمعطى له ولم يشترط السعي
واشترط في الآخرة السعي لها مع الايمان ولم يشترط ارادته
تعالى ومشيته وان كان ذلك لا يتعرى منهما ثم حق العاقل
ان يعنى بما اذا طلبه ناله واذا نأله لم تخف نوأله ويقلل
المبالاة بما ان قدر له اتاه ان طلبه او لم يطلبه وقال
بعض الحكماء ان البخت بمنزلة امرأة صماء عمياء ورها في
حجرها جوهر ومي قاعدة على حجر يدور وسعها ناس كثير
يلتمسون ما عندها ومي لا تسمع قولا ولا ترى وجها وقد اعتزل
عنها قوم قليلوا التعدد وقعدوا بحجرة وفي كل ساعة تولي قضة

من حجرها واحدا من القوم لا يخص بتلك بما بل ربما تخطيهم
وربما حبتهم كأنها المعنية بقول الشاعر
لا تحقرن حسنا في المجد ان مطرت كفاه جودا ولا تذممه ان زحما
فليس يخل ابقاء على نشب ولن تجود بفضل المال معتزما
لكنه خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
وتارة تعرج على مراعطته فتسلبه سلبا وتوسعه بحرها
دوسا ان واما الفضايل الاخروية فما قيل العلم لا يعطيك
بعضه حتى تعطيه كلك فان اعطيته كلك فانت من اعطايه
ايا ك بعضه على خطر وقد قال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى

باب سبب اخلاق العاقل واخلاق الجاهل

الحكمة يقتضي ان يكون العاقل الحكيم في اكثر الاحوال مقلا
وذلك انه لا ياخذ المال الا كما يجب ومن الوجه الذي يجب
وفي الوقت الذي يجب ثم اذا اخذه وتناوله لم يدخره عن مكرمة
تعرض له والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لا يبالي فيما يتناوله
بارتكاب محظور واستباحة محجور واستنزال الناس عما في
ايديهم بالمكر ومساعدتهم على ارتكاب الشر طمعا في نفعهم
وكثيرا ما يرى منهم من جملة الموصوفين بقوله تعالى من الناس
من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق
شاكر لبختهم فبعض يغضب على القدر وبعض يتجاوز الاسباب

فيعاتب الله حتى قال بعض الجهال
لو قسمنا بينهم زال المرا ولو تولى غيره قسمة ارزاق الورى
جرت خطوب بسالكنائح تحت العرى جمع عروة

وذلك لحرصهم على ارتكاب المقابح وجهلهم بما يقتضيه الله تعالى من المصالح وقول الشاعر

هذا الذي ترك الالباب حايرة وصيّر العالم النحرير زنديقا
فان الذي يصيّر ذلك زنديقا فبان يسمّي الجاهل الشرير اولى بان يسمّي العالم النحرير فقد قال حكيم سوء لمن اعطى العلم فجزع لفقد الذهب والفضة ولمن اعطى السلامة والدعة فجزع لفقد الالم والتعب فثمرة العلم السلامة والدعة وثمرة المال الالم والتعب

باب تحقيق كون المال في ايدي الناس

ان الله تعالى اوجد اعراض الدنيا بلغة فاتخذها الناس عقدة وصيّر الدنيا ممرّا لا ومرّا فصيّروها موطنا ومقرّا الا قليلا انزلوها حيث انزلها الله تعالى وهم الذين وصفهم بقوله عز وجل وقليل من عبادي الشكور ٥ وتاجروا بها ربهم كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ٥ فاعراض الدنيا مزوجة عارية في ايدي الناس مستردة كما قال

سعر

وما

١٠٥

وما الناس والاهلون الا ودايع ولابد يوما ان ترد الودايع

ومزوجة منيحة منحت الانسان لينتفع مدة بدرها وسفع بدعره ومزوجة وديعة في يده رخص له في استعمالها والانتفاع بها بعد ان لا يسرف فيها لكن الانسان لجهله ونسيانه لما عهد اليه بقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اغتر بها فظن ان جعلت له هبة موبدة فركن اليها واعتمد عليها ولم يود امانة الله فيها ثم طولب برده تضوّر منه وصجر فلم يفرج عنها الا بنزع روحه وكسر بيده ونعصهم ومم الاقلون حفظوا ما عهد اليهم فتناولوها تناول العارية والمنيحة والوديعة فادوّا فيها الامانة وعلموا انها مسترجعة فلما استردت منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا وردوها شاكرين لما نالوه ومشكورين لاداء الامانة فيها وقد ذكر بعض الحكماء في ذلك مثلا فقال ان مثل الناس فيما اعطوا من اعراض الدنيا مثل رجل دعا قوما الى داره فاخذ طبق ذهب على نخور وريا حين فكان اذا دخل احدهم يتلقاه به ويدفعه اليه لا ليتملكه بل ليشمه ويدفعه الى من يحيي بعده فمن كان جاهلا بمرسومهم ظن ان قد وهب له فتجهم اذا رجع منه ومن كان عارفا برسومهم اخذه بشكر وردّه بانشراح صدر

باب تفاوت احوال المتناولين لاعراض الدنيا

طلب الدنيا وتناولها على بالة اضرب فالأول من يتناولها على
اي وجه اتفق راكنا الى المال عر متفكر في المآل وايّاه
قصد تعالى بقوله في ذم من زهّد تحسب انّ ماله اخلده والثاني
من يتناولها على وجه يجب عليه تناوله وذلك اذا اقتصر على ما لا
يمكن التبلّغ بأقلّ منه من الوجه الذي يجب كما يجب ولوجوب
تناول هذا القدر قيل مباحات الصوفيّة فريضة وفريضتها
مباحة يعني انّه لا يقدم على تناول مباح حتّى يضطر اليه
فيتحتّم تناوله عليه فيصير ما كان مباحا تناوله فرضا عليه ويفعل
من الواجبات فوق ما يجب عليه مسارعا اليه حتّى يصير حكمها
حكم النوافل وروي من طلب رزقه على ما يسنّ فهو في جهاد وقال
صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه انّ المؤمن ليؤجر على
كلّ شيء حتّى اللقمة التي يضعها في امرأته ولم يعن انّ كلّ
احد على كلّ حال يؤجر في ذلك وانّما اراد تخصيص المؤمنين الذين
يراعون حكم الله تعالى في مكاسبهم وانفاقهم ويتحرّون في ذلك
عبادة الله عزّ وجلّ والضرب الثالث من يتوسّع
في تناولها يراعي فيه حكم الله تعالى لكن يكون فيه وكيلا لله تعالى
فيه فيقتصر منها على تناول بلغة وحمل اليها في مصر وفاليها
ما دعي اليه فهذا افضل ممّن تقدّم ذكره فانّه يصير بذلك من
خلفاء الله تعالى فمن تناول على احد هذين الوجهين فقد ارتبط بالله عزّ وجلّ

في قوله تعالى

في قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في
الارض انّ الله لا يحبّ المفسدين وبالاعتبار بمثلهم قال تعالى
قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيّبات من الرزق
قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال
تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي
الصالحون فجعلهم لهم وقال تعالى انّ في هذا لبلاغا لقوم عابدين
اي من تحرّى عبادة الله تعالى في تناول الدنيا فانّه يبلّغ
بذلك مقصودة المذكور في قوله تعالى وانّ الى ربّك المنتهى
وقال تعالى لا جناح عليكم ان تبتغوا فضلا من ربّكم والفضل
هو الاحسان فنبّه بذلك انّ تناول المال اذا تحرّي به الوجه
الذي يجب كما يجب هو فضل واحسان يستحقّ به الثواب
وعلى ذلك قوله عزّ وجلّ واسألوا الله من فضله وقال تعالى
في مدح قوم يتناولون الدنيا كما يجب من حيث ما يجب رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة

باب في بيان ورود الآيات المتفاوتة الظاهر في شأن الدنيا من تصوّر الوجوه المذكورة التي قد تقدّم ذكرها

في تناول الدنيا سقطت شبهته فيما ورد من الآيات والأخبار
المتفاوتة في الظاهر من ذمّ الدنيا واعراضها تارة ومدحها تارة

وذلك ان ما جاء ذمها فاعتبار بمن رضيها حظا لنفسه وجعلها
قاضية مراده كما قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها
وما جاء من مدحها فباعتبار تناولها وانفاقها على ما يحمد وعلى
ذلك قال امير المومنين عليه السلم الدار دار نجاة لمن فهم عنها ودار
غنى لمن تزود منها والناس فيها رجلان بايع نفسه فموبقها
ومبتاع نفسه فمعتقها وعلى هذين الوجهين مدح تارة عمارة
الارض فقال تعالى واستعمركم فيها وقال صلى الله عليه وسلم من غرس
غرسا لم ياكل منه طاير ولا بهيمة الا كان له صدقة وذم
مرة عمارتها فقال تعالى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وعمروها اكثر مما عمروها وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا
قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ما

احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والآخرة الناس
في ذلك بلا ثة اصناف صنف هم المنهمكون في الدنيا بلا
التفات منهم الى العقبى وهم المسمون عبدة الطاغوت
وشر الدواب وهم من اسماء وصنف مخالفون لهم
غاية المخالفة يراعون العقبى من غير التفات منهم الى الدنيا
وصنف متوسط وفوا الدار حقها وهذا الصنف هم
عند الحكماء افضل لان بهم قوام اسباب الدنيا والآخرة

ومنهم

ومنهم عامة الانبيا عليهم السلم ان الله عز وجل بعثهم لاقامة
مصالح المعاد والمعاش ولان امورهم مبنية على الاعتدال
الذي هو اشرف الاحوال واجدر ان يكون بلاتهم داخلة
في عموم قوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة
والسابقون السابقون فالمراعي للدنيا والآخرة
على ما يحسن وكما يحسن من السابقين وجعل قوم السابقين
هم النساك الذين رفضوا الدنيا بالكلية مختصين فيه بقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وخفي عن هذا الفاضل
ان اعظم عبادة الله ما يكون غاية لمصالح عباده وروي
ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الخلق كلهم عيال الله واحب الناس اليه انفعهم
لعياله ولانه كما يقبح ان يشغل الانسان بامر دنياه وبدنه
فيضيع احد جزئيه المركب عليه كذلك يقبح ان يضيع الجزء
الآخر الذي هو بدنه ودنياه لانه يصير مضادا لله تعالى
في ابطال ما اوجده واتقنه فان قيل هذا قال بعض الحكماء
الناس بلا ثة رجل شغله معاده عن معاشه وذلك درجة
الفاضلين ورجل شغله معاشه عن معاده وذلك درجة الهالكين
ورجل هو مشتغل بهما وذلك درجة المخاطرين قال

وقد علم ان الفايز احسن حالا من المحاط فقيل ان المنازل
الرفيعة لا تنفك من مخاطرة ولم يقصد هذا القايل بذلك الى
تفضيل الفايز وانما خوف ان يترشح لخلافة الله تعالى من هو
قاصر عنها ويقوى ذلك ما روى ان بعض اولاد الملوك
ممن يتقوى في العلم والحكمة اعتزل الملك وزهد في الدنيا
فكتب اليه بعض الملوك قد اعتزلت ما كنت فيه فان علمت
ان ما اخترته افضل فعرفنا لنذر ما نحن فيه والا حسبني
اقبل منك قولا بلا حجة فكتب اليه اعلم انا عبيد الملك
رحيم بعثنا الى حرب عدو وعرفنا ان المقصد من ذلك
قهره او السلامة منه فلما قهروا من الزحف صاروا بلادهم
ثلاثة آ متحيزا طلب السلامة متى فاعتزل عنه فاكتسب
ترك الملامة وان لم يكتسب المحمدة ٢ ومتهورا اقدم عن
غير بصيرة فجرحه العدو فقهره فاستجلب بذلك سخط ربه
٣ وسخط الملك واقدم على بصيرة فقاتل وابلى واحتمد فهو الفايز
التام الفوز وانا لما وجدتني ضعيفا رضيت بادنى المنزلتين
وادون المنزلتين ولكن انت ايها الملك مر اوصل الطوائف
تكن اكرمهم والسلام

باب ما يحل من يجوز له
الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك

الاعتبار في تناول الدنيا والاستكثار منها والاستقلال

والزهد

والزهد فيها والرغبة ليس بتناول الكثير والقليل بل
بتناولها من حيث يجب ووضعها كما يجب قال امير المؤمنين
عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض وارادبه وجه الله
يسمى زاهدا وان كان في ذلك لله عابدا فليكن اخذك لما
تاخذه وتركك لما تتركه لله عز وجل لا لغيره واعلم ان
الحكيم اذا تناول اعراض الدنيا جرى مجرى راقي حاذق
يتناول حية قد عرف نفعها وضرها وامن سمها وشرها
فيتحرى بتناولها الوجه الذي ينتفع بها وينفع غيره
فهو مباح له تناولها وغير الحكيم اذا تناولها فهو كجاهل
استحسن الحية واستلان مسها فظن انها مستصلحة
لان يتقلد بها فجعلها سخابا في عنقه فلدغته وقتلته
وما احسن ما قال الشاعر

هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت الحسية الانت

فكما لا يجوز للجاهل بالرقية عن العارف بنفع الحية ان
يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها كذلك
لا يجب للجاهل ان يقتدي بالحكيم في تناول اعراض الدنيا
وكما انه محال ان يسلك الاعمى من غير قايد طريقا وعرا
يسلكه البصير اذ هو غير امن ان يقع في هوة كذلك
محال ان يسلك الجاهل مستبدا برايه في تناول اعراض الدنيا

الحكيم

طريقًا يسلكه الحكم العالم أذنه وغير آمن من ان يقع في
لهاوية وايضًا فالدنيا غانية دعناء كما قال الشاعر
شيم الغانيات فيها فلا ادري لذا انث اسمها الناس أم
فكما ان الغانية لا يجوز ان يدخل عليها وتخلو بها الا كل محبوب
يؤمن عليها كذلك الدنيا لا يجوز ان يمكن منها الا المقطوع عنها
بالعفة والزهد ليلا يغره وذلك كامر المومنين عليه السلم
حيث قال ياحمراء يا بيضاء احمري وابيضي وغري غيري
هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه
ومن تصور ذلك علم ان الله تعالى قد اباح الدنيا كلها لاوليايه
علما منه انهم لا يتناولونها الا على ما يحب وكما يحب واذا تناولوها
وصنعوها كما يحب وحيثما يحب وعلى هذا قال الله تعالى
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وقال عز وجل ان الارض يرثها عبادي الصالحون
الى غير ذلك من الآيات التي تقدم ذكرها باب
ما ينال ارباب الدنيا من العقوبات لله تعالى عقوبات
في معاقبة من تناول ما لا يحوز تناوله من الدنيا او تناول
من الوجه الذي يحوز لكنه لم يوف حقه احدى العقوبتين
ظاهرة للبصر والبصيرة وكذلك عقوبات من غصب مالا
مجاهرة او سرقه خفية وكمن منع حق الله تعالى من الزلوة

فان

فان عقوبات ذلك ظاهره امر السلطان باقامتها والباقية
خفية عن البصر مدركة ببصاير اولى الالباب كعقوبة من تناول
ما امر من حيث لا يجوز تناوله ومنعه من حيث لا يجوز منعه الا على
وجه فيه حد امر السلطان باقامته وهذا عقوبته ما روي
اي امرئ يسكر قلبه حب الدنيا بلي بثلاث شغل لا يبلغ
مداه وفقر لا يدرك غناه وامل لا ينال منتهاه وما قال
صلى الله عليه وسلم من كانت الدنيا اكبر همه شتت الله عليه
امره وجعل فقره بين عينيه ولم ينل الله في اي واد من الدنيا
هلك وعلى ذلك قال تعالى انما يريد الله ان يعذبهم بها في
الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال تعالى
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة اعمى ليس يعني قلة المعيشة وانما يعني ما يقاسي
فيها من الهموم والغموم التي تكدر عليه العيش باب
الانفاق المحمود والمذموم الانفاق صربان ممدوح ومذموم
فالممدوح ما يكسب العدالة لصاحبه ويوبذل ما اوجبت الشريعة
بذله كالصدقة المفروضة والانفاق على العيال ومنه
ما يكسب صاحبه اجرا وهو على من الزمت الشريعة الانفاق
عليه ومنه ما يكسب الحرية وهو بذل ما ندبت الشريعة الى
بذله فهذا يكتسب من الناس شكرا ومن ولي النعمة اجرا ان

والمذموم ضربان أفراط وهو التبذير والاسراف وتفريط وهو التقتير والامساك وكلاهما يراعى فيها الكمية والكيفية فالتبذير من جهة الكمية ان يعطى اكثر مما يحتمله حاله ومن حيث الكيفية ان يضعه فى غير موضعه والاعتبار فيه بالكمية اكثر منه بالكيفية فرب منفق درهما من الالوف هو فى انفاقه مسيف ومبذر ومفسد ظالم كمن اعطى فاجرة درهما او اشترى خمرا ورب منفق الوفا لا يملك غيرها هو فى نفقته مقتصد ومبذر متحمد كما روى فى شان ابى بكر رضى الله عنه وقد قيل لحكيم متى يكون بذل القليل اسرافا والكثير اقتصادا قال اذا كان بذل القليل فى باطل وبذل الكثير فى حق والتقتير من جهة الكمية ان ينفق دون ما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية ان يمنع من حيث تجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس اعم لانه جود لكنه اكثر فيما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال احمد من البخل الا ان رجوع المبذر الى السخاء سهل وارتقاء البخيل اليه صعب وان المبذر قد ينفع غيره وان اضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه ولا غيره على ان التبذير فى الحقيقة هو من وجه قبيح اذ الاسراف الا وتجنبه حق مضيع ولان التبذير يودى بصاحبه الى ان يظلم غيره ولهذا قيل الشحيح اعذر من الظالم ولانه جهل بقدر المال

الدنى

الذى هو سبب استبقاء النفس والجهل راس كل شر والمتلاف ظالم من وجه آخذ من غير موضعه ووضعه فى غير موضعه ولكثرة مذام الاسراف ذمه الله تعالى باعظم مما ذم به البخل فقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وقال عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا اى تقعد ملوما من جهة من سالك فلم تجد ما تعطيه وحسيرا عن بلوغ مرادك وبعد المتنبى فقال فلا يخلو فى المجد مالك كله فيخل مجد كان بالمال عقده فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده وليس الاسراف متعلقا بالمال فقط بل بكل شئ وضع فى غير موضعه اللائق به الا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط بالاسراف لوضعهم البذر فى غير المحرث وقال تعالى اءنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ووصف فرعون بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين وقوله عز وجل وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين

باب حقيقة السخاء والجود والشح والبخل

السخاء هيئة للانسان داعية الى بذل المقتنيات حصل منه البذل او لم يحصل وذلك خلق ويقابله الشح

والجود بذل المقتنى ويقابله البخل هذا هو الأصل وإن كان
كل واحد منهما قد يستعمل في موضع الآخر ويدل على صحة
هذا الفرق انهم جعلوا الفاعل من السخاء والشح على بناء
افعال الغريزية فقالوا سحح وسخي وقالوا جواد وباخل
واما قولهم بخيل فمصروف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم
ورحيم ولكون السخاء غريزة لم يوصف الباري سبحانه به
وقد عظم امر السح وخوف منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
فخص المطاع لينبه ان وجود الشح في النفس ليس مما يستحق
به ذم اذ ليس هو من فعله وانما يذم بالانقياد له فقال تعالى
ومن يوق شح نفسه وقال عز وجل واحضرت الانفس الشح
وقال صلى الله عليه وسلم لا يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابدا

باب فضيلة الجود وذم البخل

الجود
على السنة الورى محمود ولذلك قيل كفى بالجود حمدا ان اسمه
مطلقا لا يقع الا في حمد وكفى بالبخل ذما ان اسمه مطلقا
لا يقع الا في ذم وقيل الحكيم اي فعل البشر اسمه لفعل
الباري تعالى فقال الجود وقال صلى الله عليه وسلم
الجود سجرة من اشجار الجنة تاخذ بغصن من اغصانها اداه
الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار تاخذ بغصن من

اغصانها

اغصانها اداه الى النار ومن شرفها ان الله تعالى قرن ذكره
بالايمان ووصف الملائكة بالجود والفلاح اجمع اسم لسعادة
الدارين فقال تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون الى قوله عز وجل هم المفلحون
وحق الجود ان يقرن بالايمان فلا شئ اخص به واشد مجانسة
له منه فمن صفة المومن انشراح الصدر كما قال الله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
ومما من صفة الجواد والبخيل لان الجواد يوصف بسعة
الصدر والبخيل بضيق الصدر للامساك وقال صلى الله عليه وسلم
اي داء ادوا من البخل ولان البخل بلاء اضرب
على الانسان بماله وبخله بمال غيره على غيره وبخله على
نفسه بمال غيره ومواقع البلاء والباخل بما في يده باخل
بمال الله على نفسه فقد تقدم ان المال عارية في يد
الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا يثقل نفسه
من العذاب الاليم بمال غيره سيما اذا لم يخف من صاحبه
تبعة ولا ملامة والكفاية الالهية متكفلة باعواض
المنفق وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم اعط المنفق خلفا
والممسك تلفا وقال ان الله عز وجل ينزل المعونة

بقدر المؤونة وروى من وسع وسع عليه باب

انواع الجود والمجود به الجود خمسة اوجه آ ١

جود الاله تعالى وهو البذل لكل احد على قدر استحقاقه ٢

وجود الملوك وهو بسط المال على عفاتهم غنيهم وفقيرهم ٣ آ ٢

وجود السوقة وهم الدون دون الملوك وهو بذل المال للسؤال ٣ آ ٢

وجود الصعاليك وهو البذل للندامى والمعاشرين والشرب ٤ آ ٢

وجود عوام الناس وهو الاحسان الى الاقارب ٥ والمجود من ذلك كله الجود الالهى وهو بذل الموجود لكل محتاج بقدر استحقاق من غير امتنان ولا اذاية آ المعطى ما يحتاج اليه لمن لا يحتاج مسرف مضيع والمعطى غير شيئا لرهبة واق لمن لا يحتاج آ نفسه ٢ والمعطية ارغبة له فى مثوبة منه او لمحمدة دنيوية تاجر فتى يسترى حسن الثنا بماله ويعلم ان الدايرات تدور وقول ابى نواس

فليس بغاية فى الوصف بالجود التام بك وصف بتجارة محمودة

واحسن منه قول ابن الرومى

وتاجر البر لا يزال له ربحان فى كل متجر يجره

اجر وحمد وانما طلب الاجر ولكن كلاهما اعتوره

وقد اجاد سلم بن برد فى قوله

ليس يعطيك للرجاء والخوف ولكن يلذ طعم العطاء

الفصل السابع فى ذكر الافعال

باب انواع الا

باب انواع الافعال الافعال على ضربين

الهى وانسانى آ فالالهى ابداع وتكوين وتربية واحالة

وجميع ذلك يسمى خلقا من حيث ان وجود كل واحد منها بمقدار

واحد والخلق فى الاصل التقدير المستقيم فالاول الابداع

وهو ايجاد الشئ دفعة لا عن موجود ولا بترتيب ولا عن نقص

الى كمال وليس ذلك الا للبارى عز وجل وان كانت العرب

قد تستعمل الابداع فيمن حفر بئرا فى مكان لم يحفر فيه من

قبل وفيمن نسج سعرا او ورد كلاما لم ينسج على منوال تقدم

والثانى التكوين وهو ايجاد الشئ عن عدم بترتيب

ومن نقص الى كمال والمتكلمون قد يستعملون التكوين موضع

الابداع ولما هفوا عن حقيقة التكوين استشنعوا قول

من قال السماء ليست بمكونة وقدروا انه يقول ليست بمبدعة

ولا مخلوقة وانما اراد هذا القايل فيما ذكر اصحابه ودل عليه

كلامه ان الله ابدعها ابداعا كما قال عز وعلا بديع السموات

والارض ولم يخلقها خلقة ناقصة فى ابتداء نشأة ثم كملها

شيئا فشيئا كالحيوان والانسان والنبات والمالك

رب الشئ وهو تغذيته وذلك استخلاف ما تحلل من ابدان

ما وجد عن كون ليبقى المدة المضروبة له وبه قيل له

رب العالمين والرابع احالة الشئ وهو التغاير اللاحق

للكائنات في كيفيّاتها من لونٍ وطعمٍ ورائحةٍ والفعل الانسانيّ
بلا اضرب آ نفسانيّ فقط وهو الافكار والعلوم وما
يُنسب الى افعال القلوب ٢ وبدنيّ وهو الحركات التي يفعلها
الانسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود ٣ وصناعي وهو
ما يفعله الانسان بمشاركة البدن والنفس كالحرف

باب الفرق بين الفعل والعمل والصنع

الفعل لفظ عام يقال لما كان بإجادة او غير اجادة ولما كان
بعلم او غير علم وقصد او غير قصد ولما كان من الانسان
والحيوان والجمادات واما العمل فانه لا يقال الا لما كان
من الحيوان ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم
قال بعض الادباء العمل مقلوب عن العلم فان العلم معه
القلب والعمل مع الجوارح وهو يبرز عن مع القلب الذي
هو العلم وينقلب عنه واما الصنع فانه يكون من الانسان
دون سائر الحيوان ولا يقال الا لما كان بإجادة وهذا يقال
للحاذق المجيد والحاذقة المحمده صنع وصناع والصنع يكون
بلا فكر لشرف فاعله والعمل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله
فالصنع أخص المعاني الثلاثة والفعل اعمها والعمل اوسطها
وكل صنع عمل وليس كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس
كل فعل عملا وفارسيته هذه الالفاظ تنبئ عن الفرق بينهما

فانه

فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار وللصنع كنش

باب انواع الصناعات

الصناعات ضربان علميّ وعمليّ فالعلمي ما يستغني فيه
عن الاستعانة بالجوارح من اليد والرجل كالمعارف الالهيّة
والحساب والعملي ما يحتاج فيه الى الاستعانة بالجوارح
وذلك ضربان الاول شيء ينقضي بانقضاء حركة الصانع
كالرقص والرمي والمحاكاة والثاني شيء يبقى له اثر وذلك
ضربان ضرب يبقى له اثر معقول لا محسوس كالطب
والسياسة وضرب يبقى له اثر محسوس كالبناء والكتابة.

المحاكاة المحادثة ه

باب الافعال الارادية وغير الارادية

الافعال التي يظهر من غير الله تعالى ٥ اما تسخيري واما
غير تسخيري ٥ والتسخيري هو الذي يظهر بمن يظهر له
بقصد وارادة منه وقد يكون ذلك من الجماد والحيوان
وذلك نوعان آ نوع بتسخير الباري تعالى كاحراق النار الحديد
وتبريد الثلج الماء ٢ ونوع بتسخير بشر كطحن الرحا ودوران
الدولاب ٥ واما غير التسخيري فضربان ٥ ضرب
يكون من فاعله مبدأ الارادة وضرب لا يكون منه مبدأ
الارادة آ فالذي منه مبدأ الارادة بلا به الاول بحسب
التمييز كمن يتناول الخير دون الشر موثرا له ٢ والثاني

اى مختارا

بحسب الغضب كمن يبطش بمن يغضب عليه والمالك
بحسب الشهوة كمن تناول ما اشتهاه لشهوته آ والذي
لا يكون منه مبدأ الارادة ولا منتهاه كمن رمى عرضا فاصاب
رجلا وضرب لا يكون منه مبدأ الارادة ولكن يكون
منه منتهاه كمن حصل في سفينة فخاف الغرق فكلف
ان يلقي متاعه في الماء ليتخلص والافعال من الجمادات
بالسخر فقط ومن النبات يقع بالتسخر والنزاع الذي
يقتضيه القوة الشهوية ومن الحيوانات يقع بهما وبالغلبة
التي يقتضيه القوة الغضبية ومن الانسان يكون بكل
ذلك وبالفكرة التي تقتضيها القوة العاقلة **باب**
ما يستحق به اللوم من الافعال وما لا يستحق به ذلك
الافعال ضربان ارادي وغير ارادي والارادي ضربان
ضرب عن روية وضرب لا عن روية فالذي عن روية ضربان
آ الذي عن روية يظن في غاية الشرف وهو ما يكون بحسب النفس
الناطقة ويسمى الاختيار وهو طلب ما هو خير له ويستحق ابدا
به الحمد اذا كان على الحقيقة اختيارا والذي عن روية فما ليس
هو في غاية الشرف وذلك اما بحسب القوة الغضبية وهو دفع
ما يضره واما بحسب القوة الشهوية وكل واحد منهما اذا كان
بقدر ما يوجبه العقل يستحق به الحمد فاذا كان زايدا او

ناقصا

ناقصا عما يوجبه يستحق به الذم والارادي الذي لا عن
روية واختيار ضربان احدهما ما يفعل في نفسه والثاني
ما يفعل بغيره وكل واحد منهما ضربان نفع وضر فما
قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد وما قصد به نفع غيره
فقد يستحق به الحمد والشكر معا وما قصد به ضر نفسه
فقد يستحق به الذم وما قصد به ضر غيره فقد يستحق به
الذم والعتب عليه وعن الارادي يلي اضرب
الاول ان يكون قسريا وهو ما يكون مبدأه من خارج ولا يكون
من اربابه معونة بوجه كمن رفعته ريح فسقط على انية
فكسرها والملامة فيه عليه بوجه والثاني ان يكون
الجايئا كمن اكرهه سلطان على فعل ما وهدامتى كان الملجأ
اليه قبيحا جدا والسبب الملجئ اليه حقيقيا يستحق به
مرتكبه اللوم كمن يضرب بان يقتل انسانا ومتى كان
الملجأ اليه ليس بقبيح جدا والسبب الملجئ اليه عظيما لا
يستحق مرتكبه الذم كمن يوضع على حلقه السيف
فيهدد بان يقتل ان لم يتكلم بكلام قبيح وكلا ما يقال
لهما الاكراه والثالث الخطاء وهو ما يكون مبدأه من
صاحبه وذلك نوعان احدهما ما تولد عن فعل
وقع منه ولم يكن فعله كمن يرمي هدفا فاصاب انسانا

وذلك لا يستحق به ملامة ما لم يقع من صاحبه تقصير في
الاحتراز والثاني ما سولد عن فعل ليس لمان يفعله كمن
شرب مسكرا فحمله سكره على ان كسر اناء او ضرب انسانا
فان ذلك يستحق الملامة وان لم يرد كسر الاناء وضرب
الانسان فقد ارتكب محظورا ادى به الى وقوع ذلك منه
والضرب الاول يقال له اخطاء فهو مخطئ والثاني يقال له
خطئ فهو خاطئ ولهذا قال اهل اللغة ما كان على سبيل
العمد خطئ وما كان على سبيل السهو اخطاء باب
الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها اكثر
الاسباب التي يحتاج اليها الفعل في وجوده عشرة اشياء
فانه يحتاج في حصوله الى فاعل يصدر عنه الفعل كالنجار
والى عنصر يعمل منه كالخشب والى زمان والى مكان
يعمل فيهما والى آلة يعمل بها كالمنجر والمنحت والى غرض
قريب كايجاد النجار الباب والى غرض بعيد كتحصيل البيت
له والى مثال يعمل عليه ويحتذى به والى مرشد يرشده
وكل ذلك قد ينسب اليه الفعل فيقول اعطاني زيد
اذا باشر الاعطاء واعطاني الله لما كان هو الميسر له وربما
جمع بين السببين القريب والبعيد فيقول اعطاني الله وزيد قال

شاعر

جبانا به جدنا والاله وضرب لنا جذم صايب

فنسب الى السبب الاول وهو الله تعالى والى السبب
المتأخر وهو الضرب والى السبب المتوسط وهو الجدب
وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال عز وجل
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
فاسند الفعل في الاول الى الآمر به وفي الثاني الى المباشر له
وقال الشاعر في صفة الدرع

والبسنيه الهالكي وقال كساه محرش

فنسب الفعل الى عاملها وفي الثاني الى مستعملها
وقال في صفة نبال

نبال كسوتها المضرحية ريشها

فنسب كسوتها الى الطائر الذي اتخذ ريشه فجعل لها وقيل
يداك اوكتا وفوك نفخ
فنسب الفعل الى الآلة المتصلة وقال سيف قاطع
فنسب الى الآلة المفصلة وقال ضرب فيصل وفاصل
وطعن جايف فنسب الى الحدث وقال
سر كاتم وعيشة راضية فنسب الى المفعول
وقال يوم صائم وليل ساهر قال وما ليل المطي بنايم
فنسبه الى الزمان فلما كانت افعالنا على ذلك صح
في الفعل الواحد ان يثبت لاحد الاسباب مرة وينفى عنه

المضرحية من الطيور
النسر

مرة بنظرين مختلفين على ذلك. قولك شكر
اعطيت من لم تعطه ولو انقضى حسن اللقاء جرمت من لم يحرم
فأثبت له الفعل ونفاه عنه معا بنظرين مختلفين وقال
هذا الخشب قطعته انا لا السكين وقال قطعته السكين ولم
اقطعه وقال فلان هداه الله وهداه الرسول وهداه
القرآن وهداه فهمه فنسب الى كل ذلك وقال تعالى
وأضله الله على علم لما كان هو السبب الأول في وجوده
ووجود سببه المضل ووجود الآلة وإن لم يكن هو تعالى
الداعي الى الضلال وقال اضله الشيطان لما كان
هو الداعي له الى الضلال واضله نفسه لما كانت هي التي
تركت الاحتراز وهذا فصل من تصوره لم يعتمد في
تشبيت المعاني على مثلها من الألفاظ فسطر من اللفظ الى
المعنى بل ينظر في نحو هذا من المعنى الى اللفظ
واعلم ان من اجل هذا الذي قدمنا قال قوم من المحصلين
ان اشئ من الافعال فاعله فاعل واحد على الحقيقة الا الله تعالى
فإن فعله تعالى يستغني عن الزمان والمكان وعن المادة
والآلة وعن مثال تحتذيه ومن عداه تعالى من الفاعلين
لا بد له من كل ذلك او من بعضه وهذا لا يصح ان ينسب
الابداع الى غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا وينسب فعل

غير الله تعالى

غير الله تعالى الى كل ما تعلم ذكره

قال الشيخ الامام ابو القاسم الراغب رحمه الله

هذا آخر ما قصدت تبيينه من هذا المعنى واختم القول
بحمد الله والثناء عليه والتضرع اليه في ان ينفعني واخواني
بما تحريته وان يجعلني ممن تذكر فذكر وتبصر فبصر
واتعظ فوعظ وتيقظ فاتعظ فاعظم بالهجنة ان يأمر من
لا يأتمر وينجر من لا ينجر وان يدعي الحكمة من اذا تلقته
المحاسن اجتنبه واذا تلقته المساوي اجتوبه يرى
القذاة في عين اخوانه فينكرها ويترك الجذع المعترض
في اجفانه ولا يغيرها بنصح غيره ويغش نفسه شعر
كم ذكرا الناس من عمري وعورته المناس بادية منا ان نواريها
وكالمسن يسن الحديد ولا يقطع وكالصخر الصلد الذي
يمر به الماء النافع فلا ينتفع به وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله ينصر هذا الدين بقوم لا اخلاق لهم ونرغب الى الله تعالى
ان يجعلنا من ايتمر للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
بادروا خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك
قبل فقرك وحياتك قبل موتك
فما اعظم في القيامة الحسرة والندامة ان لم يتغمدني الله

برحمتك التي وسعت كل شيء فسهل يا رب المجاز وسر
لي الجواز على الصراط فقد حان حصادي ولم يصلح فسادي
وصل على خاتم النبيين محمد وآله الأمجاد واجعله لي
من أرجى الشافعين

ثم كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة بحمد الله ومنه وتوفيقه
وعونه على يدي العبد الراجي رحمة ربه العظيم الصمد الذي
هو كاشف الكروب ابن سيدي محمد بن يعقوب المصري
المنشي السلطاني بلغه الله إلى ما يرجو ويتمنى
في سادس عشر رمضان الحرام في خواتم الأحوال
من شهور سنة تسع وسبعمائة هجرية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
عند كل صلاة
برئت من حولي وقوتي واستعنت بحولك
وقوتك فاجعل صعفي وعري على حولك وقوتك
يا ذا القوة المتين

اقتباع ورابت ريحا

الثلاثون

لحظ سرور العالم بذكر

سرور